مجلة الأزهر

ج ١٣٨٤ هـ — ديسمبر ١٩٦٤م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس - السنة السادسة والثلاثون - رجب سنة ١٣٨٤ هـ - ديسمبر ١٩٦٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة المرأة في المجتمع

بقلم : عبد الرحيم فوده

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

١ ـ أتت أسماء بنت يزيد الأنصارية إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه في المدينة فقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك ، إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم ، وغزلنا أثوابكم ، وربينا أولادكم ، أفنشارككم في هذا الأجر والخير ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مسألة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها .. ؟ فقالوا : يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا ! فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال : افهمي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فانصرفت وهى تهلل حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب ، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففرحن وآمن جميعهن .

من هذه القصة تلوح مكانة المرأة من حيث هى زوجة فى المجتمع الإنسانى ، فعملها لإرضاء زوجها ، وحسن عشرتها له ، وعنايتها بشئونه وشئون بيته وأولاده ، وموافقته فى غير ما يغضب الله ، بدل ما يقوم به دونها من حج وعمرة وجهـــاد فى سبيل الله ، وعلى هذا تكون المساواة فى الأجر والثواب لا فى نوع العمل والوظائف ، وهذا هو ما يفهم من قول الله : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض » فالرجال من النساء ، والنساء من الرجال ، وهما يتساويان فى الأجر والجزاء وإن اختلفت وظائفهما باختلاف طبيعتهما ، لأن عمل كل منهما متمم لعمل الآخر .

٢ ـــ والمرأة من حيث هى أم يجب أن تكون منزلتها أعلى من منزلة الرجل فى نظر أبنائهما ، وذلك هو ما يشير إليه قوله تعالى : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير » . فإن تخصيص الأم بالذكر دون الأب بعد التوصية بهما يدل على أنها أجدر منه بالشكر ، وذلك لأنها كما يقول الله : « حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين » وبذلك التوجيه من الله والتنبيه إلى مكانة الأم جاء توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سأله رجل فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى .. ؟ قال : أمك قال : ثم من .. ؟ قال : أمك قال : ثم من .. ؟ قال : أمك ، قال : ثم من .. ؟ قال : أبوك ..

٣ ـــ أما نظرة الإسلام إليها قبل أن تكون زوجا وأما فيمكن أن نلمحها من قوله تعالى : « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما » فإن التعبير بكلمة « يهب » يشير إلى أن الأنثى والذكر من الأولاد كلاهما نعمة موهوبة ، فينبغى أن تكون محبوبة ، وأن تقابل بما ينبغى للخالق الرازق من ذكر وشكر ، ولهذا نعى الله على العرب وغيرهم من الكافرين أنهم كانوا كما يقول فيهم « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب » ثم بين قبح حالهم هذه وسوء حكمهم هذا بقوله « ألا ساء ما يحكمون » .

٤ ـــ وكما يراد الزرع من الحقل تراد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المرأة للنسل ، فإن ذلك هو وظيفتها الأولى ، وذلك هو بعض ما يفهم من قوله تعالى : « نساؤكم حرث لكم » وقوله جل شأنه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » فالبنون والبنات لا يكونون من غير الأزواج والزوجات ، ومن فى حكم الزوجات والتبنى عادة مذمومة أبطلها الإسلام ، ليصون كرامة الأسرة وحرمة الأسرة وحقوق الأسرة ، وجو الأسرة ، ولا مجال لقائل بعد قول الله : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم » وقوله تعالى : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » .

٥ — ويفهم من قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » : أن قيام الزوج بأمر الزوجة ليس مقصوراً على الرياسة والولاية بل يشمل إلى ذلك حسن العشرة والرعاية . وما يتصل بهما من ألوان البر والخير بدليل قوله تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » وقوله صلى الله عليه وسلم : (استوصوا بالنساء خيرا) وقوله عليه السلام : (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر) ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها أمر طبيعى ، وأن رياسة الرجل الأسرة مما تقضى به الضرورة والنظام فى كل مجتمع ، فإن لكل مصلحة رئيسا ، ولكل مدرسة رئيسا ، ولكل قرية رئيسا ، ولكل دولة رئيسا ، والأسرة أساس المجتمع فيجب ألا تشذ عن نظام المجتمع ، بل إن لها شأنا أخطر وأكبر ، يجب ألا يغفل أو يهمل . . وليس معنى ذلك أن يستبد الزوج وتأخذه العزة بالإثم . وتعيش الزوجة فى جو من القهر والأسر ، فإنه ليس له عليها أى سلطان أو سبيل إذا أطاعته فيما يرضى الله كما يفهم من قوله تعالى : « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا » .

هذه هى بعض الخطوط الرئيسية التى تحدد مكانة المرأة فى المجتمع وعملها فيه ، وقد فسح لها الإسلام مجال العمل الصالح ، ووعدها بالحياة الطيبة كالرجل سواء بسواء ، كما يفهم من قوله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجهـــاد

لفضيلة الإمام الأكبر
الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر

الجهاد بين اللغة والشريعة :

الجهاد فى أصل اللغـــة المشقة ، يقال : جاهدت جهادا أى بلغت المشقة .

وفى استعمال الشرع ، بذل الجهد فى قتال الكفار ويستعمل أيضاً لمجاهـــدة النفس والشيطان والفساق .

ومجاهدة النفس تكون بتعلم أمور الدين والعمل بها ، وتعليمها لمن يجهلها وحثه على العمل بها .

ومجاهدة الشيطان تكون بعدم الإصغاء إلى وسوسته والاستعاذة بالله منه ومن شره .

ومجاهدة الفساق تكون بدفع الشبهات عنهم وما تزينه لهم شهواتهم من الأفعال والأقوال التى نهى عنها الشارع الحكيم .

وأما مجاهدة الكفار فتكون برد اعتدائهم على المسلمين باليد والمال واللسان والقلب .

ولا خلاف بين المسلمين فى أن الجهاد فرض على المسلم ، ومحل الخلاف هو أنه فرض عين على كل مسلم أو فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، وهما قولان مشهوران فى مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه .

ونختار أنه فرض عليهم إذا لم يكف من نهض به من أهل البلد المعتدى عليه ، إذ فى هذه الحالة يكون مفروضا على المسلمين من أهل البلاد الأخرى أن يعاونوهم فى جهادهم بالنفس والمال وغيرهما من وسائل الجهاد حتى يظفر المسلمون برد اعتداء غير المسلمين على أى بلد من بلاد الإسلام .

وهو فرض كفاية إذا كان أهل البلد الذين نصبوا أنفسهم لرد اعتداء غير المسلمين على بلدهم من القوة والكثرة بحيث يغلب على الظن الفوز على أعدائهم من غير معونة أهل البلاد الأخرى .

الدعوة قبل الجهاد :

ولم يشرع الجهاد فى الإسلام أول الأمر وإنما شرع بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يشرع الجهاد ولم يؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين الذين ناصبوه العداء وهو مقيم بينهم فى مكة بل استمر يدعو الناس إلى الإسلام دعوة سلمية لم يمتشق فيها حساما ولم يعلن فيها حربا على أحد أكثر من ثلاثة عشر عاما .

وقد بدأ الرسول دعوته بإنذار عشيرته الأقربين امتثالا لأمر ربه فى قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إنى

أبو ذر الغاضلي / مكتبتنا العربية

يرى مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين . إنه هو السميع العليم » .

ثم انتقل بدعوته إلى أهل مكة وغيرهم ممن كان يفد إلى مكة للحج وغيره من أهل يثرب ممتثلا في ذلك أمر ربه في قوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .

وكانت طريقته - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة خلال هذه الأعوام الطويلة ما رسم له القرآن في قول الله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

وقد أثمرت هذه الدعوة السلمية ثمرات طيبة . فأسلم عدد من المشركين وجدوا في الدعوة نورا يضيء لهم ظلمات الشرك والجهل ، وعدد من الأرقاء والخدم وجدوا فيها دعوة إلى الحرية والإخاء والمساواة ، وهو ما افتقدوه في حياتهم حيث كانوا يعيشون خدما وأرقاء لساداتهم الذين يمنحون أنفسهم كل شيء ويحرمون أتباعهم وخدمهم من كل شيء ، وعدد من المظلومين والمعتدى عليهم وجدوا في الدعوة الإسلامية العدل والمساواة فآمنوا بالله وأجابوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبرز من هؤلاء المؤمنين الأولين أبو بكر الصديق وعمر ، وحمزة ، وعلي وعبد الرحمن ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وبلال ، وعمار بن ياسر وغيرهم رضي الله عنهم .

ولم تصل هذه الدعوة إلى القلوب المتحجرة من سادات قريش الذين خشوا على سلطانهم ونفوذهم في قومهم كما خشوا على أموالهم أن ينفقوها في سبيل الله وسبيل البر والتقوى كأبي جهل ، وأبي سفيان ، وعقبة بن ربيعة وغيرهم ، فقد أعرضوا عن الدعوة وجاهروا بعدائهم لها ، وصدوا الناس عن قبول هذه الدعوة وحاولوا فتنة من أسلم منهم بإيذاء المسلمين وتجويعهم وإلحاق الضرر بهم .

الرد بالقتال :

أمضى الرسول « صلى الله عليه وسلم » في مكة ثلاثة عشر عاما ، بلغ فيها الدعوة إلى أهل مكة وغيرهم من الوفود ، ولقي هو وأصحابه ألوانا كثيرة من أذى المشركين وظلمهم ، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بتآمر المشركين في مكة عليه ومكرهم به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه - استشرفت نفسه الشريفة أن يأذن الله له بالهجرة إلى يثرب التي بايعه نفر من أهلها بيعة العقبة الأولى والثانية على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، فأذن الله له بالهجرة ، فهاجر إلى يثرب واصطحب معه صديقه أبا بكر الصديق « رضي الله عنه » ، وبعد أن استقر بالرسول « صلى الله عليه وسلم » المقام بالمدينة شرع يفكر في تنظيم أمور الدولة الإسلامية الجديدة ، وكان أول عمل في السياسة الداخلية مؤاخاته

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين المهاجرين والأنصار وفى السياسة الخارجية أى فى سياسة الدولة نحو إعداد الدعوة استعدادا لرد عدوان من يفكرون فى الاعتداء على الدولة الإسلامية ، ولحماية العقيدة ، وأنزل الله على رسوله فى هذا الوقت أولى آيات القتال وهى قوله تعالى فى سورة الحج : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ، وصلوات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز »

وينقل الطبرى فى تفسيره عن قتادة فى قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون ... قال : وهى أول آية أنزلت فى القتال وأذن للمؤمنين أن يقاتلوا وكان أصحاب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » استأذنوه قبل الهجرة فى قتل الكفار غيلة سرا إذ آذوهم واشتدوا عليهم بمكة فلم يأذن الله سبحانه وتعالى فى القتال الذى طلبوه ، ونزل قوله تعالى : « والله لا يحب كل خوان كفور ».

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة أطلق لهم قتلهم وقتالهم أى أن الله سبحانه وتعالى أذن للمؤمنين الذين أخرجهم مشركو مكة من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله - بأن يقاتلوا المشركين الذين ظلموهم أولا بالإخراج من ديارهم ، وثانياً بقتال المؤمنين والاعتداء عليهم فى وطنهم الثانى ، فالإذن بالقتال فى الآية إذن بقتال فريق معين من المشركين أرادوا أولا صد الناس عن الدعوة بعنف وتعذيب وتنكيل وطغيان ووحشية أساليب وأكرهوهم بما فعلوا بهم ثانيا على الخروج من وطنهم الحبيب فرارا بدينهم إلى حيث الغربة عن الأهل والعدم من المال والوحشة من الأجانب ، ولولا أنهم بالعقيدة السمحة والدين الحق لماتوا كمدا ، وقضوا حسرة ، فالإذن بالقتال فى أول آياته معه مبرراته التى تحتمها حماية الدعوة الجديدة من اجتراء سفهاء يرون لها الهوان فلو حلم المسلمون عليهم لتمردوا تمرد اللئيم ، وقديما قيل :

وبعض الحلم عند الجهل للذلة إذعان
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

ولهذا يعتبر الإذن بالقتال رداً طبيعيا لا يحمل إكراها على إيمان وإرغاما على دين وصدق الله العظيم فى قوله : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ».

محمود شلتوت
شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التطورات التشريعية للطلاق

للأستاذ محمد محمد المدني

٢ — الطلاق غير المنجز

— ٥ —

١ — إذا قال زوج لزوجته : أنت طالق أو أنت مطلقة ، فهذا طلاق منجز ، أى أنه ليس معلقا على حصول شيء ، وقد قصد به إيقاع الطلاق فورا .

وحكم هذا الطلاق أنه يقع فى الحال ، إذا كان صادرا من أهله ، ووقع فى محله .

٢ — وإذا قال رجل لزوجته : إذا دخلت الدار فأنت طالق أو إن لم أدفع دينى غدا فأنت طالق أو : على الطلاق لا تخرجى من البيت ، أو إن دخلت البيت فطلاقك على واجب، أو: أنت طالق أول الشهر أو أول السنة

فكل هذا طلاق معلق ، أى غير منجز ، وذلك أنه علق الطلاق فى المثال الأول والمثال الثانى على دخولها الدار ، أو على عدم دفع دينه غدا .

والمثال الثالث يفهم منه التعليق وإن لم يصرح به لفظا فكأنه قال : إن خرجت من البيت يلزمنى الطلاق — والتعليق فى المثال الرابع صريح فى هذا المعنى الذى آل اليه المثال الثالث .

والمثال الخامس تعليق فى المعنى أيضاً ، لأنه بمثابة أن يقول : إن جاء أول الشهر أو أول العام فأنت طالق .

والطلاق المعلق ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : الطلاق الذى هو فى معنى اليمين ، كما لو أرادت المرأة أن تذهب إلى بيت أهلها مثلا ، وأراد زوجها منعها فهددها بالطلاق قائلا لها : إن ذهبت إلى بيت أهلك فأنت طالق ، فهذا بمثابة أن يقول لها : والله لا تذهبين إلى بيت أهلك غير أنه أتى بالطلاق بدل الحلف بالله ! وليس له غرض فى الطلاق ولكن غرضه أن يمنعها من الذهاب إلى بيت أهلها .

ومثله من يقول لصاحبه : إن لم تتغد عندى اليوم فامرأتى طالق ، فكأنه حلف عليه بالطلاق بدل أن يحلف بالله ، ليحثه على الفعل .

وكذلك لو أراد أن يحث نفسه على فعل شيء ، أو على ترك شيء ، كأن يقول إن شربت الدخان فامرأتى طالق ، أو إن لم أسافر إلى الإسكندرية فامرأتى طالق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكل هذه الصيغ التعليقية ، إنما هي أيمان لايراد بها الطلاق ولكن يراد بها الحث أو المنع .

الثانى من قسمى المعلق : الطلاق على الصفة مثل أن يقول لها ، وهما بصدد التفاوض على إنهاء الزوجية : إن دفعت لى مبلغ مائة جنيه فأنت طالق ، أو إن أبرأتنى من مؤخر صداقك فأنت طالق .

فهذا رجل له رغبة فى الطلاق وغرض منه يرمى إليه وليس مجرد تعليق يحث به على شيء أو يمنع به من شيء ، كما يفعل الحالف بالله ، وقد اصطلحوا على تسميته (بالطلاق على الصفة) .

هذه هى أقسام الطلاق من جهة تنجيزه أو تعليقه . ويمكن إيجاز التطور التشريعى الذى مر به هذا الموضوع فيما يأتى :

١ — فهم بعض العلماء أن الطلاق الذى رسمه الشارع وأذن فيه هو ما كان منجزاً ، فإنه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة نص على جواز التطليق المعلق بالشرط .

بل لعل القرآن أشار إلى أن الطلاق لايقع إلا منجزاً حيث يقول :

« يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاجميلا ، ففى هذه الآية شرط وهو قوله تعالى إن كنتن وجواب معلق على هذا الشرط وهو قوله تعالى فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاجميلا . فهو تخيير ليس فيه تنجيز للطلاق عند وقوع الشرط ، ولكن فيه وعد لهن بالتطليق إذا اخترن المتاع ، ولو كان قد قال ، قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فأنتن طوالق ، لدل ذلك على مشروعية الطلاق المعلق لكنه عدل عن ذلك ليمكن أن يسرحهن سراحا جميلا إذا اخترن الحياة الدنيا وزينتها بأن يطلقن مستقبلات العدة تحقيقا لقوله تعالى فى آية أخرى : « يأيها النبي إذاطلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ، فهذه الآية الأخيرة تبين أن الطلاق المشروع هو طلاق النساء فى الوقت المشروع للطلاق ، وهو وقت استقبال المرأة العدة والطلاق المعلق على الشرط كثيراً ما يجر إلى إيقاع الطلاق فى غير وقت استقبال العدة ، وما يؤدى إلى غير المشروع لايكون مشروعا .

وهناك أحاديث نبوية معروفة تقرر أن الطلاق المشروع — المعبر عنه عند الفقهاء بالطلاق السني ، المقابل للطلاق البدعى — هو الذى يكون والمرأة مستقبلة عدتها ، ومنها ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عمر بن الخطاب رسول الله عليه وسلم عن ذلك فقال : مره

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل له : قل أنت طالق إذا استقبلت العدة لأن ذلك ينافي الحكمة التي قصدها الشارع من إعطاء فرصة للزوجين في مراحل الحيض والطهر مرة بعد مرة ، لعلهما أن يصلحا من أمرهما فلا يكون الطلاق الذي يكرهه الله .

وبذلك يكون الطلاق المعلق على الشرط غير جائز ، وغير مشروع ، إلا ما دل الدليل على جوازه وصحته مثل التعليق على مال وهو الخلع .

وقد روى هذا عن علي وشريح ، وطاوس وعطاء ، وأبي ثور ، وإليه ذهب أهل الظاهر ، وهو مذهب الشيعة الأمامية .

٢ — ويرى جمهور أهل المذاهب ، ومنهم الأئمة الأربعة والزيدية جواز التعليق ، على اختلاف بينهم بالنسبة لأنواعه .

ولهم على ذلك أدلتهم ، وقد ناقشهم مخالفوهم فيها ، ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى مثل كتاب (زاد المعاد لابن القيم) .

٣ — وقد كان العمل في مصر وشقيقاتها العربيات على رأي الجمهور ، وهو اعتبار الطلاق المعلق بشرط واقعا إذا تحقق الشرط دون تفرقه بين ما كان على سبيل اليمين ، وما كان طلاقا على الصفه ، حتى صدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ فنص في المادة الثانية منه على ما يأتي :

(لا يقع الطلاق غير المنجز ، إذا قصد به الحمل على فعل شيء أو تركه لا غير) .

وقد تضمنت هذه المادة :

١ — إيقاع الطلاق المنجز بدون قيد ولا شرط .

٢ — إيقاع الطلاق المضاف إلى زمن مستقبل مثل أنت طالق أول الشهر أو أول العام .

٣ — وإيقاع قسم من المعلق وهو الطلاق على الصفة ، مثل إن دفعت إلى مائة جنيه مثلا فأنت طالق .

٤ — إلغاء اليمين بالطلاق ، وهو على الطلاق لأفعلن كذا ونحو ذلك .

٥ إلغاء قسم من المعلق هو الذي في معنى اليمين مثل إن فعلت كذا فأنت طالق وهو لا يقصد إلا الحمل على تركه ، أو إن لم تفعل كذا وهو لا يقصد إلا الحمل على فعله .

وما قرره هذا القانون من إلغاء اليمين بالطلاق هو رأي طائفة من أصحاب الشافعي كالفضال : وصاحب التتمة ، ورأي داود وأصحابه : ورأي طائفة من المالكية في بلاد المغرب ، وأنه كان يفتي به في فارس والعراق والشام ومصر والجزيرة وخراسان في زمن ابن تيمية : كما نص عليه ، وأن الذين كانوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يفتون به كثيرون من علماء المذاهب الأربعة وغيرهم ، وإن لم يكن هو رأى جمهورهم .

وأما ما قرره من إلغاء الطلاق المعلق على شرط بقصد الحمل على الفعل أو الترك ، فقد بنى على أن هذا النوع من التعليق هو فى معنى اليمين ، وإن لم يكن بلفظ « على الطلاق » « أو » يلزمنى الطلاق » وأخذ فيه برأى الظاهرية ، والإمامية ، وما اختاره ابن القيم وشيخه ابن تيمية .

وقد وقفت القوانين الحديثة فى البلاد الشقيقة موقف القانون المصرى المشار إليه تقريبا :

فجاءت المادة السادسة والثلاثون من القانون العراقى تقول :

« لا يقع الطلاق غير المنجز ، أو المشروط أو المستعمل بصيغة اليمين » .

وهذا النص أكثر توسعا فيما لا يقع من المعلق ، فقد شمل إلغاء كل معلق ، أو مشروط أو صيغة لليمين ، بينما القانون المصرى يقرر وقوع المعلق الذى هو على الصفة ، وهو ما للمطلق فيه وطر وغرض يقصده سوى الحمل على فعل شىء أو تركه .

وجاء فى الفصل الخمسين من مدونة الأحوال الشخصية المراكشية ما يأتى :

« الحلف باليمين أو الحـــرام لا يقع به الطلاق » .

وجاء فى الفصل الثانى والخمسين منها ما يأتى :

(الطلاق المعلق على فعل شىء أو تركه لا يقع) .

وهو نص دال على التعميم فى عدم الوقوع بالتعليق أيا كان نوعه .

وجاء فى المادة السبعين من قانون حقوق العائلة الأردنى ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا قصد به الحمل على فعل شىء أو تركه) .

وفى المادة الحادية والسبعون منه :

(على الطلاق ، وعلى الحرام ، وأمثالهما ، لا يقع بها الطلاق ما لم تتضمن صيغة الطلاق مخاطبة الزوجة وإضافته إليها) .

وجاء فى المادة التسعين من قانون الأحوال الشخصية السورى ما نصه :

(لا يقع الطلاق غير المنجز إذا لم يقصد به إلا الحث على فعل شىء ، أو المنع منه ، أو استعمل استعمال القسم لتأكيد الإخبار لا غير) .

ويرى بعض العلماء المعاصرين أنه يجب تعديل المادة الثانية من القانون المصرى رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ تعديلا يؤدى إلى تحقيق ما يأتى :

الطلاق المعلق بجميع صوره وألفاظه لا يقع به شىء أصلا — (وهذا ما أخذ به القانون العراقى) .

اليمين بالطلاق لغو ولا يقع به شىء .

(وأقرب عبارة لهذا هى عبارة القانون العراقى أيضا)

محمد محمد المدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلى أي مدى تتغير الأحكام الشرعية بتغير الأزمان؟

للأستاذ بدر عبد الباسط

— ٢ —

انتهيت فى المقال السابق إلى أسس ينبغى أن تكون نصب أعين المفتين والذين يضعون للأمة قوانين يلزمونها بها . وتتلخص هذه الأسس فيما يأتى : —

(ا) أحكام غير قابلة للتطور ولا لاختلاف الآراء . وهى : —

١ — الأحكام الاعتقادية .

٢ — الأحكام المستنبطة من أدلة شرعية قطعية فى ثبوتها وفى دلالتها .

(ب) أحكام وقع فيها الخلاف ، لأنها مستنبطة من أدلة ظنية فى ثبوتها أو فى دلالتها ولا يسمى هذا الاختلاف تطورا ؛ وإنما هو اختلاف حجة وبرهان ؛ فمن ترجح عنده دليل رأى من الآراء أخذ به ؛ وكل ما يمكن أن نسلكه فى سلك التطور من هذا اللون من الأحكام هو الأخذ ببعض الآراء المرجوحة — غير الساقطة — إذا كان فى الأخذ بها توسعة على الناس ؛ ولا بدع فى ذلك ؛ فقد سبق الفقهاء الأقدمون إلى ذلك ؛ فقد روى عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما أنه كان يرى أن روث البهائم نجس نجاسة مغلظة كما يقول الإمام ؛ ثم قال : إنه نجس نجاسة مخففة ؛ يعفى عن مقدار ربع الثوب أو العضو الذى أصيب به ؛ ثم لما ذهب إلى بلخ ورأى اختلاط الأرواث بالطين ، وعموم بلوى الناس أفتى بطهارتها ؛ وقد قال فقهاء الحنفية إن الأساس الذى بنى عليه صاحبا أبى حنيفة وهما أبو يوسف ومحمد قولهما فى النجاسة تغليظاً وتخفيفا هو اتفاق العلماء على القول بالنجاسة أو اختلافهم فيها ؛ ومع هذا فقد أفتى محمد بالطهارة لعموم البلوى أخذاً برأى من يرى طهارتها كالإمام مالك ؛ ووسعه أن يخالف إمامه .

وعندى أن المفتى الدقيق فى فتواه ينبغى أن ينظر فى أحوال المستفتين ؛ ويفتيهم بما يتفق وظروف بيئتهم ؛ فإذا كان المستفتى تساعده ظروف حياته على أن يتحرز عن الأرواث وما فى معناها ينبغى أن يفتى بأنها نجسة نجاسة مغلظة لا يعفى منها إلا عن القدر القليل الذى حدده الفقهاء .

وأما إن كانت ظروفه لا تساعده إلا على التحرز اليسير ؛ فإنه يفتى — حينئذ — بأن هذه الأشياء نجسة نجاسة مخففة ؛ يعفى منها عما كان دون الربع من الثوب أو العضو.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما إن كان مبتلى كالرعاة مثلا فإنه يفتى بطهارتها .

وقد ضربت المثل بهذه المسألة لتكون كنموذج يحتذى فى المسائل الخلافية ؛ وروح التطور فيها هو الأخذ بالرأى الأنسب لكل فرد وكل جماعة ؛ فقد يتطلب المقام الأخذ بالأحوط وقد يتطلب المقام التساهل ؛ وإذا كان البلغاء يقولون : لكل مقام مقال : فينبغى أن يقول الفقهاء : ن لكل مستفت ظروفه وملابساته.

فلو أنى سئلت عن صحة نكاح أصول أو فروع المزنى بها ؛ وكان السائل - بعد - لم يعقد عليها لأفتيته بحرمة الزواج بأصل أو فرع من زنى بها ؛ أخذاً برأى الحنفية والحنابلة وكثير من الفقهاء ؛ فليس من المروءة ولا من الآداب الإسلامية أن يطلع الرجل من المرأة على ما اطلع عليه من ابنتها أو أمها .

وإما إن كان الزنى لاحقا لعقد الزواج فلا أفتى بفسخ النكاح القائم ؛ وإنما آخذ برأى الشافعية وبعض الفقهاء إبقاء على كيان أسرة قائمة ؛ وعملا بالنصوص التى تدعو إلى الستر فى مثل هذه الأحوال ؛ اللهم إلا إذا اشتهر بها أو كان قيام الزوجية مدعاة إلى دوام تلك العلاقة الآثمة .

ولو استفتيت فى شأن التزوج بمن رضع معها أو منها ، ولم يكن الزواج وقع فعلا لأفتيت بالمنع أخذا برأى الحنفية وكثير من الفقهاء فإن ذلك أحوط وأبعد عن الندم والشك الذى يحطم الحياة الزوجية ، وأما إن كانت الزوجية قائمة فإننى أفتى بأوسع الآراء وأسهلها فى باب الرضاع كمذهب الشافعى الذى اشترط خمس رضعات مشبعات متفرقات .

وقد توسعت فى هذا اللون من الأحكام فى هذا المقال لأنى اقتضبته اقتضابا فى مقالى السابق ، ثم هو باب واسع من أبواب الفقه التى ينبغى أن يعنى بها الفقهاء ، وأن يكونوا كالأطباء فيفتون كل شخص أو كل جماعة بما يلائمهم من أقوال الفقهاء .

ويعجبنى فى هذا المقال ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن إمرأة سألته فقالت إننا نغزل - ليلا - على ضوء مصابيح بعض الظلمة أيحل لنا ذلك ؟ فقال : من أنت ؟ يرحمك الله ، فقالت : أخت بشر الحافى فقال: من بيتكم خرج الورع ؛ أما أنت فلا .

فإن سؤال هذه السيدة سؤال عام يتناولها وغيرها ، ولكن جوابه خاص لأنه علم من حالها أنها تستطيع أن تأخذ بالأحوط والأورع ؛ فأفتاها بالحظر بالنسبة إليها فقط.

(ح) أحكام هى بطبيعتها قابلة للتطور وقد أجملتها فى مقالى السابق إجمالا وأعود فأفصلها بعض التفصيل وأحصرها - استقراء فى الأحكام الآتية :

١ — أحكام علقها الشارع على أوصاف بما يؤذن أن لهذه الأوصاف مدخلا فى تعليل الحكم كما ضربت لذلك مثلا بآية مصارف الزكاة ؛ وبينت فهم عمر رضى الله عنه لهذه الآية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووجه التطور فى هذا النوع من الأحكام أنه إن وجدا لوصف المعلق عليه الحكم وجد الحكم وإن عدم انعدم الحكم .

هذا إذا كانت العلة منصوصة أو فى حكم المنصوصة ، وأما إن كانت العلة مستنبطة كالإسكار فى الخمر أو مظنة الضرر فى لحم الخنزير كما يقول بعض الناس - فإن الحكم لا يتغير فالخمر حرام أسكرت أو لم تسكر إما لقلتها أو لاعتيادها لهم إلا إذا زال عنها معنى التخمر بأن صارت خلا ، لأنها - حينئذ - ليست خمراً ، ولحم الخنزير حرام مهما كان نقيا من الجراثيم والديدان ومهما بولغ فى طهيه وإعداده وتربيته إذ من الجائز إن لم يكن من المؤكد أن هذه الأشياء محرمة لذواتها ، وقد تعبدنا الله بتحريمها ليميز الخبيث من الطيب والعبد المتمرد من العبد الطائع .

٢ — الأحكام التى استنبطها الفقهاء من تصرفات الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى غزواته وسراياه وعطاءاته ومعاهداته فإن هذه الأحكام منها ما صدر عنه بوصفه رسولا مبلغا عن ربه ، وهذا - كما قلت - لا يجوز أن يكون محل جدل ، أو أن يقال : إنه من الأحكام المتطورة ، وأما ما صدر عنه بوصفه إماما لهذه الأمة فقد راعى فيها ظروف بيئته ومتطلبات وقته ، وبمسع الأمة أن تأخذ فى مثل ذلك بما يتفق وظروفها - وكما قلت - إن الفيصل فى ذلك هو القرائن .

٣ — أحكام استنبطها الفقهاء من أقوال مأثورة عن بعض الصحابة ، وجعلوها فى حكم الأحاديث المرفوعة بحجة أن مثل هذه الأقوال لا تقال بالرأى وإنما تقال عن توقيف من صاحب الشرع وذلك كرأى الحنفية فى أقصى مدة الحمل وأنها سنتان ، وكقولهم فى تحديد أقل مدة الحيض وأنها ثلاثة أيام وأن أكثره عشرة معتمدين فى ذلك على ما نقل عن عائشة رضى الله عنها مستبعدين أن يصدر عنها ذلك إلا عن توقيف ، مع أنه يمكن أن يكون قولها هذا عن استقراء وتتبع منها فمثل هذه الأحكام يمكن أن نعتمد فيها على استقرائنا ، ولست أغالى إن قلت إن إمكانية الإحصاء والتتبع فى عصرنا هذا - فى مثل هذه الأمور - أيسر ولا أرى غضاضة شرعا أن آخذ بما يثبت الاستقراء أنه الأكثر وقوعا مع الاحتياط فى أمر الأبضاع والأنساب .

نعم هناك أحكام نقلت عن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يمكن إلا أن تكون عن توقيف ، وهذه تلتحق بالأحكام المستنبطة من السنة وتخضع لقوانين الترجيح والتجريح التى وضعها العلماء لمعرفة الصحيح المقبول من غير المقبول ، ثم هى بعد ذلك تخضع لقطعية الدلالة أو ظنيتها على ما هو معروف عند الأصوليين ، وهذا - أيضاً - باب واسع من أبواب التطور فى الفقه ، وما علينا إلا التتبع لأمثال هذه الأحكام فى كتب المذاهب المختلفة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٤ — الأحكام التي استنبطها الفقهاء من القواعد العامة للشريعة .

مثل قاعدة لا ضرر ولا ضرار، الضرورات تبيح المحظورات، درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، ارتكاب أخف الضررين . لا يسأل المالك من أين ملك ، المالك يتصرف في ملكه كيفما يشاء . الحرج مدفوع بالنص . إلى غير ذلك من القواعد التي استنبطها الفقهاء من تتبع فروع الشريعة ثم أخذوا يطبقونها على ما قد تجد من حوادث ونوازل لم يرد فيها نص .

وهذه الأحكام هي من أوسع أبواب الفقه قابلية للتطور فكم من أمور ظن المتقدمون أنها ضارة فقالوا بمنعها ثم تبين أنها لا ضرر فيها أو أن ضررها أقـــل كثيراً من خيرها وكم من أمور ظن - قديما - إنها من الضرورات فأباحوا لأجلها المحظورات وكذا العكس . وكم من أمور رأوها غير ضرورية ثم بمضي الزمن تبين أنها ضرورة كبعض أنواع الإكراه الذي اعتبره بعض الفقهاء إكراها غير ملجيء كالتهديد بهتك عرض عزيز عليه أو التهديد بإفشاء سر يؤدي إلى قتله إلى غير ذلك ، فإني أرى أن مثل هذا من قبيل الضرورة التي تبيح المحظور .

وباب درء المفاسد وتقديمه على جلب المصالح من أخطر المزالق التي تنزلق فيها الأقدام وذلك لأنه ليس درء كل مفسدة مقدما على جلب كل مصلحة ؛ وإلا لزم حظر جل الأشياء أو كلها ، فكل خير مشوب بشر ما ، وكل شر مشوب بخير ما ؛ فما بين الله حكمه تقبلناه طائعين راضين وأما الأمور التي لا نص فيها فيتطلب الأمر فيها التدقيق والتمحيص والرجوع في ذلك إلى من يظن فيهم الخير ممن لهم بهذه المسائل خبرة وعلم .

ولهذه المناسبة أعجبتني فتوى فضيلة الأستاذ عبد الله غويشه مفتي الأردن بتحريم بيع الأراضي في القدس أو المناطق المحيطة بها إلى الأجانب واعتبار كل بائع لأجنبي خائنا لدينه ووطنه وسيكون مثواه جهنم .

هذه الفتوى التي نشرتها جريدة الأهرام القاهرية صباح يوم الجمعة ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦٤ فإن هذه الفتوى روعي فيها درء مفسدة عامة على الوطن العربي المسلم ؛ ولم يقم وزنا لما قد يجلبه هذا البيع من منافع عاجلة مهما كان قدرها .

فقد زرت القدس وعلمت أن الدول الأجنبية تتسابق لشراء العقارات التي تحيط بالمسجد الأقصى والتي تقع بينه وبين كنيسة القيامة وأنها تبذل الأموال الطائلة في هذا السبيل لتحيط المسجد الأقصى بملك غير المسلمين والله - من وراء كيدهم - محيط ؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولنا عودة بإذن الله .

بقلم المتولي عبد الباسط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

الأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) « لقد جاءكم رسول من أنفسكم : عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم ... » آية ١٢٨ .

(ب) « فإن تولوا - فقل : حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » آية ١٢٩ سورة التوبة .

(ا) ١ — حينما قام الصحابة بجمع القرآن فى مكتوب واحد على عهد أبى بكر ، وتحت إشراف عمر ، وباشتراك نخبة من حفاظ الصحابة - رضى الله عنهم جميعاً - كانوا يعتمدون فى الجمع والترتيب على شيئين هامين .

أحدهما : الحفظ الأكيد الذى كان معهوداً عند العرب ، والذى تركز عند الصحابة فى هذه الناحية - خاصة - بتكرار التلقى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

والثانى : الرقاع المكتوبة التى كانوا يدونون فيها ما يأتى به الوحى من القرآن ، حينما يتلقونه لساعته من الرسول ، ثم يحفظون تلك المكتوبات تحت أيديهم . صيانة لها ، واعتزازا بها ، واقتداء بما كان يفعله الرسول فى كتابة الوحى ، والحفاظ على هذه الوثائق تحت يده .

٢ — فلما انتهى عمل الحفاظ إلى الآية السابعة والعشرين بعد المائة - ١٢٧ - من سورة التوبة وجدوا أنفسهم يحفظون آيتين أخيرتين - ١٢٨ - ١٢٩ - ولم يجدوا بأيديهم النص الكتابى الذى يوثقون به حفظهم ، وجمعهم ، وترتيبهم ...

فتساءلوا عن هذا النص ، وسرعان ما تقدم به أبو خزيمة الأنصارى إلى عمر ، ومن معه .

وعندئذ تطابق الحفظ الجماعى ، مع النص الكتابى لهاتين الآيتين ، وختمت بهما سورة التوبة : توقيفا عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — وجمهور الصحابة أو المفسرين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعدهم يحدثوننا أن هاتين الآيتين آخر ما نزل على النبي من الآيات كلها .

وهناك آثار أخرى بأن آخر ما نزل : « اليوم أكملت لكم دينكم - الآية » ، أو آية « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله . الآية » إلخ.

وتعدد الروايات في هذا لا يمس جوهر الآيات ، ولا يخدش قداستها ، فإن ذلك مجرد اعتبار تاريخي : لا أكثر ...

والتاريخ الزمني شيء ، وصدق الآية ، وقداستها شيء آخر .

والقرآن بعد تمامه ، وانتهاء الوحي منه ، أصبح وحدة : لا يتفاوت فيها نص عن نص ، سواء تقدم هذا على ذاك في النزول ، أو تأخر بالنسبة لما معها

ولا يسوغ في تشريع الله أن تقرأ الآية على غير ترتيبها في المصحف . على أن بعض العلماء قالوا بصحة الآثار كلها باعتبار كل آية مما تناوله الخلاف كانت آخر ما نزل في موضوعها الذي تتعلق به .

فالآيتان المذكورتان آخر ما نزل في تعريف العرب بشأن محمد فيهم ... وفي تعريف النبي بما يفعله مع المعرضين عنه - وهكذا كل آية أخرى مما قيل فيه إنها آخر ما نزل .

* * *

٤ — وفي الآية الأولى توجيه إلى شخصية النبي من جهات عدة .

فهو إنسان من جنس الناس ، وليس من جنس آخر كالملائكة أو الجن مثلا .

واتحاد الجنس مدعاة إلى الألفة ، والاطمئنان : لا إلى النفرة والخصومة كما بدا من الكفار عامة ، ومن قريش خاصة ، وفرق ذلك : أن محمداً من نفس العرب ، وتلك علاقة أخص من علاقة الجنسية العامة .

ومحمد في قومه من ذؤابة العرب - قريش - غير منازع ... وهم أعرف به في نشأته ، وحياته ، طهراً وسمواً ...

فكان من حقه على قومه أكثر من سواهم أن ينحازوا إلى دعوته ، ويفخروا برسالته ، ويتمدحوا شخصيته ...

فهو منهم ، ومجدهم يستمد من مجده ... كما كانوا يفخرون بأبطالهم ، وشعرائهم ، وكرمائهم ، ويتمجدون بهم .

وكل ما لديهم من المفاخر لا يبلغ شيئاً مما توج الله به رسوله محمداً بن عبد الله : من مياسم الشرف ، والعزة ، والطهر ، والعصمة من كل شائبة أدبية ، أو نقيصة خلقية .

ولكن العناد ، والغباء ، والجهالة ، والغرور بالباطل : طغت كلها على نفوس قريش كما طغت على سواهم ، فتجهموا للرسول ، وكذبوه ، وقالوا : « لو شاء ربنا لأنزل ملائكة » ، وقالوا : « أبعث الله بشراً رسولا » ، وقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ... إلخ » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٥ — ومن توجيهات الآية الأولى بعد الإشادة بنسبه أن فيه خصائص ذاتية تقتضى منهم أكثر مما تقتضيه الصلة النسبية العربية .

ويقول فيها الله تعالى : « عزيز عليه ما عنتم » يعنى : يصعب على نفسه ما يصيبكم من مكروه وأنه لا يغض من عطفه عليكم ما يلقاه من إساءتكم له .

« حريص عليكم » شديد الرغبة فى هدايتكم وإيمانكم ، مع أن جزاء الطاعة محسوب لكم وعقوبة العصيان واقعة عليكم : فلله ولا عليه فإنما عليه البلاغ ، وقد بلغكم كل ما أوحى به إليه .

« بالمؤمنين رءوف رحيم » فرأفته تتمثل فى دفعه للضار عنكم ... ورحمته تتمثل فى جلب المنافع لكم .

ودفع الشر ، وجلب الخير أحب ما يناله المرء من غيره .. والرأفة ، والرحمة من صفات الله الحسنى وقد شهد الله بهما لمحمد صلوات الله عليه وسلامه .

٦ — وهذه المحامد كلها مظهر حق لأهليته للرسالة ، وجدارته بالقدوة فى أقواله وفى مسلكه فإذا كان فى مستوى الكمال فيما تشهدونه : نسبا ، وحرصا عليكم ، ورأفة ورحمة بكم فلماذا لا يكون موضع التقدير الأسمى عندكم .

وماذا يصدكم عن موالاته ، ويحملكم على مجافاته ، مع أنكم المنتفعون به فى الاهتداء ، والسلامة من العثرات . ؟ ؟

ونحن نرى فى هذه الآية دعوة أخاذة للعقول الواعية ، وجذابة للقلوب الحية ، والمستعدة للحياة .

وليس بعدها عذر لمن يتبلد إحساسه ، ويتخلف ذهنه عن حسن التقدير .

* * *

٧ — هذا وإنا لنلمس فى شخصية الرسول وفى خصائصه نموذجا لدعوة إبراهيم وإسماعيل يوم كانا يقومان ببناء الكعبة فى مطلع التاريخ الإسلامى العربى ... ويضرعان إلى الله بالدعوات البارة بهما ، وبالإنسانية جميعا .

« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم - أى فى الذرية المسلمة - رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك » . الآية ١٢٩ بقرة .

وفى آية أخرى كان دعاؤهما « ربنا وابعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياتك » وقد استجاب الله لإبراهيم وإسماعيل دعاءهما المبكر ، وبعث فى الأمة المسلمة رسولا من أنفسهم ، ختم به الرسالات والرسل .

والله يمتن علينا بهذا فى الآية التى معنا « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » .

وإنك لتشم من أريج الدعوة الإسلامية ومن نفحات القرآن كيفما نظرت فيه أو تلوت منه : أن شريعة محمد هى امتداد كامل لشريعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إبراهيم ، كما أن شخصية محمد هى الوشيجة المعطرة بين العرب وإسماعيل وإبراهيم .

« ذرية بعضها من بعض » وصلوات الله عليهم جميعا فى الأولين ، والآخرين .

* * *

(ب) ٨ — ثم جاءت الآية الأخيرة من التوبة تسلية للرسول فى مجهوده ، وتخفيفا من حدبه « فإن تولوا ، فقل حسبى الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم » ففيها تنبيه للنبى صلى الله عليه وسلم ، على أن الأمر مع هؤلاء قد بلغ مداه من العظة ، والاستنهاض فإن تولوا عنك يا محمد فيما دعوتهم إليه ، وأعرضوا عن توجيه أنفسهم نحوك فلا تشغل نفسك بهم : لأنك غير مكلف بإيمانهم ، وهدايتهم ... بل أنت مكلف بالدعوة ، والتذكير ، وقد فعلت ، وبعد ذلك لست عليهم بمسيطر ، ولا جبار .

« إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء » ، وقل فى نفسك ، وللناس : حسبى الله — هو الذى أعتمد عليه دون غيره .

وهو الذى يكفينى شروركم ، ويغنينى عن معونتكم إياى على أمرى ، ويعفينى من منتكم على بالمؤازرة ... فإنه لا إله إلا هو ، مالك الأمر كله .. وهو وحده رب العرش العظيم .

والعرش هو مركز التدبير الإلآهى لشئون خلقه ... وهو عظيم بعظمة الملك الواسع الذى لا يعلم محيطه غير الله .

وهو عظيم كذلك بعظمة الله الذى استوى عليه للتدبير والتصرف .

ولا يعلم حقيقة العرش فى كيانه ومداه غير الله تعالى .

ولا نقول بتشبيه الله فى استوائه على العرش باستواء الإنسان على مقعده ، ولا نقول بتحديد جهة عليا ، أو سفلى ... ولا نتعرض للخوض فى أمور الغيب كلها ، وقد أعفانا الله من البحث فى هذه الجوانب البعيدة عن مستوى عقولنا ، واكتفى من عباده أن يؤمنوا بالغيب على ما يعلمه الله .

وذلك هو إيمان العجائز فى هذا الشأن المجهول لنا ، وكان الإمام مالك وغيره من جهابذة الأئمة يقولون : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول .

يريد — والله أعلم — أننا نفهم معنى الاستواء بالنسبة لنا ... ولكننا نجهل كيفيته بالنسبة لله ... وهذا مجال الدعاء بالإيمان البرىء من التدخل ، كإيمان العجائز الذين يسلمون وجوههم إلى الله ، وهم محسنون ، فكانوا مستمسكين بالعروة الوثقى فى تدينهم ؟

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مفهوم الإيمان

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

إن جوهر الرسالة الإسلامية السمحاء التي أشرق بها خاتم الأنبياء على الدنيا ليوجهها نحو الهداية والخير هو الإيمان.

وقد حدد رسول الله صلى عليه وسلم مفهوم الإيمان تحديدا واضح المعالم فبين أن الإيمان عقيدة وقول وعمل.

ففي صحيح البخاري إمام المحدثين في باب أداء الخمس من الإيمان.

عن ابن عباس أن وفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم قال: من القوم؟ قالوا: ربيعة قال: مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، فقالوا: يارسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل الجنة - فكان مما أمرهم به - الإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس إلخ.

فقد أوضح المعلم الأول حقيقة الإيمان في مفهوم الشرع بأنه يشمل مع التصديق النطق بالشهادتين وهو قول. وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان. وهي أعمال وهذا مافهمه السلف، وقال به المحدثون، ومعهم إمامهم البخاري الذي أحاط بالسنة دراية ورواية.

وفي ضوء هذا الفهم لمعنى الإيمان فسر البخاري معنى الحديث الآخر الذي كان مثار الجدل في الاختلاف في معنى الإيمان عند المتكلمين.

وهو ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله. وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم.

قال أبو عبد الله البخاري فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الإيمان إذ جعله دينا والحق أنه ملحظ دقيق من البخاري يوحي به صراحة الحديث السابق لوفد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبد القيس، بخلاف من غاير بين مفهوم الإيمان والإسلام، وقصر الإيمان على العقيدة ؛ فإنه لا يتمشى مع التعبير الصريح فى إحاطة الإيمان فى حديث وفد عبد القيس للعقيدة والقول والعمل ...

وإن تفسير العالم البصير بالأحاديث فى أمر من أمور الدين إنما يتسم بالدقة والاعتدال حتى لا يخالف نصاً آخر

وكما كان البخـــارى صاحب قدم راسخة فى الحديث كان صاحب القدم الراسخة أيضا فى التفسير [1] فهو يمتاز بتفسير القرآن فى ضوء السنة الصحيحة .

وبهذه المقدرة جمع فى سهولة ويسر بين النصوص التى شبهت على علماء الكلام والجدل وأثاروا حولها ضجة جوفاء فى مفهوم الإيمان والإسلام .

فبين أن التغاير فى المفهوم إنما يكون حيث يراد المعنى اللغوى .

وأما حيث تراد الحقيقة الشرعية الكاملة فهما مترادفان .

وقد ترجم بما يوضح ذلك فقال : « باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل » .

لقوله تعالى : قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .

فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره « إن الدين عند الله الإسلام » وبهذا المعنى قال الغزالى والدوانى .

« والإسلام الكامل الصحيح لا يكون إلا مع الإيمان، فلا ينفك عنه والإسلام الظاهرى قد ينفك عن الإيمان » .

وبلغ إيمان البخارى بهذه العقيدة أنه كان لا يأخذ الحديث إلا عمن قال : الإيمان قول وعمل يقول : أخذت عن أكثر من ألف رجل ثقة من أهل الحجاز، والعراق، والشام، ومصر وخراسان ما رأيت واحداً منهم يختلف فى هذه الأشياء : الإيمان قول عمل ، وأن القرآن كلام الله .

وهذا هو ما كان عليه السلف كما يقرر إمام من أئمة الأحناف ومن كبار محدثى الهند محمد أنور الكشميرى .

يقول : الإيمان عند السلف عبارة عن ثلاثة أشياء : اعتقاد وقول وعمل يزيد وينقص »

وقد وفق الكشميرى بين قول أبى حنيفه : وبين قول السلف فى المعنى ، وحقق الخلاف بينهما بأنه فى التعبير اللفظى فقط .

فقال : وإمامنا وإن لم يجعل الأعمال جزءا لكنه اهتم بها، وحرص عليها. وجعلها أسبابا سارية فى نماء الإيمان بخلاف المرجئة القائلين: بأن الإيمان هو التصديق فقط وأنه لا يضر مع الإيمان معصية ؛ فإنهم حطوا الأعمال عن رتبتها وعطلوها، وجعلوها كالطروح وهذا جهل عظيم.

(١) من مؤلفاته التفسير الكبير موجود بمكتبة فرنسا.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إلا أن تعبير المحدثين القائلين : بجزئية الأعمال لما كان أبعد من المرجئة المنكرين جزئية الأعمال وكان تعبير إمامنا أبي حنيفة أقرب إليهم من حيث نفي الجزئية للأعمال رمى الحنفية بالإرجاء رهم منه بريئون .

كما حقق الكشميري الخلاف بين من قال من الأحناف بعدم زيادة الإيمان و نقصه ، وبين عقيدة السلف في زيادة الإيمان و نقصه فبين أنه لا خلاف حيث إن الجهة متغايرة فمن قال بعدم الزيادة والنقصان أراد ما يؤمن به .

وأن من قال بالزيادة والنقصان أراد الإيمان نفسه .

وفي طبقات الحنفية تحت ترجمة (إبراهيم ابن يوسف) تلميذ أبي يوسف، وأحمد بن عمران « كانا يقولان بزيادة الإيمان ونقصانه ، مع كونهما من كبار الحنفية .

ويقول ابن حبان : إن البخاري عد كل طاعة عدها الله في كتابه من الإيمان، وكل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان .

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الإيمان : بضع وستون شعبة والحياء من الإيمان .

وفي شرح هذا الحديث يقول شيخ الإسلام ابن حجر بعد عرض كلام الشراح : « وقد لخصت مما أوردوه ما أذكره وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان وأعمال البدن » .

ويقول الخطابي في شرح شعب الإيمان : في هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له ، أدنى وأعلى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع شعبه ، وتستوفي جملة أجزائه كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق ببعضها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : « الحياء شعبة من الإيمان» ويقول الإمام النووي : وأما إطلاق اسم الإيمان على الأعمال فمتفق عليه عند أهل الحق، ودلائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر قال تعالى : « وما كان الله ليضيع إيمانكم » أجمعوا على أن المراد صلاتكم .

وفي شرح النووي لصحيح مسلم في باب الإيمان قول وعمل ـ قال عبد الرزاق : سمعت من أدركت من شيوخنا ، وأصحابنا سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وعبيد الله بن عمر والأوزاعي، ومعمر بن راشد ، وابن جريج وسفيان بن عيينة، يقولون: « الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» وهذا قول ابن مسعود، وحذيفة والنخعي، والحسن البصري، وعطاء، وطاوس ومجاهد وعبيد الله بن المبارك فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة التصديق بالقلب والإقرار باللسان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والعمل بالجوارح ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أنه لو أقر و عمل على غير علم منه ومعرفة بربه لايستحق اسم مؤمن، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لايسمى مؤمنا بالإطلاق . وإن كان فى كلام العرب يسمى مؤمنا بالتصديق فذلك غير مستحق فى كلام الله لقوله عز وجل « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً » .

فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته .

ويقول ابن بطال : وهذا المعنى هو مذهب أهل السنة ، والجماعة ، وقد أراد البخارى رحمه الله . بما ترجم فى كتاب الإيمان وعليه بوب أبوابه كلها ، وإنما أراد الرد على المرجئة فى قولهم إن الإيمان قول بلا عمل وتبيين غلطهم وسوء اعتقادهم ومخالفتهم للكتاب والسنة ومذاهب الأئمـــة .

وفقنا الله إلى الإيمان الصحيح عقيدة وقولا وعملا ، وهدانا سبيله المستقيم .

الحسينى عبد المجيد هاشم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المؤمنون حقـا

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حلاوة الإيمان

للأستاذ محمد محمد أبو زهو

(عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار) . أخرجه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى) .

ما تزال النبوة تنفح البشرية من أسرارها الدقيقة ، وحكمها الرفيعة . ما يعلى من شأنها ، ويرفع من قدرها إلى ذروة المجد والسؤدد ، والفوز والسعادة ، والنبوة فى هديها السامى معصومة عن الخطأ . وفى منهجها الحكيم منزهة عن الإكثار والثرثرة ، فجميع أقوالها جوامع كلم ، وكل أفعالها تصدر بميزان صحيح ، وحكم سليم ؛ لأنها فى كل ما تأتى أو تذر لا تنطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » ، وكل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب الرسالة المشرفة صلى الله عليه وسلم .

وفى هذا الحديث الشريف يصور لنا رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه أثر الإيمان الكامل فى النفوس الطيبة ، والقلوب الطاهرة المخلصة ، التى أفعمت بمحبة الله ، وتمكن فيها الشعور بجلال وعظمته ، فاستراحت إليه وحده ، واطمأنت إلى حكمه العادل وقوله الصادق ، وعرفت أنه هو - لا غيره - مصدر كل خير ، ومبعث كل إحسان وفضل ، بيده الملك والخلق والرزق والإنعام . خلق العالم أجمع ، ودبر شئونه . فهو يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وسخر الشمس والقمر والنجوم ، وخلق البحار والجبال ، وأرسل الرياح مبشرات ، وأنزل الأمطار . وأجرى الأنهار . « إن فى خلق السموت والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض . لآيات لقوم يعقلون » ، « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ، فمن نظر العقلاء فى هذه الآيات المبثوثة فى الأنفس والآفاق ، فعلموا أن لهم ربا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هو الإله الحق الواحد الأحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . كامل فى صفاته وأفعاله منزه عن كل ما سواه « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، وعلموا كذلك أنه لم يخلق العالم عبثا ، ولم يترك الناس هملا . بل كما تفضل عليهم بنعم لا تحصى ، وآلاء لا تعد ولا تستقصى أنعم عليهم بنعمة الطهر وشريعة الإسلام الحنيف فبعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، رسولا بشيرا ونذيرا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، فهداهم به الصراط المستقيم بل أخرج العالم كله من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان ، وصدق الله العظيم « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ، وإذا تأمل فى هذه الشريعة الخالدة يجد أن سر خلودها نوران : كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة مطهرة شارحة له ومفسرة لأغراضه ، فاكتمل بهما الدين وتمت بهما النعمة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » . فسبحان من أجرى السحاب وأنزل الكتاب . ففى كل منهما حياة للبشر حياة لأبدانهم وحياة لأرواحهم ، فلا عجب إذن إذا كان المؤمن الذى جال بعقله وطاف بفكره فى هذا الملكوت العظيم ، وتأمل فى هذه العوالم وما حوته من أسرار فلم يجد لها سوى الله ربا ، أن تمتلىء نفسه حبا لله وينعم قلبه بلذة روحية تملك عليه روحه وجوارحه . أجل إن محبة أساسها النظر إلى ما أبدع الخالق وما أفاض وما أنعم لهى نقطة انطلاق إلى العمل النافع من أجل حياة فاضلة وسعادة تامة فى الآخرة .

وسواء علينا أقلنا أن اللذة المترتبة على محبة الله تعالى حسية أم عقلية ، فإنه مما لا شك فيه كما قرره النبى صلى الله عليه وسلم أن لذة ما تملك على المؤمن قلبه وروحه وجوارحه لتجعله يقطع كل صلة له بغير الله ورسوله ويقدم رضاهما على كل ما سواهما ، حتى نفسه التى بين جنبيه « قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ، وقال عمر بن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم : (لأنت يا رسول الله أحب إلى من كل شيء إلا نفسى . فقال : لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنك الآن - والله - أحب إلى من نفسى ، فقال : الآن يا عمر) .

يقول النبى صلى الله عليه وسلم : (ثلاث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من كن فيه وجد حلاوة الإيمان) أى خلال ثلاث من وجدن فيه وتحققت عنده وامتزجت بروحه ودمه ، وسرت فى عروقه ، وظهرت آثارها على جوارحه وانشغل بها جنانه وتحركت لها أركانه فإنه يجد للإيمان لذة روحية عقلية وفكرية يدركها بعين بصيرته ويحسها بحاسة القلب كما يحس من تعاطى شيئاً حلواً حيث يجد لذته فى فمه ، وهذا تمثيل وتصوير للأمر المعقول بصورة المحسوس تقريبا له فى الأذهان .

أولى هذه الخصال : (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) أى أنه يحب الله ورسوله حبا يعلو على حبه لكل شىء مما سواهما وهذا التعبير (بما) دون (من) لإفادة العموم فيتناول النفس والأهل والمال والولد والجاه والسلطان والدور والقصور ، وفى جمعه بين اسم الله والرسول فى ضمير إشارة لطيفة هى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما على انفراد ، فمن ادعى حب الله وحده دون رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كاذب ومن ادعى حب الرسول وحده دون الله سبحانه وتعالى كان فى ادعائه ذلك كاذبا .

هذا وقد اختلف العلماء فى معنى محبة العبد لله تعالى . فبعضهم فسرها بالطاعة ، وبعضهم فسرها بأنها : ميل الطبع إلى شىء ملذ ، وتفسيرها بالمعنى الثانى أولى ، ويؤيده ما روى فى الصحيح أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : ما أعددت لها ؟ . قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكن أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم (أنت مع من أحببت) فقد فرق الرجل بين طاعة الله وحب الله ، وأقره النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك . غير أن الطاعة من لوازم المحبة فإن من أحب أحداً سعى فى مرضاته وعمل على تحقيق رغباته ولله المثل الأعلى فمن أحبه سبحانه عمل بطاعته وتجافى عن معصيته وإلا فما أحب الله من عصاه .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

الخصلة الثانية : (أن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أى إنه لا يحب أحداً من الناس لغرض من الأغراض الدنيوية بل لغرض واحد فقط هو رضا الله بالطاعة والبعد عن المعصية ، فتكون محبته لوالديه مثلا لأن الله تعالى يرضى عن ذلك ، ولأنه أمر بالإحسان إليهما ودفع الأذى عنهما فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم وتكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محبته لولده لأنه يعينه على طاعة الله ، ولأنه يكون خليفة له فى الإسلام يوحد الله ويعبده ويكثر سواد المسلمين والمجاهدين فى سبيل الله بالعلم والعمل والسيف والقلم وكذلك يكون بغضه للمرء بسبب بغض الله إياه لانحرافه وزيغه أو عصيانه وغيه .

هذا . وانظر إلى حال المسلمين الآن وقد أصبحت محبة بعضهم لبعض على أساس مادى خالص تبعا لأهوائهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . وهذا سببه أنهم غفلوا عن مجرى الخير ومسديه ومانحه ومعطيه وهو الله رب العالمين ، كذلك غفلوا فلم يفقهوا أن جميع الخلق وسائط لا تنفع ولا تضر إلا إذا أراد الله لها النفع أو الضر وبالرغم من الحوادث والعبر التى كان ينبغى لهم أن يتعظوا بها فهم لا يعتبرون بما يقع لهم ولغيرهم فهذا رجل يحب ذا جاه طمعا فى جاهه وينفق على هذه المحبة من النفاق والذل ، أو يعلق قلبه بذى منصب كبير رجاء الحصول على درجة أو وظيفة ، فيهن ويذل فى سبيل ذلك ثم يفاجئه القدر بالموت أو العزل من المنصب لمن يعلق عليه آماله فيصبح يقلب كفيه على ما أنفق من ذل وهوان ألا إن الأمور كلها تجرى حسب ما قدر الله سبحانه وعلى وفق علمه وإرادته ، فلماذا لا نطلب حوائجنا ونحن أعزاء كما أريد منا (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير) ألا إن المنافقين يطلبون العزة عند غير الله ، ويسلكون لها طريقا هو طريق المذلة والهوان فباءوا بالخيبة والخذلان ، « ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » .

ينبغى لنا أن نتخلع بأرواحنا إلى ما وراء المادة لنرى بعين البصيرة هذا المدبر الحكيم لشئون العوالم علويها وسفليها ، ولنعلم أن ما أصاب المرء لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً وأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوا أحداً بشىء لم يكن إلا بما كتبه الله تعالى له ، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشىء لم يضروه إلا بشىء قد كتبه الله تعالى عليه . فعلى المؤمن أن يلجأ بطلبته إلى الله قبل كل شىء فيقرع بابه ويجأر بحاجته ، ويديم ذلك - فإن الله يحب ذلك من عباده - ثم يأخذ فى الأسباب العادية سالكا طريق الدين الحنيف وهو الطلب فى عزة نفس ، فلا يغفل عن مسبب الأسباب الذى هو مصدر الخيرات كلها ، وإلا أشرك العبد مع الله غيره من حيث لا يدرى فى الحديث الشريف (من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه) .

الخصلة الثالثة : (أن يكره أن يعود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار) أى أنه يكره أن يصير ويتحول إلى الكفر كراهة تعادل كراهته لأن يقذف به فى النار ويرمى به فيها رميا ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على ثبات إيمانه ، وقوة يقينه ، فاقتلاع الإيمان منه بعد ذلك انتزاع لروحه من جسده بأشد أنواع العذاب وهو العذاب بالنار فكأن الكفر والنار عدلان لذا كان جزاء الكافرين يوم القيامة عذاب النار .

أجل : إن المؤمن وقد غمره الله تعالى بآلائه وأسبغ عليه من عظيم نعمائه ، وسخر ما فى الكون جميعا لمنفعته ، وارتفع به عن مرتبة المجاوات إلى مرتبة الإنسان العاقل الرشيد . وفضله على كثير من خلقه ، وحمله فى البر والبحر ، ثم أكرمه بإرسال الرسل معلمين ومرشدين ليعده لحياة أعظم من هذه الحياة ينعم فيها بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ، فى جنة عرضها السموات والأرض إنه لا شك يدفعه ذلك إلى الحرص على الإيمان بالله ، والحفاظ عليه ، لأنه السبيل إلى النعيم المقيم ، كما أنه الطريق الوحيد للنجاة من الخلود فى نار جهنم . فيرى الكفر أمراً قبيحاً بشعاً ، وناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى .

هذا ، وإذا أمعنا النظر فى الخصلتين الثانية والثالثة وجدناهما راجعتين إلى الخصلة الأولى ولازمتين لها ، فإن محبة الله ورسوله تهيب بالمرء إلى طاعة الله ، وعمل ما يرضيه ، وتجنب ما يغضبه فهى أساس لجميع الخلال الحسنة ، وفعال الخير ظاهرة وباطنة ، فمن أحب الله ورسوله عامل الخلق معاملة أساسها رضا الله ، وتكون كراهته الوقوع فى الكفر مثل كراهته لأن يرمى به فى معظم النار وذلك راجع لمحبته لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بل إن كل خلال الخير وشعب الإيمان إذا أمعنا النظر فيها وجدناها ترجع لمحبتنا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما اقتصر النبى صلى الله عليه وسلم على هاتين الخصلتين اهتماما بهما لعظم شأنهما ، لأنهما أصلان لجميع شعب الإيمان وأمور الدين ، فإن إحداهما : وهى أن يحب المرء لا يحبه إلا لله تتعلق بمعاملة المخلوقين والثانية وهى أن يكره أن يعود فى الكفر تتعلق بمعاملة الخالق سبحانه وتعالى ، ولا تخرج آثار المحبة لله ورسوله فى سلوك العبد عن هاتين المعاملتين ، وهذا من أسرار البلاغة النبوية ، وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فسبحان من علمه ، وكمله ، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونظرة أخرى ننقلها عن الحافظ بن أبي جمرة قال رحمه الله :

(هذه الثلاثة الألفاظ ترجع إلى اللفظ الأول منها ، وهو أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . لأن من ضرورة المحبة لله ولرسوله أن يدخل ما ذكر بعد في ضمنه ، لكن فائدة إخباره عليه السلام بتبيينك الحالتين اللتين ذكرتا بعد ذلك اللفظ يريد به أن من ادعى حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فليختبر نفسه في حب المرء لماذا يحبه ؟ وفي الإكراه على الكفر كيف يجد نفسه إن ابتلي بذلك لأنه قد يسبق للنفوس ادعاء بحب الله ، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ، فجعل عليه السلام هاتين العلامتين للتفريق بين الدعوى والحقيقة) .

ألا إن محبة الله ورسوله هي ملاك الأمر كله وهي طريق إلى النجح في الحياتين ، وهي طلبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، سألها نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فقال : (أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك) والآن كيف نصل إلى هذه المحبة ؟ وما هي الأسباب التي توصلنا إليها ، وما هي الآثار التي تعود علينا وتؤثر في سلوكنا كأفراد وجماعات ، ثم ما هي الأشراط والأمارات التي تظهر لنا فنعلم أننا نحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فنطمئن لأننا قد وصلنا إلى هذه المرتبة من السلوك . ثم ما مبلغ هذا السلوك في واقع الأمة الإسلامية في الماضي والحاضر ؟ وفي تكوين المجتمع المثالي ؟ هذا ما نريد أن نعرض له في الكلمة الآتية إن شاء الله تعالى حبا في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكشفاً عن أسرار هذه الشريعة الخالدة ومن الله العون والتوفيق .

محمد محمد أبو زهو
المدرس في كلية أصول الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفراغ النفسي عند الشباب

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

لقد عنى الشباب في العصر الحاضر بشيء غير قليل من الفراغ النفسي ، وسواء في ذلك الشباب في الشرق أم في الغرب ، وها نحن أولاء نرى المصلحين والغيارى على مصالح أممهم وشعوبهم فزعين من هذه الحال التي وصل إليها الشباب في هذا القرن الأخير ، ونسمع صيحاتهم ترتفع هنا وهناك بالعلاج ، وتدارك الأمر قبل أن يستشري الداء ويعز الدواء .

وإن هذا الفراغ النفسي يتمثل في فراغ القلب من معاني الإيمان والهداية ، وفراغ النفوس من معاني الأخلاق الكريمة ، والفضائل الإنسانية السامية ، وفراغ العقول من معاني الحق والعدل والخير ، والعلم النافع الصحيح الذي يبني ولا يدمر ، ويصلح ولا يفسد ، وينصف ولا يتجنى ويظلم ، العلم الذي يجب أن يكون رحما بين بني آدم جميعا ، والذي يسري بين الناس جميعاً لا فرق بين شرقي وغربي ، ولا سامي وآري ولا أبيض وأسود ولا بين جنس وجنس ، ولا بين شعب وشعب .

ويحسن أن أتناول ما وصل إليه حال الشباب في بلاد الإسلام والعروبة ، وهي مهد النبوات والرسالات السماوية التي تتسم بالروحانية الصادقة ، والمعاني الإنسانية النبيلة ، والمادية المعتدلة المقتصدة غير الجائرة ، وموطن حضارة زاهية مشرقة فرضت سلطانها على العالم أحقابا من الزمان بأصالتها وصفائها وإنسانيتها التي لم تفرق بين دين ودين ، ولا بين لون ولون ، ولا بين عربي وغير عربي ، والتي شملت بخيرها وبرها الناس جميعاً تلك هي حضارة الإسلام : حضارة الإيمان والأمان ، والرحمة والسلام ، والحق والعدل ، والتعاون على البر والتقوى ، والتآخي والتحاب .

وما كان لنا أن نصف الدواء لهذا الفراغ النفسي دون أن نعرض لبيان الأسباب .

وفي الحق إن هذا الفراغ النفسي في بلاد الإسلام والعروبة جاء نتيجة تآمر دول الاستعمار على شعوب الشرق الإسلامي والعربي ، هذا التآمر الذي يعتبر امتداداً للحروب الصليبية وقد مضى عليها بضعة قرون ، وكانت نهايتها انتصار الشرق الإسلامي العربي على الغرب الصليبي العربي المتعطش للدماء ، على يد الأبطال المغاوير بقيادة البطل المسلم العربي صلاح الدين ، ورجع الغرب يجر أذيال الهزيمة والعار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما زال هذا النصر جروحا فى نفس الغرب لا تندمل حتى كان القرن الأخير وكان ما كان من تفرق المسلمين والعرب شيعاً وأحزابا ، فوجد الغرب المغيظ المحنق الفرصة سانحة لأن يشفى ما فى نفسه من غل وموجدة على الشرق الإسلامى العربى ، وبدأت فصول المأساة المحزنة تتلاحق حتى كان من ذلك ليل طويل مظلم لم يتنفس صبحه إلا بعد جهاد وكفاح مرير .

وليس أدل على بقاء الصليبية إلى عصرنا الأخير من قول اللورد اللنبى فى الحرب العالمية الأولى لما دخل بيت المقدس منتصراً « الآن انتهت الحروب الصليبية » !!!

إن الروح الصليبية - روح الغدر والحقد والتسلط - لا تزال مسيطرة على دول الغرب ، وقد اتخذت طرقا شتى للوصول إلى غاياتها الدنيئة ، ومقاصدها السيئة فهى لا تزال تعمل ما استطاعت على استئصال الروح الدينية ، والقيم الخلقية من نفوس المسلمين والعرب حينا ، والغزو الثقافى ، والتشريعى والأخلاقى حينا آخر ، وعن طريق قمع ثورات التحرر والحرب السافرة حينا ثالثا .

ونحن لا ننسى ولا التاريخ ينسى ما قامت به دول الاستعمار من مقاومة لحركات التحرر من غير شفقة ولا رحمة فى مصر ، وفى بلاد الشام ، وفى ليبيا ، وفى الجزائر ، وفى بلاد المغرب ، وفى البلاد الشهيدة فلسطين ، وفى الجزيرة العربية ، كما لا ننسى هذا الهجوم الثلاثى الغادر على بور سعيد ، وسيناء ، ومنطقة القنال عام ١٩٥٦ ، والذى ارتد مذءوما مدحورا بفضل تضامن الشعب والجيش ، ووقوف الحكام والمحكومين صفا واحدا لم يجد فيه العدو الغادر المتربص ثغرة ينفذ منها .

ولا تزال هذه الصليبية تعمل عملها فى بلاد من بلاد العروبة كعدن والإمارات وسيقضى المجاهدون الثائرون على البغاة الحاقدين ، كما قضى على أسلافهم من قبل بإذن الله ومشيئته « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » ، ولئن كان الاستعمار قد ولى ، وحمل عصاه على عاتقه إلى غير رجعة - إن شاء الله - فلا تزال آثاره السيئة باقية بيننا ، متسلطة على نفوس الكثيرين منا .

لقد نجح الاستعمار أيما نجاح فى إضعاف الوازع الدينى من القلوب ، وقلب المعايير الخلقية فى النفوس ، ومسخ الثقافة الإسلامية الأصيلة فى العقول ، وفى الإطاحة بحدود الإسلام ومناراته من المجتمعات الإسلامية .

وقد ساعد الاستعمار فى مهمته الهدامة التخريبية فئة رباها الاستعمار بيديه ، وصنعها على عينيه ، فتشبعت بآرائه وأفكاره فى الدين والتشريع ، والأخلاق والتعليم ، والحكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والسياسة ، وهيأ لها مراكز القيادة والتوجيه في بلاد الإسلام والعروبة ، فسارت الأمور في هذه البلاد كما أراد المستعمرون ، فهم يدبرون ويكيدون من وراء الستار ، وهؤلاء الصنائع من أبناء هذه الشعوب ينفذون بل ويخلصون في التنفيذ ، ويلبسون على الناس بأن هذا هو الإصلاح ، وقد انخدع بظواهر هؤلاء الكثيرون ، وإن كان قد تنبه لألاعيبهم المخلصون المخلصون ، وقليل ما هم ، وحذروا وأنذروا ، ولكن ما أطيع لهم رأي ، وذهبت صيحاتهم أدراج الرياح ، وكانوا كمن ينفخ في رماد .

وها هي ذي دول الإسلام والعروبة قد تخلصت جميعها - تقريبا - بفضل الله ومنته ثم بفضل الجهاد والكفاح من كابوس الاستعمار وآصاره ، وأغلاله ومكايده .

نعم لقد تخلصت من الاستعمار السياسي ، ولكن آثار هذا الاستعمار من الغزو الروحي والخلقي ، والثقافي ، والتشريعي ، والاجتماعي لا زالت باقية بيننا ، هذه الآثار التي كانت العامل الأساسي في إحداث هذا الفراغ النفسي في نفوس الشعوب ولا سيما الشباب .

فما الذي يمنعنا — حكاما وشعوبا — وقد أضحى أمرنا بيدنا من القضاء على كل هذه الآثار السيئة ، وبذلك يتحقق لنا الاستقلال التام الصحيح ، وتعود لنا مقوماتنا الإسلامية وخصائصنا الثقافية ، والأخلاقية ، والتشريعية .

ولقد ساعد على هذا الفراغ النفسي هذا التغير والتحول الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية من سيطرة المادة ، وسلطان الآلة ، وما وصل إليه العالم من تقدم كبير في علوم الذرة ، وغزو الفضاء ، وصناعة الأقمار وسفن الفضاء .

فقد كان لهذا تأثيره في زعزعة العقيدة الإيمانية في بعض النفوس التي لم تنل حظا من الدين ، وفي تخلخل القيم الخلقية في النفوس وفي التقليل من شأن الثقافات الإنسانية ، والعلوم النظرية في العقول ، فأصبحنا نجد من شبابنا من لا يهتم بشعائر دينه وآدابه ويعتبر التدين تخلفا ورجعية ، ولا ينفك عن التهكم بالدين وتعاليمه ، ومن لا يقيم للقيم الخلقية وزنا ، ويرى الوصول إلى مآربه وأهوائه حتى ولو كان في هذا انتهاك الأعراض وسفك الدماء ، واغتصاب الأموال ، ومن لا يعرف لآبائنا المسلمين والعرب فضلا على الحضارة الإنسانية بل يتنقصهم ويحط من شأنهم . وتقسمت الأهواء ، والمذاهب الباطلة الشباب : فمنهم من هو ملحد ، ومنهم من هو وجودي ، ومن هو شيوعي ، ومن هو بهائي ، ومن هو قادياني وو ... إلخ ..

لقد كان أول من فتن بهذا التقدم العلمي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رائد من رواد الفضاء أبت عليه بيئته التي نشأ فيها ، وتعاليم هذه البيئة اللادينية أن يشكك في وجود الإله زاعما أنه لم يره !!! وكأن هذا الرائد الذي ختم الله على قلبه ، وجعل على بصره غشاوة يظن أن الله سبحانه وتقدست أسماؤه وصفاته جسم من الأجسام ، أو آلة من الآلات ، وما درى - ويا هول ما جهل - أن الله لا يرى بالأبصار وإنما يرى بالبصائر ، وأنه لا ترى ذاته ، وإنما يرى بآثاره ومظاهر خلقه ولو أنه فكر قليلا ، وتخلص من عقيدته الباطلة لاستجاب لفطرته بعد ما رأى وعاين من ملك الله وجلال خلقه ، وعظمة آثاره ، ولأيقن أن هذا الكون على سعته وعظمه لا يمكن في العقول أن يوجد بغير موجد ، وأن له إلها مدبرا حكيما عليما قديرا قيوما ، وهو الله جل جلاله .

إن سفينة الفضاء التي حمل فيها هذا الرائد لو غفل عنها العلماء الذين يسيرونها أو اختل جزء منها ، أو انحرفت عن مسارها الذي خصص لها قيد شعرة لسقطت وهلك من فيها وصدق الله سبحانه ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، وقال في أمثاله . لهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

وأحب أن أقول لهؤلاء الذين يجهلون من تقدم العلوم والمعارف ويشفقون من ذلك على الأديان : إن دين الإسلام لا يضره تقدم الكشوف العلمية والاختراعات ، لأنه دين العلم والمعرفة ، ودين العقل السليم ، والنقل الصحيح والمسلمون أيام أن كانوا مهتدين بهدى هذا الدين ومتمسكين به عقيدة ، وعلما وعملا وأخلاقا ، كانوا سادة الدنيا وعلمها ، ورواد البحث والإبداع ، وما تخلفوا في هذا المضمار إلا لما نكصوا عن هذه الهداية ، ولم يفهموا الإسلام على وجهه الصحيح ، بل بالعكس هذه الاختراعات والعلوم وعلى رأسها غزو الفضاء يفصح عن الأسرار التي أودعها الله سبحانه في آياته الكونية ، والأنفسية ، والتنزيلية وأشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه ، فهي تزيد المؤمن إيمانا بربه وصفاته والمسلم الذي تتزعزع عقيدته بمثل هذه الاختراعات إما أنه ضعيف الإيمان ، أو أنه لم يفهم الإسلام على وجهه الصحيح وصدق الله حيث يقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » ؟ بلى والآن قد وضعنا الداء وشخصنا أسبابه فبأي شيء يكون الدواء ؟

ذلك ما سنعرض له في المقال الآتي إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن هـذا لهو القصص

للأستاذ : حسن جاد

في العدد ١٠٨٩ من مجلة الرسالة ، بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٦ م كتب كاتب مقالا عنوانه (مصادر القصص القرآني) ، لا نراه إلا امتداداً لتلك الفكرة الطائشة التي أثارها من قبل نفر تعجلوا الشهرة من أقرب طريق على حساب مقدسات الدين ومقومات الأمة الإسلامية .

ولسنا ندري كيف تسلل هذا القلم الجامح المنحرف إلى تلك المجلة التي عاشت عمرها على قداسة العروبة والإسلام ، وأصبحت في رعاية دولتنا المسلمة ؟

إن هذه البزوة الطائشة من نزوات الجهل الأحمق والسقطة الكابية من سقطات التقليد الأعمى ، والثمرة الخبيثة من ثمرات الحنظل الإلحادي التي دس بذورها في الأرض الطيبة بعض المخدوعين والمغرورين ؛ لتدفع إليها رغبة جامحة في التماس الشهرة والظهور بالتجديد ، لتتردد أسماء أصحابها على الألسنة ، ويتجاوب ذكرهم على الأسماع . ولو بلغة اللاغنين . وأي سبيل للشهرة والذيوع أقرب من مجابهة الحق ، ومصادمة الشعور ، وإنكار الواقع الثابت ، وتحطيم القيم الشامخة ؟

إذن فليسلك هؤلاء ذاك السبيل ليشتهروا شهرة كبار المحتالين ، وليقلدوا (مرجليوث) وغيره من كل مستشرق على شاكلته ، وليتحدوا مشاعر المسلمين بالنيل من قداسة القرآن الكريم ما وسعهم ذلك ، وليشككوا في القصص القرآني الحق ، وليبلغوا من وراء ذلك ما يريدون من الشهرة ، والجاه ، والمال .

وقد صدر العدد التالي من مجلة الرسالة وليس فيه كلمة مؤمنة تصفع تلك الكلمة الكافرة ، فلم يكن بد من أن تقال كلمة عاجلة في هذا العدد من مجلة الأزهر لأن هذا الظرف ضيق تمثل فيه المجلة للطبع والظهور وأدع التفصيل إلى فرصة متسعة ، أو إلى من هم أقدر مني من العلماء على الإحاطة والاستقصاء :

تناول الكاتب موضوع (القصص القرآني) على هذا النحو الذي يقول فيه :

١ — (في قصص القرآن أحداث ومشاهد نجدها في التوراة والإنجيل ، بل أحياناً نجد مشابهة في سير بعض القصص) ، ثم يكاد ينقض هذه المشابهة أو ينقضها حين يقول : (إن الأمر لا يعدو مجرد اتفاق في أسماء ، ومشابهة في أحداث ، وإن أدنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تصفح القصص القرآنى والقصص فى التوراة مثلا ليوحى بالمخالفة بينهما) .

٢ — وينتهى من هذه المقارنة المضطربة إلى أن مصادر القصص القرآنى ليست هى التوراة والإنجيل ، وإنما هى شىء آخر . ما هو ؟ هو العرب أنفسهم ، وما عرفوه من من اليهود والنصارى ، وما انتشر بينهم من قصص التوراة والإنجيل عن موسى وأخيه ، وعيسى وأمه ، والمسيح وصلبه ، وغير ذلك مما أولعوا به وتداولوه ، مما ردده الشعراء كأمية ابن أبى الصلت الذى (التقط ما هو متطاير فى الجو من أحاديث وخرافات ! ! وعكسه فى شعره) ، وهو هنا يردد ماتبجح به المستشرقون من تأثر محمد صلوات الله عليه بأمية ، وما نقله من قصصه الشعرى فى القرآن .

ويمضى الكاتب فيعيد ما ردده أساتذة له من قبل ، ويضيف إلى ثقافة العرب التى استقى منها القرآن ، ما تأثروا به من الحديث المفاض عن إبراهيم ، وابنه اسماعيل ، وعن بئر زمزم ، وقصة بناء الكعبة ونحو ذلك .

ثم يقول : (وليس هذا كل الزاد الذى انتشر فى أفق الجزيرة العربية فكون ثقافة أهلها ! !) ، بل هناك ثقافة أخرى كونتها البيئة العربية بصحرائها الرهيبة ، يلفها الليل ، وتتردد فيها أصداء الرياح ، وتلتمع عيون الشهب بالشرر ، فيوحى ذلك بالرهبة فى نفس العربى ، ويملؤها بالأوهام ، ويخايلها بالأشباح ، فيجسد ذلك كله بالأوهام والخرافات عن الجن ، والغيلان والسعالى ، والشخصيات الأسطورية .

٣ — والنتيجة لكل هذا فى رأى الكاتب العبقرى الذى يدق أبواب الشهرة :

أولا : أن مصادر القصص القرآنى هى تلك الخرافات ، والأوهام ، والأساطير التى استقرت فى أذهان العرب ، وكونت ثقافتهم ، وأن القرآن لم يصدم وجدان العرب وقد تشبع بذلك كله ، ولم يهزأ بما يعتلج فى « لا وعيهم » ، ولم يلغ ما ألفوه من ظنون كاذبة ، وأساطير فاسدة ؛ بل جاراهم فى ذلك ونقل عنهم ، واستغل هذه الخرافات والأساطير فى الدعاية لمبادئه ليكسب لها الرواج .

فشخصية لقمان من الشخصيات الأسطورية الشائعة ، لماذا لا يستغلها ويحملها وصاياه ومبادئه ليضمن لها القبول والنجاح ؟ وكذلك شخصية عيسى ، وشخصية موسى والخضر لماذا لا يستغلها القرآن (فيدق على نغمة تشوف العرب للمجهول ومحاولتهم كشف الحجب عن طريق الجن والكهان والعرافين) ؟ . وهكذا كل شخصيات القرآن أسطورية جارى فيها الأساطير العربية ، ولم يصدم الوجدان العربى الذى ألفها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهنا أسائله : إذا كان القرآن قد جارى الأساطير العربية ولم يصدم الوجدان العربى فيما ألفه ، فما باله يصدم هذا الوجدان بنفى صلب المسيح مثلا ، مع أن ترك هذا لا يؤثر فى استغلال القصة للدعاية للإسلام والتبشير به ؟ ! .

ويأخذ جهل الكاتب فى الظهور شيئا فشيئاً فيكشف القناع عن حقيقته المستترة بحجاب الكلمات الخادعة عن إعجاز القرآن البيانى (فالعرب يعرفون قصص الحيوان الخيالى ، فيسير القرآن فى هذا الاتجاه ويجعل الهدهد فى قصة سليمان ينطق بمبادئ إسلامية) أى أن النمل لم يتكلم ، والهدهد لم ينطق حقيقة .

والكاتب العبقرى الجهل يتجاهل حقيقة المعجزة التى خص الله بها سليمان عليه السلام : (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء إن هذا لهو الفضل المبين) إلى آخر الآيات من سورة النمل .

ويزداد جهله وضوحا حين يدلل على أسطورة القصة فى القرآن بذكر كلمة (الإسلام) قبل أن يوجد الإسلام ، كما فى قوله تعالى : ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » ، ويقول الكاتب فى وقاحة جاهلة : « أشك أن هذا الموقف قد حدث ، فلم يكن الإسلام قد ظهر أيام إبراهيم وأبنائه !! » .

وعلى هذا النحو قوله تعالى : « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله ؟ قال الحواريون نحن أنصار الله ، آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » وفى قصة بناء الكعبة : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ... الآية » .

والكاتب بهذا يسجل جهله الفاضح بحقيقة كلمة (الإسلام) وما تعنيه من الإذعان والتسليم لله ، وهو قدر مشترك فى الأديان السماوية ، فهى تنتظم كل دين يرتكز على حقيقة التوحيد والإذعان : « إن الدين عند الله الإسلام » .

وعقيدة الجن التى استقرت فى نفوس العرب يستغلها القرآن كذلك فى الدعاية له ، فى هذا الحديث الخيالى ! ! الذى تضمنته سورة الجن ، مع أن القرآن فى هذه السورة نفسها يصدم الوجدان العربى فى مثل « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ... » .

ثانيا : والنتيجة الثانية التى انحرف إليها قلم الكاتب الخيالى الأحمق ، هى أن القصص القرآنى إن هو إلا لون من ألوان القصص الفنى الحديث بما فيه من الرومانسية الخيالية أو اللاوعى السريالى ، أو الواقعية الجزئية التى نشهدها عند نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم هو القصص الفنى الإيحائى .

وهو هنا قزم يحمل بضعة شموع خافتة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يتطاول بها على ضوء الشمس الساطع الأشم ، فشتان ما بين القصة الفنية فى أحدث صورها الواقعية التى تجمع الأحداث الجزئية من هنا وهناك ، ومما وجد ، وما يمكن أن يتخيل وجوده ، وبين هذا القصص القرآنى الذى يعتمد على الحقيقة الكلية الواقعة فعلا بحذافيرها .

لقد قال المشركون من قبل ما حكاه عنهم القرآن الكريم . « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » . والكاتب لا يقف عند هذا ، بل يتجاوزه إلى ما سماه بالإيحاءات والمعانى الثانية إذ يقول . « لقد كان المشركون قصيرى النظر حين اقتصروا على ذلك ، ولم يتنبهوا إلى ما تحويه الأساطير من معان ثانية وإيحاءات » ويستدل بقول الرازى (إنهم كلما سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس فى هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ، ولم يصرفوا أن المقصود منها ليس هو نفس الحكاية بل أمور أخرى مغايرة لها ، ولم يفهم الكاتب أن مراد الرازى بالأمور ما ينتزع من الحكم والمواعظ التى كشف عنها أو تشير إليها القصة القرآنية وما تدل عليه من صدق النبى صلى الله عليه وسلم فى كل ما كان يبلغه عن ربه ومن أنه عليه السلام مؤيدا من الله بهذه القصص التى تعد بالنسبة إليه من المعجزات .

إن القصص القرآنى - أيها المخدوع - من وحى الله لرسوله قصه بالحق ، وساقه لتأييد هذا النبى الأمى فيما يدعوا إليه ، ولتصديق ما بين يديه من الكتب ، وتصحيح ما حرف منها ، وبيان ما داخلها من التحريف والتزييف ثم هو للعظة كذلك والاعتبار بما حدث للسابقين ، وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » . إقرأ فى سورة يوسف : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

واقرأ ما يؤكد ذلك فى سورة آل عمران « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون » وفى يوسف « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » .

« وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين » وفى هود « ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد » . واقرأ فى هذه السورة : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

ثم اقرأ فى سورة النمل : « إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يختلفون، وفى طه: « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ».

والقرآن الكريم يؤكد أكثر من مرة أن هذا القصص حق لا مجال للشك فيه، وواقع لا يتطرق إلى ثبوته شك أسطورى.

« واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق »، « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »، « ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون »، وفى سورة الشعراء يختم كل قصة بهذه الجملة « إن فى ذلك لآية »، وهى جملة تؤكد الواقع القصصى، وتصفع كل شيطان يسكن فى مثل رأسك يا مغرور.

وبعد - أيها الكاتب المجدد - أكان يعوز القرآن أن يتملق أوهام العرب وأساطيرهم، وينافق ما استقر فى وجدانهم من الخرافات، وهو الذى قام على الإقناع المنطقى فى دعوته، وعلى تحريك النظر، ومخاطبة العقل؟ أكان يعوزه ليضمن نجاح دعوته، وعدم ازورار القوم عنها، أن يستغل ما ألفوه، وهو الذى سفه أحلامهم، وعاب ما عكفوا عليه من خرافات وثنية وغير وثنية، وحارب تقليدهم الأعمى لسنة آبائهم: « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون »، « أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »، ونعى على كثير منهم ما كانوا يقترفونه كوأد البنات، وشرب الخمر، ولعب الميسر، وغير ذلك مما لا يتسع المقام لتفصيله؟

لقد خلطت بين الخرافات الوهمية والأساطير المروية وبين القصص الحق الذى جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن؛ وسلكت سبيل السعالى، والغيلان، والعنقاء، والهواتف، وأخبار الأمم السابقة، وأنبياءها فى سلك واحد، فاشتبهت عليك المسالك، وضللت الطريق اللاحب؛ فجعلت القصص القرآنى الذى قصه الله على رسوله وأوحاه إليه تأييداً وإعجازا، وعظة واعتبارا، من وحى العرب ووجدانهم تملقا واستغلالا.

إننا نعرف هذه النغمة النشاز، ونعرف مصادرها الخبيثة، ونعرف ما ترمى إليه، مهما تستترت وراء الحديث عن (إعجاز القرآن الفنى الخالد).

فالقرآن هو ذلك "طور الشامخ"، والحق الثابت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تعالى عن أن يستجدى قصصه من أفواه من يتحداهم ويسفههم ويدفعهم بالحجة بعد الحجة، وتسامى عن أن يكون خطابيا أو خياليا فى دعوته الساطعة القوية. وهو بعد ذلك أسمى من أن يتطاول إلى قصصه الحق يراع مسموم، ولا يضيره أن يزيد عدد السفهاء الذين يشككون فيه واحدا فى آخر الزمان؟

حسن جاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

•••

طاعة الرسل وطاعة الرسول

للأستاذ عباس متولي حماده

قال تبارك وتعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله »[1] .

في هذه الآية وأمثالها يبين الله تعالى فيها أن الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام هي طاعتهم ، والانقياد لأوامرهم ، والإذعان لما يبلغونه عن ربهم مما أفاضه عليهم من علوم ومعارف كشف الله لهم الغطاء عنها ، حتى إذا بلغوا شريعة ربهم لم يخافوا أحداً ، ولم يرهبوا في التبليغ عنه طاغيا ، أو متجبراً ؛ لأنهم كما يقول تعالى : « يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله »[2] .

فطاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام هي الغاية من إرسالهم ، ولهذا أمر الله بطاعتهم ، ولم يستثن من ذلك رسولا بل جعل طاعتهم سنته العامة ، وحكمته المضطردة التي تقررت بفضل إرسالهم للناس لا تتخلف أبداً .

وسواء أكانت « من » في الآية صلة زائدة على رأي الزجاج ؛ ليتحقق من زيادتها عموم تلك السنة واضطرادها . أو أن عموم القضية استفيد من تنكير « رسول » الواقع في سياق النفي فيفيد العموم والاستغراق . كأنه يقول: وما أرسلنا من هذا الجنس أحداً إلا ليطاع . فاضطراد طاعة الرسل سنة الله من إرسالهم على كلا الرأيين محقق وثابت ، وإن كانت المبالغة في استغراق النفي أتم من جعل « من » صلة زائدة كما قاله المفسرون ، وخاصة الإمام الرازي[1] في تفسير قول الله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » .

فكل رسول أرسل إلى قوم يجب عليهم طاعته ؛ إذ من صد عنهم وخرج عن طاعتهم ، أو رغب عن حكمهم كان متمرداً ومعانداً لحكمة الله المضطردة ، وسنته العامة في إرسالهم ، ومعطلا لمهمتهم ، وغافلا عن الحكمة من بعثهم للناس ، ورسولنا صلى الله عليه وسلم رسول من الرسل فهو بهذا داخل في مضمون الحكم العام المقرر للرسل عامة ، وتطبق عليه السنة الإلهية المضطردة وهي : إيجاب طاعته ، والانقياد لجميع أوامره صلى الله عليه وسلم لأنه أرسل كغيره للناس . كما قال تعالى : « قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي »[2] .

---

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٩ .

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣ : ٢٥٨ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورسولنا صلى الله عليه وسلم قام الدليل ودلت المعجزة على صدق رسالته فيجب أن يطاع ، وفى ذلك يقول الشاطبي [١] : « إن العمل بالسنة ، والاعتماد عليها إنما يدل عليه الكتاب ؛ لأن الدليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم : المعجزة . وقد حصر عليه الصلاة والسلام معجزته فى القرآن بقوله : « وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى » هذا وإن كانت له من المعجزات كثير جداً بعضه يؤمن على مثله البشر ولكن معجزة القرآن أعظم من ذلك كله » اهـ .

فإذا كانت طاعة الرسل واجبة ؛ بل هى السنة الإلهية العامة التى يجب ألا تتخلف عن كل من أرسله من رسله رغم أن شريعتهم كانت خاصة لطائفة ؛ بل إن بعضهم أرسله الله مجدداً شريعة رسول سابق ، وإذا كانت الطاعة مقررة للرسل مع هذا فإن الطاعة تكون آكد وأشد لزوما للرسول صلى الله عليه وسلم الذى أراد الله أن تكون شريعته عامة للبشرية وجعلها خاتمة الرسالات . كما قال تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » [٢] ، وقال سبحانه : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

بل إذا كانت الطاعة واجبة للرسل عليهم السلام ، وفيهم من بعث لأمته ، ولم ينزل الله عليه كتاباً يقرأ ويتلى ويتعبد به كنوح عليه السلام . فكيف يقال إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم تجب فى خصوص ما يبلغه من القرآن الكريم فقط ، رغم أن الله تعالى يقول فى كتابه الكريم : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » .

ولقد أرسل الله رسلا بدون كتب تتلى ، وأوجب لهم الطاعة على أممهم ، فهى أى شىء كانوا يطيعونهم إن لم تكن طاعتهم يريد الله من الأمر بها أن تكون فى جميع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال صدرت نتيجة علمهم بما أفاض عليهم من علم اليقين ، وإنزال الوحى إليهم ؛ ليساندهم ويرشدهم ويأمرهم بما يطلبه الله منهم أن يبلغوه إلى الناس حتى لا يكون للناس على الله حجة . قال تعالى : « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » [١] .

فهل من متدبر لهذا الهدى الإلهى المستفاد من الحكم العام الذى جعله الله لرسله وهو : إيجاب طاعتهم - وخاصة ومنهم من أرسل ولم ينزل الله عليه كتاباً يقرأ ويتعبد بلفظه - حتى يخجل من القول فى الآيات القرآنية التى جاءت بالنص على الأمر بطاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم بأن الأمر : خاص بطاعته فيما نزل عليه من القرآن الكريم ! !

---

(١) الموافقات (٣ : ٤٢) .

(٢) سورة الرعد آية ٧ .

(١) سورة الأنعام آية ٤٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليس هذا هو الذى يصح أن يفهم ، أو يقال فى عرف العقلاء لأن طاعة الرسل عليهم السلام حكم عام مضطرد . وسواء من أنزل الله عليه منهم كتابا أو لم ينزل والأمر فيمن أنزل الله عليهم منهم كتابا واضح ، ولكن أى طاعة يمكن أن تتحقق لمن لم ينزل الله عليه كتابا منهم إذا لم نقل بأن وجوب طاعتهم فى كل ما يصدر عنهم سواء أكان كتابا مقروءا أو غير مقروء ، لأنهم الصفوة المختارة من خلقه التى يجب أن تتبع وتطاع ، ولا تعصى فى كل ما يصدر منها ، أو يؤثر عنها لاصطفاء الله لهم بشرف التبليغ والرسالة.

قد يقال إن الشافعية يقولون : ما من عام إلا وخصص وأنت شافعى . قلت إن ما سأعرضه فى سورة الشعراء من تعدد الأوامر بطاعة الرسل التى حكاها الله على ألسنتهم يدفع احتمال التخصيص ويرده ، ولهذا فأنى لا أجد فى نظرى آية من الآيات القرآنية الكثيرة التى استدل بها العلماء على حجية السنة ، ولا يستطيع المنكر لحجيتها أن يتأولها ، أو يدفعها إذا لاحظ فيها أن طاعة الرسل حكم عام أوجبه الله على العباد سواء منهم من أنزل الله عليه كتابا ، أو لم ينزل ، فإنها من هذا الاعتبار المقرر فيها أعصى على المنكرين لحجية السنة فى ردها أو تأويلها من غيرها ، لأن طاعة الرسل: سنة الله العامة التى أوجبها لرسله على عباده بدون استثناء ، أو تأول مقبول هذا ملحظى ، وقد يشترك معى فيه من ينظر فى الآية الكريمة النظرة التى أنظرها ، إذ أوجه الدلالات عادة تخضع لنظرة الناظر فى الدليل ، ولا يكون ملحظ شخص فيه حجة على شخص آخر .

بقى أن أقول إتماما للفائدة فى قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله » أن قوله تعالى : « بإذن الله » سواء كان الإذن : الإرادة ، أو الأوامر ، أو التوفيق أو الإعانة أو كما قال الراغب « لازم ذلك » لأنه قال الإذن فى الشىء الإعلام بإجازته والرخصة فيه غير ناظر إلى خلاف المعتزلة ، وأهل السنة والمرجئة فى مفاهيم الإذن ومدلولاته ، بل الذى يهمنى أن أثبت أن التعبير « بإذن الله » كان للاحتراس عما يظن أن يقال: إن الرسول يطاع لذاته بلا شرط ولا قيد ، فقيد الله الطاعة بإذنه .

وفى هذا التقييد من الاحتراس ما فيه من الدقة حتى إنهم قالوا : إنه قيد من قيود القرآن الكريم المحكمة ، الذاهبة بظنون من يظنون أن الرسول يطاع لذاته ، إذ الله عز وجل له الطاعة لذاته وحده ، وهو إن أمر بطاعة رسول فطاعته تتحقق بإذنه وأمره لا لذات الرسول وشخصه .

ويهمنى أيضا قبل أن أعرض لما جاء فى سورة الشعراء - من دلالة الآيات التى جاءت بعبارة واحدة : هى قوله تعالى . « فاتقوا الله

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل ما يصدر منه ، سواء أكان قرآنا يتلى ويتعبد بلفظه ، أو غير قرآن وهى : سنته ؛ لأنه رسول قامت الأدلة والبراهين على صدق رسالته .

فهل بعد هذا يمكن أن يقال : إن طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم إنما تجب فى خصوص ما يبلغه عن ربه من القرآن الكريم؟ !! وهو كما ترى متناف مع الحكم العام المقرر للرسل عامة بدون استثناء أحد منهم من هذا الحكم العام وهو : الطاعة التى نادى بها الرسل عليهم السلام وحكاها الله تعالى لنا فى سورة الشعراء ، وعرضها عرضاً بارعا لا يقدر أن يأتى بمثله أحد . قال تعالى : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (١) .

فيا لله ما أروع هذا العرض ! وما أجل الغاية منه فهذه فقرة واحدة قصيرة فاتقوا الله وأطيعون ، يكررها الله تعالى فى سورة واحدة حكاية على لسان الرسل عليهم السلام ومع ذلك ما أحس قارئ لها منا بتكرارها فيا بالنا بالعرب الفصحاء ، وكيف كان تذوقهم لهذا الهدى القرآنى الكريم الذى جاء حتى فى القصص بهذا النسق البديع .

فقرة واحدة تأتى بلفظ واحد فى قصص كثير من الرسل عليهم السلام ، وبعضهم أعادها مرتين فى أول قصته ، وبعضهم كررها مرتين فى خلال قصته ، ومع ذلك لا يحس القارئ أنها جاءت مكررة ، أو معادة أو ثقيلة على الأسماع والنفوس ؛ لأنها فى كل مرة يذكرها الله تعبر عن معنى جديد بحيث يكون لها وقع فى النفوس وجرس فى الأسماع .

وإنما جاء هذا فى القرآن الكريم ليقرر الله الحكم العام بطاعة الرسل فى الأذهان وليستقر فى النفوس .

ولكن أى نفوس وأى أذهان يريد الله تعالى أن يقرر فيها هذا المعنى : أنفوس الأمم السابقة وقد مضت ؟ ، أم نفوس الأجيال المقبلة التى تنتظر رسالة بعد رسالة ورسولنا صلى الله عليه وسلم . والرسالات قد ختمت برسالته وانتهت ببعثته .

ليس هذا ولا ذاك يريده الله قطعا لمنافاته للواقع ولمعارضته الأدلة القطعية ، فلم يبق غير نفوسنا وأذهاننا التى يقرر الله تعالى لها هذا الحكم العام . ويريد بهذا البيان الذى ذكره فى قصص الرسل عليهم السلام بهذا النسق أن تكون طاعة رسولنا صلى الله عليه وسلم معلومة لدينا علما ضروريا لا يجوز أن يتمارى ، أو يشك فيه إنسان ، أو يجادل فيه عاقل . بصرنا الله دائما بهدى القرآن وجنبنا الزلل والزيغ آمين .

عباسى مترولى حماده

(١) سورة الاسراء (٨٨) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى والقرآن

للأستاذ علي الخطيب

يختار الله الرسول من بين خلقه فييسر على نهج يأخذه به ربه ، ويسلكه فيه فيصنعه على عينه ، ويطبعه على طاعته ؛ فلا تشينه شائبة تسقط من مروءته ، أو يغضى لها طابع وجولته ، وتنمو مكارم أخلاقه ، وتنشط فيه صفات القيادة ، ويوسعه ربه حلما وعلما ، وعدلا ورحمة ، وبراً وكرما حتى إذا جاءت الرسالة أداها بإيمان وقوة ، لا ينطق فيها عن هوى ، ولا يتحدث فيها برأى . وهو فوق ذلك كله معصوم من الخطأ .

وهذه "عصمة شاملة .

فإذا علمنا أن ما يأمر به الرسول أو ينهى عنه يعتبر إتيانه أو الكف عنه عبادة .

وأن ما يؤديه من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج يعتبر عبادة

وأن ما يشاهده فى قومه فيسكت عنه لا يعتبر معصية .

قلنا : إنه معصوم فى ذلك كله لا يخطىء فيه . فحصانته فيه قائمة . وعصمته من الخطأ فيه كاملة . فهو من قبل الرسالة على خلق كريم ، ومن بعدها على خلق عظيم .

وللعصمة بهذا المعنى شأن . وإنه لخطير بين اليهود ، والنصارى ، والقرآن .

فأما اليهود : فكل أجيالهم التى تعبدت بالتوراة المتداولة المعروفة بالعهد القديم مع ما ضم إليها من صحف - هؤلاء جميعاً لا يقرون بعصمة نبى ، ولا يؤمنون بنزاهته ، ويستوى فى نظرهم هذا موسى عليه السلام نفسه ، ومن قبله من كل أنبياء العهد ، كما لم يسلم من تعليقاتهم من أتى بعده من أنبياء .

فالرسول الذى نصب هاديا ومرشداً لا يرى فيه اليهود مانعا يمنعه أن يقتل أو يزنى أو يكذب ، فلا كرامة لنبى عليهم ، ولا يذكرون فى باب النزاهة فارقا بين نبى وغير نبى فالكل فى ذلك سواء .

وعلى هذا المنوال نسجوا الأنبياء واحدا بعد الآخر معصية :

نالوا من موسى عليه السلام ، فبرأه الله مما قالوا وكان عند وجيها ، ٦٩ الأحزاب .

ومن قبل موسى نالوا من نوح عليه السلام فصوروه عربيدا قد شرب الخمر وتعرى حتى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ظهرت هورته » تكوين - ٩ - ٢٢ ، ٢٥ » .

وطغى نصيب لوط على نصيب نوح وتعدى السكر والعربدة إلى أشنع جريمة يمكن أن يسمع بها بشر فقد اتهموه فى ابنتيه وأنه نالها واحدة بعد الأخرى » تكوين - ١٩ - ٣٠ إلى ٣٧ » .

ونالوا من هرون عليه السلام فى مهمة النبوة الأولى فصوره يدفعهم إلى الوثنية ويقول لهم : « انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها هرون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل ، وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » « خروج - ٣٢ - ٢ إلى ٤ » .

وجعلوا داود عليه السلام قاتلا فى أخبث رواية إذ صوروه يعجب بجمال إسرائيلية رآها خلسة فاحتال لإبعاد زوجها « أوريا » عنها ودفعه إلى ميدان القتال ، وفى الخطوط الأمامية لتى حتفه ، فأمكنه أن يتزوجها « صموئيل ثان - ١١ - ١ إلى ١٧ » وهى حيلة لا تخرج بفاعلها عن الإثم ، لا تبرئه من الجريمة فالمتسبب فى القتل كفاعله .

وحين ثار عليهم « إرميا » النبى وسخط على الكتبة الذين يحرفون الكتاب وقال لهم « كيف تقولون نحن حكماء ، وشريعة الرب معنا . حقا . إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ، خزى الحكماء ، ارتاعوا وأخذوا ، ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم » إرميا ٨ - ٩ ، ١٠ » كما قال أيضا : « أما وحى الرب فلا تذكروه بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا » إرميا - ٢٣ ، ٣٦ » .

حين ثار إرميا عليهم ثورته اتهموه بالتجسس لحساب أعدائهم وألقوا به فى السجن كما يقص سفره « إرميا ٣٧ - ١٥ إلى ٢١ » .

وأما سليمان عليه السلام فسلكوه فى نفس التهمة التى ألصقت بهرون ورموه بالوثنية وجعلوا « عشتورث ، وملكوم ، وكموش ، ومولك » من الآلهة التى مال قلبه إليها زمن شيخوخته « ملوك أول ١١ - ٤ إلى ٩ » .

ولم تكن حملات عيسى بن مريم عليهما السلام هينة عليهم ، ولما لم يكن ملكا ، ولا محاربا وكان حصورا فقدوا كل أنواع التهم المتقدمة أن يلصقوها به فادعوا فيه وهو ابن البتول أنه ابن رشدة - زنا - وهى تهمة موجهة فى الواقع إلى مريم عليها السلام . فلعنهم الله « ... بكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ... » .

هذه منزلة النبوة بين اليهود ، وقد استحقوا بها لعنة داود ، وعيسى عليهما السلام فيهم « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » المائدة ٧٨ ، ٧٩ .

وهكذا ذهب اليهود بوزرهم فى الأنبياء .

وجاء المسيحيون : ولما كانوا يقرون بالعهد القديم لم يقدموا حلا لتلك القضية ولم يبرئوا أولئك الأنبياء والكرام من فرى اليهود ، ورغم أن للعصمة دراسات مسهبة فى كهنوتهم ؛ فلم يحظ منهم أولئك الأنبياء بمكانة العصمة فى حين وزعت منهم على غير الأنبياء .

فأما الكاثوليك فيرون أن « الكتب المقدسة لم تذكر كل شىء ، ويعنى هذا أن جانبا دينيا ضخما بقى فى حاجة إلى تشريعات لذلك جعلوا من (بابا روما) مسيحاً منظوراً ورأوا أنه « معصوم من الخطأ فى أحكامه الدينية فكل ما يشرعه فى جانب الإيمان ، وما يحدده فى جانب العقيدة يعتبر قضايا يقينية غير قابلة للتحوير أو التبديل كما أن تقريراته ليست بحاجة إلى موافقة الكنيسة عليها فهى صحيحة دون موافقتها ، ومن حقه أيضاً أن ينشر تعليما إيمانيا ويحتم حفظه ؛ لأن نص الآيات خاص به منذ أجيال » (١) .

وبعصمة البابا أصبح للبابوية إنجيل مفتوح يستطيع أى البابوات أن يسطر فيه ما شاء ، ومع ذلك لم نر أحدهم يقدم دراسة لدفع هذه الاتهامات عن أولئك الأنبياء المصطفون الأخيار . بل إن (البابا) الراحل أمر بحذف صلوات استمر الكاثوليك يرددونها مئات السنين ، ثم تبين أنها حذفت لما فيها من لعنات على اليهود . فكان اهتمامه برفع السخط عنهم أهم بكثير فى نظره من اهتمامه بالأنبياء أنفسهم ، ومضى تاركا قضية النبوة لأهواء اليهود .

ويختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك فى قضية العصمة ؛ فليست عندهم محصورة فى رأس الكنيسة لأى مذهب أرثوذكسى ، وأى البابوات الأرثوذكس لا يعتبر معصوما فى نظرهم ، ويقررون « العصمة » للمجامع المسكونية وحدها ؛ فقرارات هذه المجامع تعتبر معصومة من الخطأ ، وهذه المجامع مؤتمرات دينية تعقد على مستوى عالمى شامل للنظر فى القضايا الدينية ، والشئون الكنسية وبدأ أول مجمع منها عام ٣٢٥ م وكان يأمر بعقدها الملوك المعاصرون لشئونها (١) وفى هذا الخريف دعت كنيسة الفاتيكان إلى مجمع منها . غير أن قرارات هذا المجمع تواجه من

(١) انظر الصفحات (١٤٧ - ١٥٦ - ١٥٧ ، ١٥٩ - ١٧٦) من كتاب « شرح التعليم المسيحى » ج ١ القس يوسف لويس . مطبعة البرتيرى ١٩٣٩ م . وكتاب « سلاحك أيها المسيحى » ص ٢٢٢ لمؤلفه نعمة الله الخدارى المرسل اللبنانى - جونيه - لبنان .

(١) انظر ص ٦٨ من كتاب « التعليم المسيحى الأرثوذكسى » الأغناطيوس فرزلى . مطبعة أناتولى . الإسكندرية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأرثوذكس حربا عنيفة ، ولا يبدو أنها ستحظى بالعصمة هذه المرة

والقراء فى العالم أجمع يعيشون لحظات هذا المؤتمر الأخير بدوافع شتى لكن المؤلم أن مؤتمراً واحداً من هذه المؤتمرات لم يتبرع برفع وصمة اليهود عن الأنبياء .

والبروتستنتية التى حملت بعنف عاصف على (عصمة) بابا روما وقفت موقفا سلبياً من نفس القضية رغم ما اتسمت به من ثورية هادفة فى قضية البابوية .

ويعنى هذا أننا نخلص من المسيحية إلى قرار غريب : (قرار برى العصمة جائزة وموجودة فى غير الأنبياء ، وليست موجودة فى بعض الأنبياء) فالمجامع المسكونية عند الأرثوذكس ، و (بابا روما) عند الكاثوليك ذو و عصمة . بينما داود وغيره ممن عددنا من الأنبياء لا عصمة عندهم .

ثم جاء الإسلام والقرآن وحيه وترجمانه .

وحصر الإسلام العصمة فى الأنبياء وحدهم وقرر براءتهم جملة وتفصيلا ، ولا زال من تعاليمه لأتباعه أن يقولوا « آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ١٣٦ البقرة .

ونص القرآن فى نوح أنه « كان عبدا شكورا » و « نوحا هدينا من قبل » « سلام على نوح فى العالمين ، إنا كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين » .

فنوح عليه السلام مؤمن بربه ، شاكر له ، محسن فى طاعته ، محوط بهداية الله المقررة له فنذا الذى يخرق عليه ما أراده الله له من هداية ويسقيه خمرا ، ومن يهد الله فلا مضل له ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولوط عليه السلام فى جملة من فضلهم الله على العالمين فقال : « وإسماعيل ، واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين » .

ويعنيه القرآن الكريم وحـده فيقول : « ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ، وأدخلناه فى رحمتنا إنه من الصالحين وهكذا يقرر الله سبحانه صلاح لوط الذى جعله من المفضلين على العالمين والله سبحانه لا يستحى من الحق ، وما كان ليقرر فضل لوط وصلاحه إلا ولوط عليه السلام طاهر صالح برىء من الإثم وكفى بالله شهيدا .

ولقد أجمع رجال القانون من كل عصر وجيل أن « الاعتراف سيد الأدلة » والقرآن يسوق هذا الدليل فى مسألة هرون ، فموسى عليه السلام استمع إلى شهود القضية فقرروا جميعا إثم « السامرى » وقالوا : « حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكر موسى على السامرى قال : « فما خطبك يا سامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى » .

وهكذا اعترف السامرى وشهد الشهود ولا بيان ببراءة هرون أنصع من هذا .

وداود عليه السلام ممن قال الله فيهم « ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » وجعله سبحانه أسوة لمحمد صلى الله عليه وسلم حين كثر الأذى عليه فقال تعالى لمحمد : « اصبر على ما يقولون ، واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب » ، وهل كان سبحانه وتعالى يجعل من قاتل أسوة ... ؟ !

وقال الله فى سليمان بأنصع عبارة وأبسطها وأسرعها فهما « وما كفر سليمان » وبرأه الله وقال فيه « نعم العبد إنه أواب » فلا كفر ولا زيغ ولكن طاعة مستمرة وتعلق دائم بالله ، وحب خالص له .

ولم تمر حادثة إرميا بسلام فلا تزال شهادته فيهم تبعث الريب حتى فى حاخامات اليهود أنفسهم ؛ وقد دفع ذلك وغيره الحاخام اليهودى المعاصر دكتور لويس جاكوبس إلى الشك فى العهد كله جملة وتفصيلا .

وأثار بذلك عاصفة بين يهود بريطانيا بكتابه « لدينا ما يجعلنا نؤمن » ، وقرر فيه أن الكتب التى تنسب إلى موسى عليه السلام نفسها لعب الإنسان فيها دورا ملحوظا (١) وهذا عين ما قرره إرميا .

وأما مريم البتول صلوات الله وسلامه عليها فهى صفوة نساء العالم فى طهارتها وإخلاصها لله وحرصها على رضاه ولقد أسمعها الله هذه الشهادة وهى لا تزال بين الأحياء وزفتها إليها الملائكة فقالت : « يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين » ٤٢ آل عمران .

ولا عجب بعد هذا أن يكون عيسى ابنها عليه السلام (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) بشهادة القرآن (٤٥ آل عمران) .

وليس بين ما بقى من كتب السماء إلا القرآن يقرر - وحده - براءة النبوة ، وكمال عنصرها ويصدع بالحق مفتريات اليهود ويرد كيدهم بتفصيل ، ويعيد للنبوة جلالها ، ويرفع لها كمالها ، ويكشف للعالمين جرم اليهود فى حق صفوة البشر جلالا وكمالا ، ومن شرف القرآن ، وإعجازه المحيط أن تسطر آياته الحكيمة تلك البراءة ، وتذيعها على العالمين إلى يوم الدين بيانا بالحق ، وتبصرة وذكرى لأولى الألباب ، فسحقا للمفترين ، والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ؟

على الخطيب
بمجمع البحوث الإسلامية

(١) انظر الجمهورية ٢٦/٤/١٩٦٤ ص ١ ع ٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوراثة وقوانينها ومظاهرها الغريبة ومراعاتها في الجاهلية والإسلام

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

وأطيعون » على لسان كثير من الرسل حكاها الله في القرآن عنهم - أن أنبه إلى أنها وإن كانت وردت في شرائع غير شريعتنا إلا أن ورودها في القرآن الكريم جعلها كما قال الشاطبي [١] من « التعبد بأمر منقول صرف لا نظر فيه لأحد » اهـ. لا سيما وقد ورد في شرعنا ما يقرره، وهو قوله تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ». وتحقق وصف الرسالة بالمعجزات التي أعمها القرآن الكريم كما ذكرت.

وأيضا فإن القصص إنما سبق في القرآن الكريم للاعتبار به، وليطاع الله عز وجل ويطاع رسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع. وليؤمن الناس بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم

سورة الشعراء وطاعة الرسول

لما كانت سنة الله في إرساله الرسل عليهم السلام أن يطاعوا نادى كل رسول، ودعا

« لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين [١] ».

فأبان الله جلت قدرته له ما تعرض له الرسل عليهم السلام من قبله، وأنهم رغم ما تعرضوا له استمروا في التبليغ، وأمرهم لأنهم بطاعتهم في جلد وصبر. قال تعالى: « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل [٢] ».

فهذا نوح عليه السلام وقد مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما قص الله قصته في القرآن الكريم، فيقول تبارك وتعالى: « كذبت قوم نوح المرسلين، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون » [٣].

فالله تعالى يحكي عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: « إني لكم رسول أمين »، وشأن الرسول الأمين أن يطاع، ولكنه رغم ذلك أعقبه بقوله تعالى: « فاتقوا الله وأطيعون »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإنسانى ، وإنما ينتقل إليه ما تعتمد عليه من دعائم فى التكوين الجسمى والعصبى ، فالوراثة فى نظره ظاهرة جسمية خالصة ، والصفات الجسمية وحدها هى التى تنتقل عن طريقها ؛ أما الصفات العقلية والخلقية فلا تنتقل بطريق مباشر ، وإنما تنشأ عن وراثة لبعض أوضاع مادية فى الجسم والغدد والجهاز العصبى .

* * *

ومن أهم ما اكتشف من قوانين الوراثة قانون التغلب فى الصفات الموروثة ، وقانون الوراثة الخاصة غير المباشرة ؛ أما قانون التغلب فى الصفات الموروثة فيقرر أنه قد يحدث فى تكوين الطفل أن تتغلب صفات أحد أبويه على صفات الأب الآخر فتستكن الصفات المغلوبة وتختفى مظاهرها حتى ليخيل إلينا عدم وجودها ، مع أنها تكون فى هذه الحالة موجودة مستكنة ، وآية وجودها أنها قد تنتقل بطريق الوراثة إلى أولاد الفرع المستكنة لديه . وأما قانون الوراثة الخاصة غير المباشرة أى الوراثة من الأجداد والجدات عن مختلف الدرجات فيوضح القانون السابق ويكمله إذ يقرر أنه قد ينتقل إلى الطفل بطريق الوراثة بعض صفات كانت ظاهرة فى أحد أجداده أو إحدى جداته من جهة الأب ، أو من جهة الأم من الدرجة الأولى ، أو من الدرجات التالية لها ، ولم تكن ظاهرة فى أصله المباشر ، فيخيل إلينا أنه قد ورثها من أجداده أو جداته ، وأن هذه وراثة غير مباشرة ، والحقيقة أن الطفل لا يرث هذه الصفات عن أصله البعيد ، ولا يعقل أن يكون قد ورثها عنه ، لأن هذا الأصل لم يكن له دخل فى تكوينه ، وإنما يرثها عن أصله المباشر نفسه الذى خلق من مائه . وذلك أن هذه الصفات مع عدم ظهورها فى الأصل المباشر كانت موجودة لديه فى صورة مستكنة قابلة للانتقال إلى الفروع .

* * *

ومن الوراثة أنواع غريبة تظهر فى بادئ الرأى شاذة ، خارجة عن الأوضاع المألوفة ، صعبة التفسير ؛ ولكنها عند التأمل العميق يتبين أنها تخضع للقوانين نفسها التى يخضع لها غيرها من الأنواع الوراثية العادية ، وتنبعث عن العوامل نفسها التى تنبعث عنها هذه الأنواع . ومن ذلك ما يسمونه « الوراثة المتحدة الأزمنة » . وذلك أنه قد يظهر عند الأصل فى مرحلة ما من مراحل حياته صفة عارضة جسمية ، أو نفسية ، ثم تظهر هذه الصفة نفسها عند الفرع حينما يبلغ السن التى ظهرت فيها عند أصله ، مع أنها لم تكن موجودة عند الأصل فى الوقت الذى علقت فيه الأم بالفرع ، ويبدو هذا النوع على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأخص فى صفات الأمراض والعاهات .

وقد سجل له الباحثون عدة أمثلة واقعية ، منها أن بعض الأفراد قد أصيبوا بالعمى أو بالصم لأسباب غير معلومة بعد أن بلغوا سنا معينة ، وأن بعض أولادهم قد أصيبوا بالعاهة نفسها حينما بلغوا هذه السن ، مع أنهم فى وقت العلوق بهم لم تكن أصولهم مصابة بشىء من ذلك . ولكن هذا النوع نفسه ، مع غرابته وخفاء أسبابه فى الظاهر ، يستند فى الواقع على الدعائم نفسها التى تستند عليها الظواهر العادية فى الوراثة وتفسير ذلك أن الأصل فى مثل هذه الأحوال كانت لديه جراثيم مرض كامنة وأوضاع واستعدادات جسمية خاصة ينجم عنها بعد فترة ما فقد البصر أو السمع ، وأن هذه الأوضاع وتلك الاستعدادات التى كانت كامنة فى الأصل انتقلت إلى الفرع فى المادة الحيوية التى تألفت منها أجزاؤه ، وترتب على انتقالها بطريق الوراثة ظهور المادة لديه فى الميقات الذى الذى يحدده ما ورثه فى تكوين جسمه وجهازه العصبى . وهذه الحالات تبين لنا خطر الوراثة ودقة قوانينها ، وأن ويلاتها تحيق بكثير من الناس من حيث لا يشعرون .

* * *

هذا ، وقد فطن العرب فى الجاهلية إلى حقائق الوراثة ، وقوانينها ، وحرصوا على الإفادة منها فى شئون الزواج ، وصلة الرجال بالنساء ، وإنجاب الأولاد ، وثبوت النسب ، ونبغ لديهم كثير من الخبراء فى ظواهرها ، ووجوه تطبيقها .

فمن ذلك أن معظم عشائرهم كانت تكره الزواج من القريبات لما أرشدتهم إليه خبرتهم فى شئون الوراثة من أن زواج الرجل بقريبته ينتج نسلا ضاويا (١) ضعيف الجسم والعقل ، وفى هذا يقول شاعرهم :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة
مخافة أن يضوى على سليل

ويقول الآخر :

أنذر من كان بعيد الهم
تزويج أولاد بنات العم
فليس بناج من ضوى وسقم

ويقول الآخر :

ألا فتى نال العلى بهمه
ليس أبوه بابن عم امه

وتتفق آراؤهم هذه مع ما ظهر للمحدثين من قوانين الوراثة ، وذلك أن الزوجين إذا كانا من أسرة واحدة انتقل إلى أولادهما بطريق الوراثة جميع الصفات الوراثية السيئة التى تختص بها أسرتهما لوجودها فى الأصلين

---

(١) ضوى الولد يضوى ضوى من باب تعب إذا صغر جسمه وهزل ، والضوى الهزال ، وأضواه غيره أى تسبب فى هزاله وضعفه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معاً ظاهرة أو مستكنة ؛ على حين أنهما إذا كانا من أسرتين مختلفتين فإنه يندر أن يتحدا فى صفة وراثية سيئة ، بل تكون سماتهما الوراثية متنوعة فى العادة . فيقابل نواحى الضعف فى أحدهما نواح قوية فى الآخر ، فيحدث بذلك التعادل فيما ينتقل عنهما إلى أولادهما بطريق الوراثة ؛ فينشأ هؤلاء الأولاد متوازنى الصفات ، معتدلين فى نواحيهم الجسمية ، والعقلية ، والخلقية .

ومن مظاهر خبرة العرب فى الجاهلية بحقائق الوراثة وحرصهم على الإفادة منها ، أن بعضهم كان يلجىء زوجته إلى ما اشتهرت تسميته بالاستبضاع ، وقد شرحت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها نظام الاستبضاع فيما أخرجه عنها البخارى موقوفا إذ تقول : « كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (حيضها) أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها ، إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد » (١) ويظهر من هذا النص أن هذا كان يتم برغبة الزوج بل بأمره ، وأنه كان يفعل ذلك حرصا على نجابة الولد ، وأن هذا الولد كان يعتبر ولدا للزوج الشرعى ، لا للعظيم الذى جاء من صلبه وأن هذا العظيم كان يعتبر مجرد أداة استخدمت لإنجابه .

وكان العرب فى الجاهلية يلجئون إلى الخبراء منهم فى شئون الوراثة لتحقيق نسب الولد فى الحالات التى لا تكون ثمة دلالة أخرى على نسبه ، أو فى حالة الشك فى نسبه ، كما نلجأ نحن فى الوقت الحاضر فى مثل هذه الحالات إلى فحص فصيلة الدم ، وأكثر حالات التجائهم إلى ذلك كانت فى صدد أولاد البغايا ، وقد أشارت إلى ذلك السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فيما أخرجه عنها البخارى موقوفا إذ تقول : « كان يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها ، وهن البغايا ، وكن ينصبن على بيوتهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاط به ، ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك » (٢) والقافة هم الخبراء فى فن « القيافة » وهو فن كان منتشراً عند العرب فى الجاهلية يستطيع الراسخون فيه أن يعرفوا الأصل الذى انحدر الولد من مائه عن طريق الشكل الخارجى لتكوين أعضائه ولون بشرته وما إلى ذلك ، وفقا لقوانين الوراثة ، والقافة أيضا الذين يعرفون آثار الأقدام ويعرفون

(١) صحيح البخارى فى باب من قال لا نكاح إلا بولى.

(٢) المرجع السابق نفسه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أصحابها منها ، وأنهم كانوا يبحثون كذلك عن آثار الأقدام التي كان أصحابها يختلفون إلى البغي ليعرفوهم تمهيداً لإلحاق الولد بأحدهم ولعل هذا كان من بين الأمور التي كانت تدعو من يغشون منازل الموسمات إلى أن يحروا أطراف مآزرهم وراءهم لتطمس آثار أقدامهم على الرمال حتى لا يكونوا عرضة لأن يلتحق بنسبهم من تجيء به البغي ، أو المظلة كما كانوا يسمونها ؛ لأن سفلة الناس وسوقتهم كانوا يختلفون إلى البغي في الظلام يحرون أطراف مآزرهم وراءهم ، ولذلك كان من جوامع كلمهم في المدح : « فلان لا يرخي لمظلة إزاره ».

* * *

وقد أقر الإسلام قوانين الوراثة ، وحث الناس على الإفادة من خيرانها ، واتقاء شرورها وفي هذا يقول عليه السلام : « إياكم وخضراء الدمن ! » ، قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء » ويقول : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك ».

وحبب الإسلام الزواج بغير القريبات لاتقاء الأضرار الوراثية السابق ذكرها . وفي هذا يقول عليه السلام : « اغتربوا لا تضووا » أي تزوجوا بغير قريباتكم لأن زواجكم بالقريبات يضوي نسلكم أي يضعفه ويجعله هزيلا ، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : « يا بني السائب قد ضويتم فانكحوا في الغرائب » ومر عمر على قوم من قريش صغار الأجسام فقال : ما لكم صغرتم ؟! قالوا : قرابة أمهاتنا من آبائنا . قال : صدقتم .

وكان الرسول عليه السلام يرتاح لآراء الخبراء في الوراثة ، وذوي الفراسة في شئونها . يروى أن زيد بن حارثة كان نائما مع ابنه أسامة تحت غطاء واحد لم يظهر منه إلا أقدامهما فسر عليهما خبير في الوراثة ، ووقع نظره على أقدامهما ، فقال إن صاحب هذه الأقدام ، مشيرا إلى أقدام زيد لا بد أن يكون أبا هذه الأقدام الأخرى . وكان ذلك بحضرة الرسول عليه السلام ، فارتاح الرسول لمقولته وصدق فراسته ، وخبرته في شئون الوراثة .

وأما فيما يتعلق بثبوت النسب ، فإن الإسلام لم يربطه بمظاهر الوراثة ، وآراء الخبراء في شئونها ، وإنما أقامه على قواعد حكيمة تكفل استقرار الأسرة ، وتبعدها عن الشبهات ومظان الفتنة والريبة ، وتحمي أعراض نسائها ؛ فقرر أن « الولد للفراش » (وهذا نص حديث شريف) أي إن الولد الذي يجيء من فراش صحيح مشروع يلحق نسبه بالزوج صاحب هذا الفراش بدون حاجة إلى اعترافه به اعترافا صريحا ، وبقطع النظر عن مبلغ شبهه به من الناحية

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقظة التفكير الأوربي على صوت ابن رشد

للأستاذ محمد رجب البيومي

الفلسفة أسلوب ومنهج قبل أن تكون معارف وكليات ، فذو الفلسفة عميق الفكرة بارع التحليل يسبر الأغوار ، ويرصد الأبعاد والأطوال ، لذلك كان أصحاب الفلسفة ممن يمارسون الأدب على جانب قوى من البصيرة والنفاذ. يصدرون عن أصالة حية ، ويتجهون بأفكارهم الخصبة وجهات سديدة صائبة ، وقد أورثوا الأدب فى شتى فنونه المختلفة من مقالة وقصة ، ورسالة ، وملحمة ، وقصيدة دسامة قوية حية فوجهوا الأدباء الخلص إلى العمق والإحاطة ، والاستشفاف ، والاحتكام إلى موازين دقيقة فى المقدمات والنتائج ، أما الفلاسفة الأدباء ممن رزقوا روح الفنان وعقل الحكيم ، فقد جاءت كتاباتهم نمطا رفيعا من الإبداع . فمقالات (بيكون) الأدبية تجمع بين العمق الفلسفى ، والخيال الأدبى جمعا رائعا يدهش القارئ ويروعه ! وأسلوب فولتير ذو سحر رائع لايقاوم ؛ لأن الفلسفة الصائبة تحيط به من أقطاره وتوطىء له الدعائم والأسناد ، ولولا نصيب ويلز من الفلسفة ما اقتعد ذروة الأدب فى تاريخ انجلترا المعاصر ومهما وجد لدى كتاب أوربا فى عصور النهضة من دسامة وقوة فمرجعه إلى تعاطى الفلسفة ، والصدور عنها فيما يتناولون من بحوث !! لذلك لا نكون مبالغين حين نجزم بأن أسلوب الفلسفة فى البحث قد أكسب الأدب قوة حية جعلت رجاله زعماء نهضات ، وأصحاب دعوات ! ومن قل نصيبه منها فهو دون أصحابها استقامة سبيل واتساع أفق وارتفاع تحليق !

وحين نرصد مهاب الفلسفة على أوربا فى افتتاح عصر النهضة ، نجد ابن رشد صاحب الصوت المجلجل فى إيقاظ الأسماع ، وتنبيه الغافلين إلى أساليب الفلسفة ، ومناهجها فى البحث والدراسة ، ثم يأخذنا العجب كل العجب إذ نرى هذا الفيلسوف الأندلسى المسلم لا يجد حواريه فى أبناء لغته ودينه من المشارقة ، ولكنه يجدهم فى اليهود من أطباء وأحبار وفى المسيحيين من أباطرة وأساتذة وكهنة ، وهؤلاء هم الذين نقلوا كتبه وشروحه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وترجموا أفكاره وبحوثه ، فهدتهم إلى مفاتيح الثروة الفكرية الخالدة وأصبحوا بها أغنياء مترفين !

قدر على ابن رشد أن يأتي بعد الغزالي ، ليرى نجاحه الساحق في هدم الفلسفة بالمشرق حيث حاربها أبو حامد محاربة مكشوفة ظاهرة حاربها بأسلحتها المنطقية بعد أن خبرها ووقف على ما ظنه مقاتل مبيدة ، وقد قسم الفلاسفة إلى طوائف مختلفة ، فطائفة جحدت الصانع وقالت بقدم العالم ، وطائفة أنكرت البعث وما يعقبه من ثواب وعقاب ، وآخرون توغلوا في دراسة الرياضيات والطبيعيات والمنطقيات والإلهيات ، فأصابوا مرة وأخطئوا مرات ! وقد اختلط الخطأ لديهم بالصواب اختلاطا لا يثمر غير التخبط والارتكاس ثم مضى ينقض براهين الفلاسفة بأمثالها مستعينا بالأقيسة والحجج العقلية تارة ، وبالأدلة الشرعية من نصوص قرآنية ، وأحاديث نبوية تارة أخرى ، ناهجا نهج علماء الكلام في الرد والتوهين ، وأعلن في النهاية فقدان الثقة بأقيسة المنطق وبراهين الفلسفة ورأى في التصوف منجاة الحائر ، وملجأ المسترشد ، إذ يدرك به من الاطمئنان النفسي ما لا يدرك بالحجج والأقيسة :

وكان تصوف الغزالي قويما معتدلا بعيداً عن ضلالات النظريين من ذوي الشطحات وقريباً من منهج الصحابة في الزهد والخشوع والتواضع فوافق أهواء الناس لعهده . فاعتنقوه عن إخلاص ورغبة . ونفروا من الفلسفة نفوراً جعلها مدعاة الزندقة وباب الإلحاد وقد حاول ابن رشد أن يعيد للفلسفة مقامها لدى المسلمين بعد أن تساقطت مترنحة تحت ضربات الغزالي فألف كتابه تهافت التهافت يرد به على كتاب الغزالي الشهير تهافت الفلاسفة ، وقد قال في مقدمته : « إن تعرض أبي حامد إلى مثل هذه الأشياء على هذا النحو لا يليق بمثله لأنه لا يخلو من أحد أمرين : إما أنه فهم هذه الأشياء على حقائقها ثم ساقها على غير وجهتها وهذا فعل الأشرار ، وإما أنه لم يفهمها على حقيقتها فتعرض للقول فيما لم يحط به علما وهذا من فعل الجهال ، والرجل يجل عندنا عن هذين الوصفين ، ولكن لابد للجواد من كبوة ، ثم مضى يناقش أبا حامد في كل ما تعرض له ! ولكن كتاب ابن رشد عن الغزالي لم يجد من يقرؤه في الشرق ، وظلت آراء الغزالي في الفلسفة راسخة لا تتزعزع ! حتى مطلع القرن العشرين إذ نقل الأستاذ فرح انطون فلسفة ابن رشد إلى قراء العرب مترجمة عن (رينان) ! فبدأ الفيلسوف الأندلسي يأخذ مكانه لدى أبناء لغته ودينه ! أما أثره البعيد في التفكير الأوربي بعامة منذ فارق الحياة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهو ما نحاول أن نجلوه فى هذه السطور لنرى كيف دق الأجراس المرنة فى عالم نائم غافل فلفظت المضاجع على رنانه المجلجلة جنوب النائمين !

لقد جاء دور ابن رشد فى المعترك الفلسفى بعد أن تقدمه فى الشرق أفذاذ نوابغ من أمثال الكندى وابن سينا والفارابى وإخوان الصفاء ممن أسهموا فى البناء الفلسفى إسهاماً تردد صداه فى كل مكان حتى وصل إلى الأندلس فأنتج بها فلاسفة حكماء من أمثال : ابن باجه وابن طفيل وابن زهر وكأن الأقدار قد جعلت ابن رشد خاتمة هؤلاء ليستطيع أن يقرأ ماكتبه سابقوه قراءة الفاحص الناقد ثم يضع النتائج النهائية لدراسته المتأملة ! وهو بعد صاحب ذهن فلسفى بعيد المطارح ، وقد عشق أرسطو عشقا تمكن من نفسه وسيطر على نزعاته حتى عده المثل الأعلى للفكر فى الحياة بل ارتقى به من الحدود البشرية إلى أن صار فى اعتباره المفكر الإلهى ، وقد قال عنه فى مقدمة كتابه : (عن الطبيعيات إنه أعقل أهل اليونان وواضع علوم المنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة إذ أن جميع من أتوا بعده من الفلاسفة لم يستطيعوا أن يزيدوا شيئا عما وضع أو أن ينقدوا قضية وصل إليها) ثم قال : « فلا ريب فى أن اجتماع هذا العلم فى إنسان واحد أمر عجيب يوجب تسميته ملكا إلهيا لا بشراً ولذلك كان القدماء يسمونه أرسطو الإلهى » !

وقد دفعه هذا التقدير البالغ إلى شرح أكثر ما كتب أرسطو من المؤلفات شروحا مختلفة منها الوجيز والمتوسط والمبسوط ، وإذا كان ابن سينا قد خالف أرسطو فى كثير من قضاياه فإن ابن رشد قد هاجم مخالفيه ، ووقف مواقفات حاسمة أمام ما عورض به وأصبح فى نظر التاريخ الفلسفى الشارح الأكبر لفيلسوف اليونان ، وتعرض إلى محن كثيرة من الحاجات العامة حتى نفى إلى غير موطنه ، وطرد من المسجد حين أمه للصلاة ، ولكنه لم يتخل عن منهجه الفلسفى بل شغل وقته بالشرح والدراسة حتى هيأت له الأسباب من نقل شروحه وآرائه إلى اللاتينية ، لتكون مصباحاً هادياً ينير الدراسات الفلسفية . ويبرز أرسطو فى وضع جديد !

ولا يمكننا أن نحدد أثر ابن رشد فى إنهاض الفكر الفلسفى بأوربا إلا حين نعرف حال الفلسفة فى القرون الوسطى قبل ابن رشد . فقد تأكد لدى بعض الأفهام أن الفكر الأغريقى قد زحف إلى أوربا الغربية مع الزحف الرومانى وأن العرب بناء على ذلك لم يضيفوا شيئا ذا بال إلى الفلسفة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإغريقية إذ أن ترجمات ابن رشد وشروحه لم تأت بجديد حين نقلت إلى اللاتينية ، بل كانت نسخا مكررة للذائع المشهر ، وهذا خطأ ظالم مغرض ، لأن الباحث فى تاريخ أوربا خلال العصر الوسيط يرى أن الكنيسة كانت تدرس الفلسفة الأغريقية من خلال المعتقدات المسيحية فهى تدور بها فى مجال العقيدة لتؤيدها لديها من نصوص حتى ليخيل لقارئ هذه الفلسفة أن أرسطو وأفلاطون وأضرابهما قد وجدوا بعد المسيح ليؤيدوا تعاليمه ويجروا فى فلكه ، وقد حظر البحث عن أى حل من الحلول الفكرية لايلائم النصوص ولايسير وراءها شبرا بشبر ، وإذا كان الفيلسوف (سانت أوجوستان) قد فطن إلى التناقض الصريح بين مسائل الفلسفة الأغريقية والدين المسيحى فإنه لم يعلن ذلك صريحا كما ارتآه بل جعل يوفق بين الآراء فى أسلوب متكلف ينادى بالافتعال وكان خيرا له أن يعلن أن الفلسفة الإغريقية شىء آخر غير تعاليم المسيح ! بل إن المسيح لن يكون صاحب رسالة كبيرة إذا كان جميع ما أتى به موافقا لما سبق أن حكم به أرسطو وأفلاطون وإذا كانت الفلسفة الإغريقية تسير على هذا الوضع الكنسى فإن شروح ابن رشد وأضرابه لها قد فاجأت أوربا بالطريف ! ودفعت بالأنظار المتطلعة إلى أفق جديد .

وقد منيت الفلسفة الإسلامية باضطهاد أليم من الرأى الغربى العام ، إذ تواطأ أكثر الباحثين على أنها نقل وترديد لفلسفة الإغريق فهم يرددون ما عبر عنه (الفريد جيوم) فى تراث الإسلام حين قال : « إن الشعوب الناطقة بالضاد لم تفعل شيئا أكثر من أنها استولت على الفلسفة اليونانية التى كانت شائعة بين المسيحيين من أهل سوريا والمثقفين من أهل حران والوثنيين ، ثم أضافت إليها بعض عناصر استمدتها من فارس والهند وإن من الحق أن نرد الفلسفة العربية فى مادتها وصورتها وغايتها إلى حضارة البلاد التى غزاها العرب وأن نعتبر الفلسفة اليونانية المعين الذى استقوا منه مذهبهم » .

وقريب منه قول (أرنست رينان) : « ومن عجائب القدر أن هذا الجنس السامى الذى استطاع أن يطبع ما ابتدعه من الأديان بطابع القوة فى أسمى درجاتها لم يثمر أدنى بحث فلسفى خاص وما كانت الفلسفة قط عند الساميين إلا اقتباساً صرفا جديداً وتقليداً للفلسفة اليونانية ! ! » .

إلى أمثال هذين الرأيين لعشرات الباحثين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مما تفيض به صفحات القوم ، دون إنصاف وتحقيق ، والرد عليها واضح صريح لا يستقف بالباحث فى شعاب وعرة منقطعة تكتنفها الأشواك والصخور ، بل يدعوه إلى قراءة ما أنتجه فلاسفة الإسلام حين تمسكوا بحرية الفكر التى دعا إليها القرآن ونأوا عن التقليد الفاضح الذى عابه الإسلام فناقشوا فى علم الكلام ما يتعلق بالأزل والأبد وحرية الإرادة وأفعال العباد وقدرة الله ، مناقشة تعتمد على الدليل العقلى اعتماداً أساسياً فإذا استندت إلى النص فذلك استئناس لا استدلال وقد انتقلت مؤلفات أرسطو وأفلاطون إلى الأوربيين محاطة بالفكرة الإسلامية وبشروح المفكرين من أمثال ابن سينا والفارابى وابن رشد ! وبهذه الشروح أطل العالم الأوربى على نمط جديد غير مألوف ! واستيقظ من سباته ليرى موقفين متضاربين: موقف الكنيسة حين تجعل العقيدة المسيحية مبدأ لكل بحث فلسفى ، وموقف فلاسفة الإسلام حين يحتكمون إلى المنطق بحججه وأقيسته مجرداً عن كل فكر سابق !! هذا الموقف الجرىء قد دفع بالفلسفة الإغريقية دفعة جديدة إذ طرد عنها شبح الكنيسة وأصبحت بشروح العرب ذات اتجاه جديد ! وإن كان من الفلاسفة الإسلاميين من خالفوا الجمهور فى بعض الأصول فذلك شىء طبيعى لا بد أن يتمخض عنه اختلاف العقول ، وتباين النظرات ، وهو مما يشير إلى الحرية التامة حين تكتسح القيود والأسوار .

نستطيع بعد هذه الإلمامة أن نتابع تأثير ابن رشد فى أوربا الغربية ، فنرى أنه برغم قلة تأثيره فى المشرق أو فقدان تأثيره على وجه التحديد إذ ذاك ، قد نال أكبر شهرة عند اليهود باعتباره شارحا لكتب أرسطو فكانت شروحه تنقل إلى اللاتينية على أنها نصوص يقينية ، ومن أشهر مقدريه معاصره الشهير (موسى بن ميمون) إذ بذل أكبر جهد فى إنشاء مدرسة رشدية ونقل شروحه إلى العبرية واللاتينية ، غير أننا نرى (باريس) فى حياة ابن رشد تتأثر بالمناهج العربية إذ تصبح مركزاً للفلسفة المدرسية ثم تمتد بها الأيام فتصبح فى مطلع القرن الثالث عشر حومة جدل فلسفى ينهج نهج المسلمين ، ويصل صداه إلى الدوائر الكنسية فتصدر قراراتها بتحريم الترجمات العربية والاكتفاء بالترجمات القديمة ، ومعنى ذلك أن تدور الفلسفة الارسطالية فى نطاق المسيحية من جديد ! وأن تبتعد شروح العرب ذات الفكر الاستقلالى والطابع الحر الفريد .

وكان من المصادفات أن يقبل فردريك الثانى امبراطورية صقلية سنة ١٢١٥ ، ومع اشتراكه فى بعض الحملات الصليبية إلى الشرق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد كان عدوا من صفوف الأصدقاء - إن جاز هذا التعبير - فقد اتصف بصفات رائعة قل أن تجتمع فى إنسان فهو يجيد ست لغات وينظم الشعر، ويعجب بفنون التصوير والنحت والموسيقى ويؤلف فى علوم الحيوان والطير ويشذ عن تقاليد الكنيسة فيميل إلى التسامح الدينى ويجمع فى بلاطه اليهودى والمسيحى والمسلم، وقد عشق الشرق فعاش عيشة رجاله يتكلم العربية، ويناقش مفكرى العرب وينأى عن التعصب فى جرأة وثورة، وكان شديد الإعجاب بفلاسفة المسلمين الذين يقرأ كتبهم فى لغتها العربية، ويظهر عطفا كبيرا على أساليبهم فى البحث والتفكير حتى تشيع لأكثر ما نادوا به من معتقدات مما اضطر (البابا) إلى تكفيره وإعلان مروقه، وقد أسس فى سنة ١٢٢٤ جامعة (نابولى) وجعل مهمتها الأساسية أن تدفع العلم العربى إلى أوربا فوضعت المترجمات على يد أساتذتها من العربية إلى اللاتينية وانتدب بعض أساتذتها إلى زيارة طليطله سنة ١٢١٧ لنقل شروح (ابن رشد) على كتب أرسطو وترجمتها.

وقد قام الأساتذة الوفدون برسالتهم وأعانهم على تحقيقها نفر من أحبار اليهود ممن تتلمذوا على آثار ابن رشد وعنفوا بفلسفته.

وقد عقد الأستاذ ديلاسى أوليرى المستشرق الانجليزى فصلا طويلا عن أثر الفلسفة العربية فى المدرسة اللاتينية بكتابه الشهير (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ)، ترجمة (الدكتور تمام حسان) تحدث فيه عن أثر الفلسفة الرشدية وأطوار تأثيرها حديثا مسلسلا يؤرخ خطوات هذا التأثير على مدى الأحقاب المتتالية حتى ينتهى بها إلى وضعها الراهن فى الفلسفة الحديثة، فيذكر أن القرن الثالث عشر قد أكمل ترجمات آثار (ابن رشد) الفلسفية إلى اللاتينية جميعها.

وقد ذاعت على أيدى مؤيديه ومعارضيه جميعا، فالمؤيدون يبسطون ما قال الفيلسوف العربى، والمعارضون يحاولون تفنيد آرائه بعد أن يبسطوها بسطا واضحا فتشتهر وتذيع، بل أن أحد هؤلاء المعارضين يضطر إلى نقل كتاب (تهافت الفلسفة) للغزالى محاولا أن يفحم به آراء (ابن رشد) وكأنه يعتصم بالأفكار الإسلامية حين أعوزه أن يثبت الرجل الكبير!

وقد التفت الأستاذ ديلاس اوليرى إلى نقطة عجيبة حقا حين قال ص ٢٩٣ ترجمة الدكتور حسان: «وكأن ثمة حداً فاصلا بين ابن رشد الشارح الذى عومل باحترام كبير كشارح لنصوص أرسطو وبين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ابن رشد الفيلسوف الذى كانوا يعتبرونه ملحداً وتبدو المسألة كما لو كان ثمة سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب » .

ومعنى هـذا أن شروح ابن رشد على أرسطو مقبولة لأنها فى وجهة نظرهم تمثل الفيلسوف اليونانى ، أما آراؤه الخاصه فمرفوضة لأنها تمثل الفيلسوف العربى ، وهـذا الفهم على غضاضته الخلقية ودلالته النفسية مخطىء مضحك ، لأن شروح ابن رشد لا تمثل أرسطو وحده ولكنها تمثله فى مرآة ابن رشد ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمة ، إذ أن الترجمة نقل خالص ، أما الشرح فتفسير وتحليل وتعليل ، وكثيراً ما يفهم الشارح أقوال غيره من وجهة نظره فهو ذو شخصية واضحة منفصلة فى التصور والإدراك والتعليل ! !

فالذين يحترمون ابن رشد الشارح بحجة أنهم يبحثون عن أرسطو قبل كل شىء قد أخطأهم السبيل ، وهم فى حاجة إلى من يقول لهم لقد فرض عليكم الشارح نفسه مفكراً وفيلسوفا وهذا ما تحذرون ! !

أما إذا كانت هناك سياسة متعمدة للوصول إلى أرسطو عن طريق التضحية بالشراح العرب فإن هذه السياسة لم تتحقق على وجهها المنشود لأن هؤلاء الباحثين عن أرسطو لم يتح لهم أن يجدوه من غير طريق العرب ! حتى أنهم حين عثروا بعد ذلك على النصوص الأغريقية الأولى فى لغتها اليونانية لم يستطيعوا فهمها إلا بالشروح العربية مقارنة وتحليلا إلى أن مضت مدة طويلة فهمت فيها هذه النصوص الأغريقية فهما تنوسى معـه ما ساعد على توضيحه من شروح ابن رشد !

* * *

والذين يتحدثون عن أثر الأندلس فى اليقظة الأوربية فى غير مجال الفلسفة من المجالات الحضارية والفنية لا يواجهون صعوبة كبيرة فى توضيح دورها الكبير حيث تبدو الحقائق سافرة غير ملتبسة ، ولكنهم حين يتحدثون عن أثر الأندلس فى مجال الفلسفة يجدون من يلبسون عليهم القول متعللين بأن قصارى جهد . فلاسفة الإسلام أنهم تراجمة ناقلون ، أو شراح مفسرون أو هم يتعمدون إخفاء ما يعرفونه من الحقائق فى فلسفة الإسـلام إذ أن أسلوب مفكريه فى البحث الفلسفى قد تميز فى علم الكلام تميزاً يصعب إنكاره ، فهو إسلامى الوجهة والروح والمشرب ، وإن اصطنع سبيل الفلسفة فى البرهنة والاستدلال فذلك مما يمس الشكل الخارجى فى ترتيب الجدل ومسائله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما حقائقه الجوهرية فإسلامية خالصة جاء بها دين يرتكز على العقل ويدعو إلى الحرية والتفكير فى ملكوت السموات والأرض ، وقد استطاع الأستاذ (ت . ج . ديور) مؤلف تاريخ الفلسفة فى الإسلام أن ينصف المسلمين بعض الإنصاف حين تعرض لتحديد ما سماه فضل المسلمين على الفلسفة النصرانيـــة فى العصور الوسطى فقال فى ص ٢٨٦ نقلا عن ترجمة الدكتور أبى ريدة :

« أما أهم أثر للعرب فهو أن النصارى بعد قراءتهم لمؤلفات العرب ولا سيما ابن رشد صاروا يرون فى نظريات أرسطو رأيا خاصا فاعتبروها الحقيقة العليا ، ولم يكن بد من أن يقضى هذا ، إلى تصادم بين علوم العقائد والفلسفة أو إلى إحراج بينهما بل كاد يؤدى إلى إنكار العقائد الكنسية وإذن فقد كان تأثير الفلسفة الإسلامية على تطور العقائد الكنسية فى العصور الوسطى حافزاً من ناحية وعاملا على الهدم من ناحية أخرى ، لأن علم الكلام والفلسفة لم يستطيعا أن يسيرا فى العالم النصرانى مستقلين كل على جادته لا يتعرض لصاحبه كما قد حدث عند مفكرى الإسلام ثم أن علوم العقائد النصرانية كانت فى القرون الأولى من نشوئها قد أفرطت فى أخذ الفلسفة اليونانية حتى أصبح الانفصال بين الدين والفلسفة غير ممكن بل كانت تستطيع فوق هذا أن تهضم أشياء قليلة أخرى وكان هضم الفلسفة اليونانية أسهل على العقائد الإسلامية البسيطة التى ليس فيها كثير من الآراء الفلسفية منه على العقائد النصرانية المركبة بما فيها من فلسفة ... الخ » .

وهكذا كان انتشار الفلسفة الإغريقية على يد العرب ترجمة وشرحا وتعليقا تمهيداً لقيام النهضة فى النصف الأخير من القرن الخامس عشر إذ بدأت الفلسفة تؤتى ثمارها فتوجه العقل الأوربى توجيها جديدا يستند إلى حرية الفكر ، وشعور الإنسان بشخصيته واقتـــداره على التفكير الذاتى مستقلا عن غيره ، وقد ذهب فى هذه الحرية إلى أبعد مدى حتى تصدى لفلسفة أرسطو نفسها فنقدها وكشف عن ثلومها ! وامتدى إلى فلسفة حديثه أنتجت مفكرين قادة وفلاسفة مصلحين ، وانتقلت بضوابطها وأهدافها إلى الأدب الخالص فبسطت آفاقه وعمقت مجراه ، وجعلته وليد تأمل دقيق وتحليل نافذ كشاف .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اتجاهات الثقافة في الشرق العربي

للأستاذ محمود فرج العقدة

إن من المسلم به أن كل إنسان مسئول بفطرته ووجدانه - إن كان ذا فطرة مستقيمة ووجدان سليم - عن سعادة المجتمع الذي يعيش فيه، ويدين له بحاضره وماضيه. بل عن سعادة البشرية جمعاء - إن وجد إلى ذلك من سبيل وبدهي أن ذلك إنما هو بعد مسئوليته عن إسعاد نفسه في دنياه وآخرته - إن كان يتصور أن بين السعادتين شيئا من الانفصال، إذ أن كل واحدة منهما عند التأمل الصادق، والنظر القويم إنما هي انعكاس للأخرى أو أثرها حتى كأنهما شيء واحد أو أمر سواء.

ولا سبيل لتحصيل السعادة كالعلم، بل لا سبيل لها سواه، وكيف لا وهو الميزة الظاهرة للإنسان على ما سواه حتى لقد جعله الله حجة على ملائكته في استخلاف الإنسان في الأرض كما قص علينا نبأ ذلك في كتابه إذ يقول: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» إلى قوله: قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ( )!!

وبالهدى والعلم أرسل المرسلون، وقام الدعاة والمرشدون، ومضى على سننهم المصلحون.

وقد خالط العلم في القديم والحديث فنون من الجدليات والأوهام موه بها على الناس الحق أقوام يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وإنه لمن أوجب الواجبات علينا معشر المربين أن ننفي هذه الجدليات والأوهام عن ساحات العلم قبل أن تعصف بالبقية الباقية من عقول الناشئة، أو أن تأتي عليها إتيان النار على الهشيم.

ومن الحق علينا لهذا الشرق العربي أن لا نشغل ناشئته التي هي معقد الأمل ومناط الرجاء إلا بما هو أشبه العلوم به، وأوفقها له، وأهداها إلى سبله، وأبلغها تأثراً به، وتأثيراً فيه. وأول ما يلفت النظر من ذلك أنه يجتمع روحي المذاهب والمشارب، سماوي الشمائل والمشاعر، ليس عنده من الجنوح إلى المادة، ولا الجموح مع الباطل ما عند غيره من عباد المادة المسرفين، وأشياع الباطل المفرطين، وليس من خلقه أن يتخلى في سهولة ويسر عن هذه الشيم والمكارم، والمآثر والشمائل التي توارثها

( ) سورة البقرة الآيات ٣٠ إلى ٣٣.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن آبائه الميامين وأسلافه الماجدين ، وبهذا نستطيع أن نعود به تارة أخرى إلى أمجاده الأولى يوم غمر الآفاق ببباهر سناه الذى بدد الظلمات ، ومحا الجهالات ، ووصل ما انقطع بين الأرض والسموات .

فهذا الشرق العربى محتاج منا دائما لتستقيم له الحياة - إلى الإمداد والإسعاد بالغذاء الروحى الذى يغذو قلبه ، ويروى ظمأه ، ويذكى مشاعره ، ويجلو بصائره ، وينير له سبله إلى كل مايصبو إليه بفطرته من مثل وما يهدف إليه من غايات .

وليس سوى التعليم الدينى الخالص من غذاء وروى لهذه القلوب وتلك الأرواح ؛ وإن حرمانها من ذلك ، أو شىء منه إنما هو كحرمان الأرض الطيبة من الغيث ، أو الروض النضير من الطل ، أو السماء الصافية من الضياء .

ولا نقصد بالتعليم الدينى ما يجرى مجرى الحفظ والتلقين بلا تدبر ولا وعى ، وحاشانا بعد ما عرفنا من آيات الله الحاثة على النظر والاعتبار ، والتأمل والادكار لمعرفة آيات الله فى خلقه ، وسنته فى كونه ، وآثار رحمته على عباده ، ومظاهر قدرته وإبداعه ؛ لنستكمل بذلك ديننا ، ونستتم به مقوماتنا ، ولنكون بعد ذلك أهلا للدعوة إلى الله على بصيرة وبينة ، وقادة للبشرية إلى سعادة الدنيا والآخرة ؛ وكيف نفهم أن التعليم الدينى مجرد تحصيل وتلقين ، وكتاب الله لا يزال يدعونا إلى التأمل البعيد فى ملكوت السموات والأرض ، والنظر السديد فيما خلق الله من شىء بمثل قوله جل شأنه : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (١) » وبمثل قوله : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات الأرض وما خلق الله من شىء (٢) » وبمثل قوله : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق (٣) » إلى أن يحض على النظر فى أحوال النفس ، وما فيها من عجائب الخلق إذ يقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون (٤) » ، وإنى لأرى أن الحض على إعمال النظر فى دلائل وجود الله وقدرته فى هذه الآثار حض صريح على الأخذ بما يعين عليها من شتى العلوم الكونية والطبيعية ؛ بل أرى أن هذه النظرات الصادقات فيما لله فى كونه من من شواهد وآيات هى أبين تفسير لكتاب

(١) سورة البقرة آية ١٦٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٥ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٢٠ .
(٤) سورة الذاريات آية ٢١ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الله العظيم ، وأقوى برهان على أنه من عند الله رب العالمين ، وأعظم هاد بعده إلى مبدع الكائنات ، وفاطر الأرض والسموات .

وفه فى كل تحريكة
وتسكينة فى الورى شاهد
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

ولقد سمعت ممن أدرك الإمام الشيخ محمد عبده من شيوخ شيوخنا رحمهم الله ـ أنه رأى بعض علماء الكونيات من الألمان يخر مغشيا عليه إذا ذكر أمامه اسم الله ـ جل شأنه ـ وذلك يوشك أن يكون مصداقا لقوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فإن سياق الآية يشير إلى أن العلم بآثار قدرة الله يؤدى إلى تلك الحال ؛ فإن هذا السياق هو قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ... [1] » .

أما ثانى ما يلفت النظر ، وينبغى أن يكون موضع العناية والاهتمام فى هذا الشرق العربى فهو هذه العلوم الطبيعية التى تفرضها علينا أسباب الحياة والسلامة ، والقوة والمنعة فى بيئتنا التى ظاهرها العسر والجدب ، وباطنها اليسر والرخاء ، بل الأمل والرجاء ؛ فإن معظم كنوزها لا يزال بكرا لم يفتض ، وعروسا لم يكتب لها الجلاء ، وباكتشاف هذه الكنوز بأيدينا ، واستخراجها بسواعدنا نستطيع أن نسعد فى بلادنا كل شقى ، ونطعم كل جائع ، ونسد حاجة كل محتاج ؛ بل نستطيع ما هو أعلى من ذلك وأغلى ، وهو أن ندفع بوثبتنا العربية النامضة إلى مكان الصدارة فى العالمين ، كما كان ذلك شأننا يوم استخلفنا الله فى الأرض كما وعدنا فى كتابه إذ يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » ويوم جعل لنا السناء والرفعة فيها مصداقا لبشارة نبيه صلى الله عليه وسلم إذ يقول لبعض أصحابه : « بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والتمكين فى الأرض » . فنحن إذن فى أمس الحاجة إلى دراسات عملية بحتة بعد الدراسات الروحية الحقة ، يوجه إليها جميع شبابنا الأكفاء فى شئون استخراج المعادن ، واكتشاف المناجم ، وإدارة المصانع ، وصناعة الآلات ومن العلم الفادح لمستقبل هذا الشرق العربى وهو لم تندمل جراحه بعد من آثار مخالب الاستعمار أن تصرف همم أبنائه ومواهبهم إلى أنواع من الدراسات الأجنبية فلسفية أو أدبية لا تتصل بقوميته ، ولا تتجاوب مع

(١) سورة فاطر آية ٢٧ و ٢٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مشاعره ، ولا تنمى من فضائله ، ولا تعينه على الانتفاع بكنوزه وذخائره ، ولا تذكره بأمجاده ومآثره ، ولا تجعله فى منعة عقلية أو روحية من حبائل الاستعمار ومكايده ، وشراكه ومصايده . وإنى لأتساءل متعجبا ماوجه الحاجة إلى هذه الفلسفات الأجنبية ، أو مذاهب النقد الأوربية التى تلقى بأوزارها وأثقالها على كواهل مبادئنا الروحية وآدابنا العربية القومية ؟ وأى لغو وعبث بعد هذا نقف فيه أوقات أبنائنا وعقولهم ، ونضيع فيه مواهبهم ، واستعداداتهم فى زمن أصبح تاريخ الأمم يكتب فيه بالأيام لا بالأعوام ، وبالشهور لا بالعصور ، وأصبحت القوة فيه أثرا من آثار الابتكار والاختراع ، ومظهرا من مظاهر الثراء والرخاء ، وأصبح فيه أمل الإنسانية فى البقاء منوطا بالإيمان بمن بيده وحده أن يكف البشرية عن نفسها ، ويحول بين سكان الأرض وبين ختم تاريخها ، وطمس معالم الحياة فيها ؟ ! وهو على ما يشاء قدير ؟

محمود فرج العقدة
المدرس بجامعة الأزهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لسان حال اللغة العربية

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفات

ومن أضاع تراثا من أبوته ... لم يستفد من سواهم قدر ما فقدا

حافظ إبراهيم
أحد الزين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نهضة العالم الإسلامي

للدكتور محمد مختار القاضي

يحضرني وأنا أكتب هذا المقال قصة وردت في كتاب كليلة ودمنة ، في باب الحمامة والثعلب ، ومالك الحزين .

ومؤدى هذه القصة : أن حمامة كانت تفرخ في رأس شجرة ، حتى إذا كبر فراخها ، صار يأتيها ثعلب فيقف في أصل الشجرة ، ثم يصيح بها ويتوعدها لتلقى إليه فراخها فتلقيها ، خشية أن يصعد إليها فيأكل فراخها ، ويأكلها هي أيضا . وفي ذات يوم شكت إلى مالك الحزين ما هي فيه ، فنصحها بألا تلقي فراخها للثعلب ، فإذا صعد إليها ، ولن يصعد أبدا ، طارت هي ناجية بنفسها ، وخلفت فراخها للثعلب ، ولن تخسر شيئا ، ففراخها مأكولة على كل حال . فلما أخبر الثعلب بمقالة مالك ، لم يستطع أن يصعد ، وأمنت الحمامة ، وفراخها بقية أيام حياتها .

هذا بعض ماورد في كتاب كليلة ودمنة ، وهو قول ينطبق على قصة العالم الإسلامي وصلته بالعالم الغربي الذي استغل المسلمين واستعمر بلادهم أكثر من قرن من الزمان .

لقد استغل الأوربيون العالم الإسلامي وسخروه لمصالحهم المادية إلى أن أصبح حطاما ، وعظاما نخرة ، حتى إذا ما هم برفع رأسه هددوه بالحديد والنار والخراب والدمار .

وكان هذا العالم الإسلامي يخشى سطوة العالم الغربي وحده وناره ويحسب ألف حساب لتهديده ووعيده .

وكان زعماء المسلمين المخلصين في حاجة إلى رأي مالك الحزين ليكشف لهم عن حقيقة قوة الثعلب الغربي ، ويقنعهم بأن هذه القوة ليست سوى تهديدات لا تضر ولا تنفع .

وانتظر العالم الإسلامي زمنا طويلا دون جدوى ، ولا طائل . إلى أن أعلن الرئيس العربي جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ، وأعلن الفرسان الثلاثة حرب بور سعيد سنة ١٩٥٦ وما صحبه ذلك من استيلاء مصر على القاعدة البريطانية ، وبذلك قطع ذيل الأسد البريطاني فولى هاربا إلى غير رجعة ، منسحبا من مصر ومن ورائه الحراسة الفرنسية ، واللبوة الإسرائيلية .

لقد كان هذا التاريخ نهاية عهد غامض ، تكتنفه الرهبة والفزع من ذلك الأسد الذي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كان الاستعمار الأوربى يخيف به الجانب الشرقى من الكرة الأرضية عامة ، والوطن العربى الإسلامى خاصة .

وكان هذا التاريخ نفسه بداية عهد جديد انكشفت فيه حقيقة التهديدات الغربية فأصبحت سافرة للعيان ، لا غموض فيها ولا لبس ، وانكشفت ألاعيب الاستعمار الغربى فلم تصبح لغزا فى نظر الشرق ، ولا معجزة من عند الله .

فإلى هذا التاريخ كان الناس جميعا يعتقدون أن تحت القبة الغربية شيخا باتعا سره ، نافذا أمره فى جميع منطقة الشرقين : الأوسط والأقصى وأن هذا الشيخ إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .

وكانت هذه العقيدة راسخة فى عقول الناس كالطود الثابت ، تأخذ عليهم جميع تفكيرهم ثم تنتهى بهم إلى اليأس القاتل .

وكان هذا الشيخ الغربى يعوذ نفسه تارة بالإنذارات الصارمة ، وتارة أخرى بتحركات الأساطيل فى البحرين ، وثالثة بأزيز الطائرات فى السماء الصافية فى البلاد العربية والإسلامية فترجف قلوب النساء والأطفال ، وتهتز عروش الأمراء والملوك حذر الموت ، أو الحرمان أو الطرد وما شابه ذلك .

ولكن حرب بور سعيد أثبتت العالم الشرقى عامة ، والعربى الإسلامى خاصة أن هذا الشيخ كان رجلا صاحب دجل ، ونصابا ذا حيل ، وأنه كان يركب الأسد ليخيف به الناس ، وهو أشد منهم خوفا ورعبا ، فما أن انقطع ذيل الأسد حتى هرب ملقيا بأصحابه فى الرغام ، وما أن ظهرت للناس حقيقة قوتهم حتى بدءوا يتألبون عليهم دولة فى إثر دولة وشعبا فى إثر شعب .

فهذا الانجليزى إيدن الذى أسقط ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية قد لقى مصرعه السياسى على يد الرئيس العربى جمال عبد الناصر .

وهذا ديجول الذى كان له شرف احتلال ألمانيا فى الحرب ذاتها ، فقد شرفه العسكرى عندما فقد درة الأمبراطورية الفرنسية « الجزائر » على يد أحمد بن بيلا .

ولست أريد أن أعدد ما فقده الانجليز والفرنسيون من مستعمراتهم الإسلامية ، فهذا يريد وقتا أطول وورقا أكثر مما تستوعبه هذه الصحيفة ، ولكنى أريد أن أقول : إنه إنما تولوا فثم وجه من أوجه النهضة الإسلامية .

لقد انقشع كابوس الإستعمار ، وما بقى إلا أن يتعقب أهل هذا الوطن فلوله المتناثرة وجيوبه المستترة ، وأن يشدوا على رقبته وأن يأخذوه أخذ عزيز مقتدر .

وقد بدأ ذلك يحدث فعلا ، وإن هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المؤتمرات التى تعقد فى الوطن الإسلامى لدليل على أن القوم عندنا قد غيروا ما بأنفسهم ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ودليل على اقتناع العالم العربى الإسلامى أن التهديد الذى كان يقع على رءوسهم ، وعرشهم كان تهديداً لا يخفى تحته قوة حقيقية مقساندة الأركان ، وإنما كان مجرد ألعاب سحرية لا تنهر إلا الأطفال أثناء طفولتهم ، فلما كبروا عرفوا أن قوة الساحر ليست مستمدة من قوة إنس ولا جان ، وإنما هى خفة يد لم تلبث أن تبينت تحت الفحص الدقيق .

من كان يعتقد أن العالم العربى يجتمع بملوكه ورؤسائه أكثر من مرة ليرسم طرق الدفاع عن الكيان العربى ، وينفذها على الفور متحدياً أكبر الدول الاستعمارية فى العالم الغربى ؟ ماذا تغير فى العالم العربى ؟ أنا لا أعتقد أن قوتنا العسكرية قد وصلت أو قاربت القوة العسكرية لحلف الأطلنطى ، ولكن الذى تغير هو طريقة التفكير التى أدت بنا إلى كشف الأفكار الخاطئة عندنا وعند خصومنا

أما عندنا فقد انتهينا إلى كشف سر نجاح الشعوب ، إنه لا يكمن فى القوة العسكرية وحدها ، ولكن للنجاح طرقا أخرى غير القوة العسكرية .

إننا نملك موارد ، وطرقا برية وبحرية وجوية يحتاج العالم الغربى أن يتحالف مع أصحابها ليظفر بالأمن والدعة ، وإن حسن استغلال هذه الموارد والسيطرة عليها يعطينا من القوة أكبر مما تعطى القنبلة الذرية والهيدروجينية ، والميكروبية ، وقنبلة الكوبلت معا ، ذلك بأن وسائلنا هى للبناء والإنشاء ، ووسائلهم للهدم والدمار .

وأما عندهم فقد كشفنا أنهم - وإن سموا نفسهم حلفاء فى الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية - فإنهم لا يملكون من صفة الحلفاء إلا مظاهر مؤقتة تدفعهم إليها الحاجة عند الحروب الكبرى ، فإذا انتهت الحرب عاد الحلفاء أعداء يتربص بعضهم بالبعض ، ويكيد بعضهم لبعض وقد رسم لهم هذه السياسة ماكيافيلى منذ أكثر من قرن فى كتابه الأمير .

ولم يكن ماكيافيلى هذا مجتهداً ، ولا مجدداً وإنما كان مؤكداً لأخلاق سبقت ، وعادات عرفت منذ الحروب الصليبية ، وإن هذه المدنية الغربية التى تفخر بالكهرباء والذرة وإخضاع البر والبحر والجو ، تعجز فى الحقيقة عن تحقيق شئ من المثل العليا .

فالاستعمار ذاته هو أكبر عار فى جبين المدنية الغربية ، وهذه الحروب العالمية فى كل ربع قرن ، والحروب المحلية الدائمة أكبر دليل على الوحشية الغربية ، وهذا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التميز العنصرى الذى تجده فى أكبر الدول الداعية إلى المساواة ، والمتبنية لحقوق الإنسان أكبر مظهر من مظاهر الردة إلى البربرية القديمة .

ما أعتقد أن هذه المدنية الزائفة سوف يطول عمرها ، إنها قد قاربت الشيخوخة وإن تجملت بالأصبغة ، والمساحيق ، والحقن لتظهر أمام العالم بمظهر الشباب . والشباب ولى إلى غير رجعة .

سوف ينتهى العالم المادى لأنه رسالته فى الحقيقة لا تصلح لإقامة حياة سعيدة .

وهنا يجب أن يتهيأ العالم الروحى ؛ ليقود ركب الحضارة ، وينير الطريق أمام بنى الإنسان وإن القيم الروحية النابضة بالحياة لا تجدها إلا فى الجانب الشرقى من هذا العالم ، وهى قيم لا تزال سليمة لم يداخلها زيف ، ولا دنس ولم يلوثها رجس المادة وأوزارها .

لقد بدأت هذه القيم الروحية دورها وهى الآن تتجمع وتشتد وتتكتل ، وعندما تصل إلى منتهاها سوف تنقض لتقود البشرية التى امتهنها العالم الغربى قرونا منذ أن تسلم قيادتها من العالم الإسلامى أواخر العصور الوسطى ، فلم يحسن هذه القيادة وألقى بالبشرية فى حالة من الاضطراب والقلق تدعو إلى الأسف المرير .

دكتور محمد مختار القاضى

مصر والقضية العربية

سألنى فنان صهيونى : لماذا يهتم المصريون بمشاكل العرب... ؟

فاستغربت سؤاله ، ولم أكتمه أنه سؤال غريب ، فعاد يسأل : وما وجه الغرابة فيه . ؟

قلت : وجه الغرابة فيه أنك تنتظر الاهتمام من يهود أمريكا بجامعة الوطن القومى فى فلسطين ، وتحسبه من الأمور الطبيعية التى لا تحتمل السؤال والاستفسار ، لكنك تستغرب من العرب المتجاورين أن يهتم بعضهم ببعض ، وهم مضطرون إلى هذا الاهتمام ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليلة الإسراء والمعراج

للأستاذ احمد حنفي نصار

أراد الله العلي الكبير أن يمنح رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من واسع فضله وأن يكرمه بمشهد من علية خلقه فكانت الليلة المشهودة ، وهي ليلة الإسراء والمعراج . وقد وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في السنة الحادية والخمسين من عمره المبارك ، قبل هجرته عليه السلام بنحو ثلاث سنين .

وكأن الله الذي عصمه ورعاه ، أراد أن يخفف عنه المتاعب النفسية التي خلفتها الأعباء الجسام التي ناء بها أكثر من عشر سنين ، وهو يواجه قومه برسالة ربه مع عنتهم ولجاجهم العنيف ، وأن يشرح صدره ويزيده قوة روحية ، وثباتا نفسيا ، ولكي يعلنه بما يدله على قدره عنده ، ومكانته العالية لديه ، فتطيب نفسه ، ويطمئن قلبه بما يرى من آيات ربه الكبرى .

أسرى به الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجاءه جبريل عليه السلام ومعه البراق ؛ ليكون مطية الرسول صلى الله عليه وسلم في ليلته الغراء - وهو دابة ، أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى بصره - فركب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وجبريل عليه السلام من حوله في سفرته . فرأى في سراه من آيات ربه ما رأى ، حتى وصل إلى المسجد الأقصى المبارك فنزل عنده ، ثم دخل المسجد حيث جمع الله له إخوانه الأنبياء ، وقدمه جبريل عليه السلام عليهم فصلى بهم إماما ، ولا عجب فهو المحتفى به وهو خاتمهم ، وأكرمهم على الله في الدنيا والآخرة ، وصاحب الشريعة القائمة العامة الكاملة الدائمة . وأمته خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان الله قد كلم موسى عليه السلام فقد كان موسى في أرض سيناء على جبل الطور عند المناجاة ، ولم يرق إلى السماء ولما طلب الرؤية أخبره الله بأنه لن يراه كما يفهم من قوله تعالى : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد طلب مائدة تنزل من السماء ، فاستجيب له ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نبع الماء من بين أصابعه ، وبارك الطعام القليل فكفى الكثير حتى شبعوا وبقى من الطعام فضل .

وإذا كان عيسى عليه السلام قد أحيا الموتى بإذن الله فلم يك ذلك خصوصية له فقد سبقه إلى مثله إبراهيم عليه السلام بإحياء الطير كما يفهم من قوله : « قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا » ، وكذلك عادت الحياة إلى قتيل بنى إسرائيل لما ضرب ببعض أجزاء البقرة بأمر الله فى عهد موسى قبل مبعث عيسى عليهما السلام « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون » .

وحقا إن ما كان الأنبياء قبل محمد عليهم السلام من معجزات ، له قدره وخطره فى تأييد الله إياهم لكن ذلك لا يرقى إلى الإكرام السامى الفريد الذى كان لمحمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء والمعراج ؛ لأنه تشريف لذاته ، وبما أجرى الله له من معجزات أخرى حسية ومعنوية متلاحقة لم تجتمع لغيره من النبيين ، وناهيك بتلك المعجزة الكبرى التى غطت على كل معجزة وهى القرآن الكريم ، القائم شاهد عدل على كمال شريعته ، وصدق رسالته ، محفوظا كما أنزل باقيا منار هدى على تعاقب الأيام واختلاف العصور إلى يوم الدين .

هذا وما استقر المقام بالرسول صلى الله عليه وسلم فى بيت المقدس ، حتى عرج به إلى السموات السبع فرقى فيها ، والملائكة يرحبون بمقدمه فى كل سماء ، ماراً بالأنبياء على منازلهم حيث وجدوا من السموات حتى وصل إلى سدرة المنتهى .

وكثير من السادة العلماء الذين تكلموا عن الإسراء والمعراج يفرقون بينهما فى أدلة الثبوت وما يترتب عليه من أحكام فيقولون : إن الإسراء قد ثبت بصريح القرآن فى أول سورة الإسراء إذ يقول الله تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » ، ولكن المعراج المنير قد ورد ذكره فى السنة النبوية الصحيحة فحسب .

ولست أدرى لم هذه التفرقة ؟ وكيف أغفلوا النظر فى قول الله تعالى فى سورة النجم « ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة مايغشى ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » . وهذه الآيات تبين لنا بوضوح أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها عند الشجرة أعلى السموات حيث ينتهي علم الخلائق ، وعندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة من الأنوار ما شاء الله أن يغشى . فكيف يتصور أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم تلك العجائب وهي أعلى السموات دون عروج ورقي إلى تلك الآفاق السامية ! وهل بعد هذا يمكن أن نفرق بين الإسراء والمعراج في الثبوت ، وما يبنى عليه من أحكام ، خصوصا مع ما ورد من ذكر المعراج مفصلا في الحديث النبوي المبسوط في الكتب الصحاح ؟ !

ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم بعد جولته في السموات إلى بيت المقدس ، ومن ثم رجع إلى مكة المكرمة بعد أن رقى أعلى المنازل ، وسما فوق كل الدرجات ودخل الجنة ورأى ما فيها ، وغشي بالأنوار . ووقف حيث سمع صريف الأقلام ، وانحسرت عنه كل العوالم من ملك وإنس وجان .

فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته ، فاشتد تكذيبهم له . وأذاهم إياه ، واستضراؤهم عليه . حتى إن جماعة ممن كانوا قد أسلموا ارتدوا . ويؤخذ من هذا أنه عليه السلام أخبرهم : بأنها رؤية بصرية رآها في يقظته ، وإلا لما كذبه أحد ، لأن من يرى في المنام الخوارق ما يكذبه أحد ولا ينكر عليه .

والله تعالى قد بدأ الإخبار عن الإسراء بالتسبيح ، والتسبيح لا يكون إلا في الأمر العظيم الخطير ، ولو لم يكن الإسراء يقظة ما كان أمراً عظيما . كما أنه جل جلاله قال « أسرى بعبده » ، والعبد يطلق على الشخص بجزأيه الجسم والروح معا . ولفظ العبد ورد في القرآن الكريم وهذا المعنى متعين له فقد قال الله تعالى « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب » ، والكتاب أنزل عليه يقظة كما قال تعالى « أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى » والصلاة وقعت من الرسول يقظة ، ومن نهاه من المشركين نهاه يقظة . فيكون الإسراء على ذلك قد وقع له عليه السلام يقظة ومن هنا لابد أن يكون كذلك بروحه وجسمه معاً .

وظاهر أن هذا التكريم الإلهي من خصائص الرسول الأعظم ، ومن أعلام نبوته ، وأن المقصود المتعين منه أن يريه الله من آياته الكبرى لا مجرد قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إذ ليس هذا فى ظاهره بالأمر العجيب المعجز ؛ لأنه يقع لمن تحمله الجن ، وقد قال العفريت لسليمان عليه السلام « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . وحمل عرش بلقيس من قصرها فى اليمن إلى مستقر سليمان عليه السلام بفلسطين ليس أقل من ذلك مع فارق بسيط : هو أن الجن وإن قدروا على أن يحملوا بعض الناس ، ويطيروا بهم فى الهواء من مكان إلى مكان فإن المحمول لا يدرى كيف حمل ، ولا يستطيع أن يدرك شيئا مما يمر به ، وهو محمول ، وهذا فى الإسراء فى جو الأرض ، وأما المعراج : فإن الجن لا يقدرون إطلاقا على إصعادهم إلى السماء وإراءتهم آيات الله فيها ، ولا حفظ حياتهم بعد جو الأرض المتعين بهوائه لبقاء حياة البشر.

وكذلك قال الذى عنده علم من الكتاب لسليمان عليه السلام « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » ، وهذا أبلغ من قطع المسافة التى بين المسجدين فى ليلة أو بعض ليلة .

ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل من الذى عنده علم من الكتاب ، ومن سليمان عليه السلام فلابد أن الذى خص الله به محمداً صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك . ولم يحصل مثله لسليمان ، ولا لغيره من النبيين عليهم السلام .

وبذلك يكون ما آتى الله محمداً صلى الله عليه وسلم ليس للجن والإنس قدرة على مثله ولا يستطيع أحد التلبيس على الناس فيه . وإنما هو تكريم إلهى كبير الدلالة على أنه عليه السلام قد بلغ النهاية من الرعاية والحب والرضوان « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

أحمد حنفى نصار القوصى

تعليق ...

ينبغى أن يلاحظ أن كل المعجزات التى ظهرت على يد الأنبياء من عمل الله لا من عمل أحد سواه . فليس لنبى يد فى الخوارق التى ظهرت على يديه ، وقهرت الخارجين عليه ، وقد عرض شوقى لهذا الموضوع ؛ فقارن بين القرآن ، وبين غيره من المعجزات التى ظهرت على يد الأنبياء وقال :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

« المجلة »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تيارات منحرفة في التفكير الديني المعاصر

للأستاذ علي العماري

— ٢ —

إن الدين عند الله الإسلام :

حين كنت في هيئة تحرير مجلة الأزهر عرض علينا بحث عنوانه (دين الله واحد) وقد آثر كاتبه أن يقدمه غفلا من التوقيع .

ونظر فيه أحد الزملاء فما كاد ينتهي من قراءة المقدمة ، حتى ألقاه أمام رئيس التحرير ، وقال : إن هذا البحث كتبه مبشر جاهل .

ولكن كاتب هذا المقال راق له أن يتم قراءة البحث ، حتى إذا رفض نشره كانت في يده (حيثيات الحكم) ، ثم إنه رغب أن يعرف ما يقوله هؤلاء الذين يبشرون بالمسيحية من غير أهلها ، فقد كان على يقين أنه لم يكتبه رجل من رجال الدين المسيحي ، وإنما كتبه أحد الكتاب المسلمين

وفعلا قرأت البحث بإمعان ، وكتبت على هوامش النسخة تعليقات تبين ما فيه من أخطاء علمية ، وما يتضمنه من انحراف في العقيدة .

وكنت أظن أن صاحب هذا البحث - إذا كان معتداً بعقله ودينه - لن ينشره حتى يصلح من أخطائه ، ثم علمت أن البحث قد نشر ، وتبين أن مؤلفه ليس مبشراً جاهلا - كما حدس زميلنا - وإنما هو رجل مسلم يلبس العمامة ، ويرتدي الجبة والقفطان .

وقد اعتزمت أن ألتزم الصمت حيال هذا الكاتب ، فربما كان الجدل حوله أحد الأهداف التي يقصد إليها المؤلف من نشره . وسكت .

غير أن أحد الكتاب الغيورين كتب منذ أسابيع فصلا في مجلة الرسالة أبان فيه عما رآه في الكتاب من انحراف ، ومع حرص الكاتب على التقصي ، ومقارعة الحجة بالحجة ، فقد فاتته أشياء ذات بال ، فرأيت أن الواجب يقتضيني - وقد علم بعض القراء شأن هذا الكتاب - أن أكتب هذه الكلمات ، وأعتقد أن فيها فائدة للمؤلف - وإن لم ينتفع بما كتبت على هوامش البحث من قبل - وفائدة لأولئك الذين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشجعونه على مثل هذا البحث ، فإن فى البحث تغريراً بهم فى عقيدتهم ، وفى هذا البيان إرشاد إلى الطريق القويم الذى يتحتم عليهم أن يسلكوه ؛ حتى يكونوا عند الله من الناجين .

* * *

يقوم الكتاب على فكرة واحدة ، أعلنها المؤلف فى صراحة ، ثم راح يدور حولها فى كل فصول الكتاب

قال المؤلف : (فكل من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويعمل صالحا فهو ناج بفضل الله - إن شاء الله - ؛ ذلك بأن هذه الصفات الثلاث هى أركان الدين الأساسية على لسان كل رسول ، فمن اتبع أحكامها ، وأقام أصولها - من أى دين كان - فاز برضوان الله ، ومن أخل بشئ منها ، واتبع هواه فأمره إذن إلى الله ، إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهو - سبحانه - غفور رحيم لا يسأل عما يفعل) .

ومعنى هذه العبارة أن الإيمان بالرسل ، والكتب المنزلة ، ليس ركنا من أركان الدين ؛ لأنه حصر الأركان فى تلك الثلاثة : الإيمان بالله ، والإيمان باليوم الآخر ، والعمل الصالح .

والمؤلف قد جعل النجاة - أولا - بفضل الله إن شاء ، ثم جعلها - ثانيا - غير متوقفة على شئ غير اتباع أحكام هذه الأركان ، وإقامة أصولها ، فقد حكم بأن مثل هذا فاز برضوان الله - هكذا من غير تقييد بشئ .

والمسلمون يؤمنون بالله ، ورسله جميعا ، وبكل كتبه المنزلة ، وباليوم الآخر ، فهم غير محتاجين لهذا القانون الذى وضعه المؤلف واليهود غير منتفعين به أيضا لأن المؤلف نبذهم بقوله فى ص ٧٦ ، (ولا يفوتنا أن نبين أن كلامنا عن اليهود - هنا - ليس على إطلاقه ، وإنما نقصد به اليهود الذين اتبعوا موسى عليه السلام بحق ، وآمنوا بتوراته الصحيحة التى أنزلها الله إيماناً صحيحاً ، وأخذوا أنفسهم بآدابها ، وتعاليمها أخذاً صادقا) .

فلم يبق إلا المسيحيون غير مقيدين بإيمانهم بما جاء به عيسى إيمانا صحيحا ، ولا يشك من يقرأ هذا الكتيب : أن المؤلف وضعه لهذا ، فكل فصوله تدور حول هذه الفكرة الذهبية .

ولعل من أول الدلائل على ذلك أن المؤلف استشهد بكل ما جاء فى القرآن مصدقا بالإنجيل ، ولم يذكر حرفا واحداً عن تحريف الإنجيل ، مع أن القرآن ذكر ذلك صراحة فى أكثر من آية .

وقبل أن نناقش المؤلف فى دعاواه التى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أوردها فى الكتاب نحب أن ننبهه إلى حقيقتين اثنتين فى هذه الكلمة التى نقلناها فى أول هذه الكلمة :

الحقيقة الأولى : كيف يتم الإيمان بالله دون أن يؤمن الإنسان بكل ما يصدر عنه ؟ .

والحقيقة الثانية : يقول : ومن أخل بشئ منها فأمره إلى الله إن شاء رحمه . . إلخ ومن هذه الثلاث (الإيمان بالله) فمعنى كلامه أن من أخل بالإيمان بالله ، أى كفر به - سبحانه - فأمره إلى الله إن شاء رحمه ، وإن شاء عذبه ، وهذا مخالف لنص محكم صريح من نصوص القرآن ، وهو قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به » . والمؤلف يعرف حكم من ينكر نصا صريحا من نصوص القرآن الكريم .

ثم نأخذ فى مناقشة المؤلف فى كل ماجانب فيه الحق والصواب :

فرق المؤلف بين العبادات والمعاملات ، فجعل الأولى من وظيفة الرسل ، أما القول فى الثانية فلا شأن للرسل به - كما زعم - ومن ثم فلا تتعلق بها التشريعات التى جاءت بها الأديان وفى ذلك يقول : (أما أحكام الحياة ونظمها - وهو المعبر عنه (بالمعاملات) - فإنه يتغير بتغير الزمان ، وأحوال الناس ، وطبائعهم ، وطرائق معايشهم ، كما تتغير القوانين الوضعية بين الضمنة والضمنة ... وهذا الأمر قد تركه الله للناس - كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده - وفى ذلك يقول محمد صلى الله عليه وسلم : أنتم أعلم بأمور دنياكم) .

ولا أدرى ما الدافع القوى الذى يدفع بعض من يريدون أن يقحموا أنفسهم فى الحديث عن التشريعات الإسلامية إلى أن يقولوا ، ويكرروا القول أن (المعاملات) لاتدخل فى نطاق التشريع ، وهم - بالطبع - يريدون التشريع الإسلامى ؟ !

إن (المعاملات) كلمة اصطلاحية ، وضعها فقهاء المسلمين لما يجرى بين الناس من شئون الحياة كالبيع والرهن ، والشفعة ، والهبة ... وما إلى ذلك . فهل هذه من شئون الدنيا التى تركها الرسول للناس ؟ . وهل خلا القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف من بيان أحكامها ؟ ، ليست هذه المعاملات متروكة للناس يقولون فيها بأهوائهم . وإنما وضعت الشريعة الإسلامية أصولا لكل هذه الأمور ، فإخراجها عن دائرة الشريعة لا يؤدى إلا إلى رفع حكم الله عنها ، وترك الناس يسيرون فيها كما يشاءون .

وإذا كانت المسيحية لم تعن ببيان أحكامها ، لأنها - كما هو معروف - إنما جاءت للحد من طغيان المادية اليهودية ، فأهملت هذه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشئون إهمالا تاما - فإن الإسلام جاء للدين، وللدنيا.

وقد استعان المؤلف فى خبطه: بخلطه بكلام الشيخ محمد عبده.

فأولا: ليقل الشيخ محمد عبده، ومن هو أفقه من الشيخ محمد عبده ما شاء، فإننا لا نأخذ ديننا عن هذا، ولا عن ذاك، وإنما نأخذه من مصادره الأولى، وهى معروفة غير مجهولة.

والمعاملات الإسلامية التى تكلم فيها الفقهاء مصحوبة بأدلتها من الكتاب والسنة، والقياس والإجماع من صميم الشريعة، وليست كتأبير النخل، تلك الحادثة التى ورد فيها قول الرسول العظيم: أنتم أعلم بأمور دنياكم.

وثانيا: كلمة الشيخ محمد عبده لا تعنى المعاملات المعروفة، ولا أظن الشيخ رحمه الله خطر بباله أن يخرج المعاملات عن حكم الشريعة، وهذه هى كلمة الشيخ: (وأما تفصيل طرق المعيشة، والحذق فى وجوه الكسب، وتطاول شهوات العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم، فذلك مما لا دخل للرسالات فيه إلا من وجه العظة العامة، والإرشاد إلى الاعتدال فيه، وتقرير أن شرط ذلك كله أن لا يحدث ريبا فى الاعتقاد بأن الكون إلها واحداً قادراً عالما حكيما متصفا بما أوجب الدليل بأن يتصف به).

وكيف يقصد الشيخ محمد عبده إلى التعميم، والله يقول: «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة»، ويقول: «يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه»، وهذه الآية هى أطول آية فى القرآن، وقد جمعت كل ما يتعلق بكتابة الدين، ويقول: «وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ... الآية».

والميراث: أهو من العبادات أم من المعاملات؟ وغير ذلك كثير فى القرآن الكريم؟ ينبغى أن يكون عند الذين يقولون فيما يتصل بالتشريع الإسلامى شئ من الحياء.

* * *

ويرى المؤلف - وهذا هو جوهر البحث - أن لكل واحد من أصحاب الأديان أن يؤدى عبادته على الصورة التى يدينها دينه، إن فى معبده أو فى بيته، أو فى خلوته، أو فى أى بقعة من الأرض، فأينما تولوا فثم وجه الله.

وهذا الكلام يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون المؤلف قصد أن كل ذى دين من حقه أن يعبد الله على الطريقة التى نهجها له دينه، لا حجر عليه فى ذلك،

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لوالديه ، وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : « ما كان للنبي » .

وأما - ثانيا - فمن قال للمؤلف : أن أحكام الإسلام يتحكم فيها العقل وحده ، ولكي يتبين القارئ مدى أمانة المؤلف ننقل له عبارة الكشاف التي اقتضبها المؤلف اقتضابا ، إن الزمخشري كان يفسر الآية الثانية ، (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه) فأورد سؤالا ، وأجاب عنه ، قال : فإن قلت : كيف خفي على إبرهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده ؟

قلت : يجوز أن يظن: أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له ، على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر .

فالمؤلف قد ألغى الجزء الأول من كلام الزمخشري ، واكتفى بالجزء الثاني الذي أراد به ذلك العالم الجليل أن يعتذر عن إبراهيم ، فنقله المؤلف إلى حيث يؤيد به مزعما من مزاعمه .

والعجب - أيضا - كيف ساق المؤلف قول النبي (ما لم أنه) ولم يذكر أن الآية نزلت تنهاه عن الاستغفار لأحد من المشركين .

وأما - ثالثا - فما معنى التقوى التي يسلم بها (البني آدم) من الخوف والحزن ؟ .

أمن يدعي أن لله ولدا : أو أن الله ثالث ثلاثة هو ممن اتقوا وأصلحوا ؟

أمن جاءه دين من الله يدعوه إلى أن يؤمن بالله ورسله وكتبه فضرب بكل ذلك عرض الحائط ممن اتقوا وأصلحوا ؟

ومن كل ما تقدم يدرك القارئ بوضوح أن المؤلف عمد إلى المغالطات ، وإلى اقتضاب النصوص ليدعم دعاواه .

وموعدنا معه في آرائه الأخرى التي حشا بها هذا الكتيب أحاديث قادمة إن شاء الله .

علي العماري

قال تعالى :

واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك . فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من شيم العلماء وشغفهم بالعلم

للأستاذ محمود الشرقاوي

إسحق نيوتن : عالم يسجل التاريخ اسمه واحداً من أبرز العقول التي يفخر بها البشر في عصورهم كلها ، كشف عن قانون الجاذبية الأرضية ، فكان هذا الكشف هادياً للعلماء في أن يعرفوا حقائق جديدة رائعة عن عالمنا الأرضي ، وعن قوانين الحياة التي أبدعها الله : الذي « أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين » .

وأينشتين : عقل من جبابرة العقول التي اختارها الله وميزها بالفهم والذكاء والقدرة والصبر ، وصل عقله المختار إلى نظرية النسبية ، فكانت بداية عصر جديد في تاريخ البشرية ، بنى عليها من النظريات والمخترعات ما يستطيعون به أن يجعلوا حياة الناس كلها « عسلا ولبنا » - إذا استعملوها في سبيل الرخاء والخير - ويستطيعون أن يشعلوا الأرض كلها حمما ولهبا ودمارا إذا أرادوا بها وبالناس شرا ونكرا .

يحقق « أينشتين » نظريات سلفه « نيوتن » باحثا متحريا متابعاً ، وبين عصريهما قرنان من الزمان ، فمن الطبيعي أن يجد فيها شيئاً من الخطأ والنقص ، وأينشتين العالم يحب زميله نيوتن العالم ويقدره ، ولكنه يحب العلم والحقيقة أكثر مما يحبه ، فيكشف عن خطأ زميله ونقص نظرياته ، ثم يأخذه الحياء ، ويغلبه الأدب فيكتب - بعد التصحيح والتوضيح والتكملة - : معذرة يا نيوتن . ! كأنما يجلس في مجلس سلفه وأستاذه ، فيعتذر من جرأته عليه ، كما يفعل التلميذ في حضرة شيخه .

هذه قصة قرأتها ، وأعجبت بما فيها من معنى التواضع الذي هو صفة لازمة من صفات العلماء ، قرأتها وذكرت بها أشباها ونظائر من صفات أسلافنا الأئمة والعلماء وأخلاقهم ، أشباها ونظائر من تواضعهم وإخلاصهم للعلم وشجاعتهم ، وفيها تذكرة وعبرة وتكريم .

تواضع وكرم نفس :

١ - حكى الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت ، صحابي رسول الله ، وكاتب وحيه ، فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بركابه ، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد : أرني يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

٢ - وفي تاريخ الإمام الشافعي أنه كان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يمسك زمام البغلة التى يركبها الإمام أحمد بن حنبل ، وأن ابنه تحدث إليه فى ذلك فقال له : هكذا أمرنا أن نكرم العلماء ، وأنه كان يمسك زمام ، هذه البغلة يوما ويمشى خلف الإمام أحمد ، فحدثه فى ذلك يحيى بن معين فكان جوابه : يا يحيى لو لزمت البغلة لا نتفعت.

٣ — وعلم سفيان الثورى أن الإمام الأوزاعى - إمام أهل الشام - قدم مكة فلقيه خارجها ، وعرف بعيره من القطار الذى يسير فيه الراكبون ، فحل رأس البعير ، ووضعه على وقبته ، وكان إذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ.

٤ — وفى تاريخ الإمام مسلم ، صاحب الصحيح ، أنه جاء إلى شيخة الإمام البخارى فقبله بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأساتيذ ، وسيد المحدثين ويا طبيب الحديث فى علله .

٥ — وفى أول القرن السادس الهجرى تولى أبو بكر الشاشى ، رئيس الشافعية فى زمنه ، التدريس فى المدرسة النظامية فى بغداد ، وكان يلى التدريس فيها قبله علماء أعلام كأبى إسحق الشيرازى والغزالى ، فلما جلس للتدريس غلبه التواضع ، وألح عليه البكاء حتى أخرج منديله فوضعه على عينيه ثم أنشد :

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن البلاء تفردى بالسؤدد

٦ — وعند ما قدم العز بن عبد السلام - الذى كان يلقب « بسلطان العلماء » - إلى مصر ، توقف إمامها وعارفها الشيخ زكى الدين المنذرى ، صاحب الترغيب والترهيب ، عن الإفتاء وقال : (كنا نفتى قبل حضوره ، أما بعد ذلك فالإفتاء متعين فيه) .

هؤلاء الصحابة والعلماء ، قد عملوا بقول النبى الكريم : (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا تتجروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار) .

وقد أكبر الأقدمون صفة التواضع فى العلماء وروا فى ذلك أثرا يقول (ينبغى للعالم أن يضع الرماد على رأسه تواضعا لله عز وجل) .

الشغف بالعلم والصبر عليه :

١ — ومن صفات العلماء الشغف بالعلم والصبر على مشقاته ، وفى ذلك نجد لأسلافنا من العلماء مواقف ، وقصصاً تدل على مدى هذا الشغف الذى كاد أن يلهيهم عن كل شىء سوى العلم وعلى مقدار هذا الصبر الذى يتعجب المرء من قدرتهم عليه .

ومن ذا الذى لا يذكر فى هذا المجال شغف الإمام البخارى بجمع الحديث الشريف ، وصبره عليه ، حتى كان يرحل من بلد إلى بلد يسافر الأيام الطويلة ، ويلقى أعنف مشقات السفر سعيا وراء حديث يحفظه ، أو رواية حديث يقابلها ويراجعها على ما سمع وحفظ ، وفى ذلك يقول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البخاري عن نفسه (دخلت إلى الشام، ومصر والجزيرة مرتين، وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام: ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة، وبغداد مع المحدثين).

٢ — وسمع جابر بن عبد الله أن عبد الله ابن أنس - وكان في مصر - عنده حديث حفظه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، قال جابر - على ما رواه السيوطي في «حسن المحاضرة»:

(فخرجت إلى السوق فاشتريت بعيراً، ثم شددت عليه رحلا، ثم سرت إليه من المدينة إلى مصر — شهراً، فلما قدمت مصر، سألت عنه حتى وقفت على بابه، فسلمت فخرج على غلام أسود فقال: من أنت... قلت: جابر بن عبد الله، فدخل عليه، فذكر ذلك فقال: قل له: أصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فخرج الغلام فقال ذلك فقلت: نعم، فخرج إلى والتزمني والتزمته «عانق كل واحد منهما صاحبه» فقال: ما جاء بك يا أخي؟ قلت: حديث تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت).

٣ — ومن ذلك ماروى عن الإمام الشافعي - فيما رواه المزني - قيل للشافعي: ما شهوتك للعلم؟... قال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعا تتنعم به مثل ما تنعمت به الآذان، فقيل له: كيف حرصك على العلم: قال: حرص الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال، قيل له: فكيف طلبك له، قال: طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غيره.

٤ — وفي تاريخ الإمام احمد بن حنبل أن الإمام الشافعي نزل عليه ضيفاً، وكانت بنت الإمام أحمد تسمع أخبار الشافعي من أبيها وغيره، وتشتاق أن ترى مظاهر صلاحه وعبادته، فظلت ليلها ترقبه فتراه، مستلقيا على ظهره، وأبوها مشغول بذكره وعبادته. فلما أصبح الصبح قالت لأبيها: ما رأيت له في هذه الليلة صلاة، ولا ذكرا. ونهض الإمام الشافعي، فقال له أحمد: كيف كانت ليلتك..؟ قال: ما رأيت أطيب منها ولا أبرك، ولا أربح، لأني رتبت فيها مائة مسألة - وأنا مستلق على ظهري - كلها في منافع المسلمين، فقال أحمد لابنته: قد رأيت.

٥ — وقال الربيع: - من أصحاب الشافعي - أقام الشافعي في مصر أربع سنين، فأملى ألفاً وخمسين ورقة، وخرج كتاب «الأم» ألفي ورقة، وكتاب: «السنن» وأشياء كثيرة، وكان عليلا شديد العلة، وربما خرج الدم وهو راكب، حتى يملأ سراويله وخفه، يعني من «البواسير».

٦ — ومن ذلك ماروى عن «ابن المبارك»

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلى بن الحسن بن شفيق الذى يقول : قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذاكرنى عند الباب بحديث ، وذاكرته ، فما زال يذاكرنى حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

الشجاعة فى الحق :

ومن صفات العلماء : « الشجاعة » : فالعالم لا يكتم كلمة الحق ، ولا يخشى فيه أحدا إلا الله ، ويجهر بما يعتقد فى الظالم ، ولو لقى فى ذلك العذاب والهلاك ، فهو يؤمن بأن خشية الله تمنعه أن يخشى سواه ، وأن الله مانحه العزة جزاء شجاعته فى الحق ، وخشيته له وحده ، والله تعالى يقول : « إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » .

١ — كان عمرو بن عبيد صديقاً حميما لأبى جعفر المنصور ، قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها ابتعد عنه ، واقتصد فى زيارته ، وكان المنصور يشتاق أن يراه ، ويطلبه إلى مجلسه فيجىء بعد تمنع . وجاء العالم الزاهد الشجاع يوما ، يطلب من الخليفة ، فلما جلس إليه أخذ يعظه ويشتد فى تخويفه وزجره وتذكيره حساب الله حتى بكى المنصور ، فقال بعضهم له : يا أبا عثمان ، أبكيت أمير المؤمنين ، قال : وماذا عليه أن يبكى من خشية الله ... ؟ وأمر له المنصور بمال فرفضه وقال : ليست لى به حاجة ، فحلف المنصور أن يأخذه ، وحلف عمرو ألا يأخذه ، فقال من فى المجلس له : أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ... ؟ قال : لئن يحنث أمير المؤمنين أيسر من أن أحنث أنا ، فهو أقدر منى على كفارة اليمين .

ولما قام الشيخ الشجاع الزاهد قال له المنصور : هل من حاجة فأقضيها لك يا أبا عثمان ... ؟ قال : نعم ، حاجتى ألا تبعث إلى حتى آتيك ، ولا تعطينى حتى أسألك ، قال المنصور : إذن والله لا نلتقى أبدا . . ! قال له الشيخ : عن حاجتى سألتنى ، وخرج الشيخ فأنشد المنصور :

كلكم يمشى رويد
كلكم طالب صيد
غير عمرو بن عبيد

٢ — ومن قصص الشجاعة أن الفضل ابن الربيع — وزير الخليفة هارون الرشيد — شهد عند أبى يوسف — صاحب أبى حنيفة فلم يقبل شهادته . وعاتبه الخليفة فى ذلك فقال له أبو يوسف : لم أقبل شهادته لأنى سمعته يقول للخليفة يوما : أنا عبدك ! فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وإن كان كاذبا فكذلك ، ومن يفعل ذلك فى مجلس الخليفة لا يبالى بالكذب فى مجلس القاضى ، وقبل الرشيد عذره وأكبر شجاعته .

محمود الشرقاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جماعة إخوان الصفا

للأستاذ محمد غفراني الخراساني

— ٣ —

ومهما يكن من أمر فإننا عند ما نوازن بين رسالة الحيوان ، وبين كليلة ودمنة. نحس أن إخوان الصفا قد نهجوا فى تأليف هذه الرسالة منهج كتاب كليلة ودمنة من ناحية هذه الخصائص التى تمتاز بها حكايات الكتاب . ومنها تداخل المحاكمات . فإن المحاكمات فى رسالة الحيوان متداخلة يتلو بعضها بعضا ، وتتعاقب الواحدة تلو الأخرى دون انقطاع ، ولا أدنى مناسبة ، كما هو الشأن فى حكايات كليلة ودمنة ، ومنها طريقة التقديم لجلسات الدفاع بجملة التساؤل والاستفهام مثل : « كيف كان ذلك » أو « كيف ذلك » ونورد لك نصاً لكل من رسالة الحيوان وكليلة ودمنة ؛ لتقف على مدى تأثر إخوان الصفا بابن المقفع من الناحية الفنية للقصة كما قلنا آنفا ، يقول إخوان الصفا فى إحدى جلسات الدفاع لزعيم السباع الذى كان قد أناب عن نفسه كليلة أخا دمنة للترافع أمام المحكمة : لا ، فلما بلغ زعيم السباع إلى هذا الموضع من الكلام ، قال له زعيم الإنس : أما أنتم يا معشر السباع فسبيلكم أن تكتموا وتستحوا ، ولا تتكلموا ، قال له كليلة : ولم ذلك؟ قال : لأنه ليس من الطوائف الحضور هاهنا جنس أشر منكم معشر السباع ، ولا أقسى قلوبا ولا أقل نفعا ، ولا أكثر ضرراً ، ولا أقل رحمة ولا أشد حرصاً على أكل الجيف وطلب المعاش ، قال : كيف ؟ قال : لأنكم تفترسون معشر السباع هذه البهائم ، والأنعام بمخالب حداد ، فتخرجون جلودها ، وتكسرون عظامها وتشربون دماءها ، وتنهشون لحومها بلا رحمة عليها ، ولا فكرة فيها ، ولا رفق بها ، قال زعيم السباع : « منكم تعلمنا وبكم اقتدينا فيما تعملون فى هذه البهائم ، قال الإنسى : كيف كان ذلك ؟ ... الخ » (١) .

وهذا نفس الأسلوب الفنى الذى ألف به ابن المقفع قصص كليلة ودمنة ؛ فمثلا يقول فى باب الأسد والثور على لسان « دمنة » ـ ابن آوى ـ مخاطبا « شترية » (٢) : « فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شترية :

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) دمنة اسم لابن ، آوى وشتربه اسم للثور ، وكلاهما من رجال حاشية الأسد ، ومن أبطال قصة الأسد والثور التى وردت فى الباب الأول من أبواب كلية ودمنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه فى ساحل البحر ، ومعه زوجة له ، فلما جاء أوان تفريخها قالت الأنثى للذكر : لو التمسنا مكانا حريزاً نفرخ فيه فإنى أخشى من وكيل البحر إذا مد الماء أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخى مكانك ... فإنه لا يفعل ذلك . فقالت له : ما أشد تعنتك أما تذكر وعيده وتهدده إياك ، ألا تعرف نفسك وقدرك ؟ فأبى أن يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له : إن من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر : وكيف كان ذلك ... الخ (١)

ومن الوجوه المتشابهة كذلك بين رسالة الحيوان ، وبين كليلة ودمنة . طريقة عرض جلسات المحاكمة حيث تنعقد أمام رئيس المحكمة ملك الجان (٢) يعلن افتتاح الجلسة بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين المائلين أمام المحكمة - الإنسان والحيوان - ثم يقوم كل واحد منهما بالدفاع عن نفسه ، وبنى جنسه وهكذا تستمر المحاكمة كحلقات متواصلة وهذا الموقف من ملك الجان يشبه تماما موقف دبشليم الملك أحد البطلين فى حكايات كليلة ودمنة ، حيث يدور أمامه الحوار بين الحيوانات على لسان وزيره « بيدبا الفيلسوف » .

فنرى أن ملك الجان يعقد جلسات المحاكمة بتوجيه السؤال إلى أحد الخصمين كما يفعل ذلك دبشليم الملك عند ما يعقد جلسات السمر مع وزيره « بيدبا » ، ويوجه إليه السؤال ليضرب له مثلا لما دار بين شخصين من الأحداث والخطوب ، وذلك فى بداية كل قصة رئيسية من قصص الكتاب التى تسمى بأبواب الكتاب أمثال : قصة الأسد والثور وقصة فحص عن أمر دمنة ، وقصة الحمامة المطوقة ، وقصة الأسد وابن آوى . فجلسات المحاكمة فى رسالة الحيوان تشبه أبواب كتاب كليلة ودمنه كما أن الفصول التى تتلو كل جلسة من تلك الجلسات تشبه الحكايات الفرعية التى تتلو كل حكاية رئيسية من كتاب كليلة ودمنة ، وإن الإطار الفنى الذى ألف فيه

(١) كليلة ودمنة ص ١٣٠ / ٤٠ تحقيق نائل الرضى طبعة القاهرة .

(٢) واسمه كما مضى « بيراست الحكيم » ، « اللقب بشاه مردان - سيد الرجال - حاكم منطقة تقع فى جزيرة » « صافون » « فى وسط البحر الأخضر مما يلى خط الاستواء وهذه الجزيرة أشبه إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة وللملك وزير يدعى » « بيراز » « ومن الطريف أن كلمة شاه مردان فارسية ومركبة من « شاه » الملك و« مردان جمع مرد » : « الرجال وتطلق الأوساط الصوفية فى إيران هذا اللقب على على بن أبى طالب عليه السلام ، وخاصة المتصوفة منهم كما أن هناك طائفة من المتصوفة فى إيران تسمى بـ « جميعة إخوان الصفا » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إخوان الصفا رسالة الحيوان هو نفس الإطار الفنى الذى ألف فيه ابن المقفع حكايات كليلة ودمنة .

هذا وتشبه رسالة الحيوان كتاب كليلة ودمنة لا فى تداخل المحاكات ، وطريقة عرضها فحسب ، بل إنهما يتشابهان فى توارد كثير من أسماء الحيوانات والأبطال الذين أسندت إليهم الأدوار فى كل القصة والمحاكة فنجد مثلا فى رسالة الحيوان فصلا من المحاكة على لسان كليلة أخى دمنة مندوب الأسد - أبو الحارث - ليشترك مع سائر الوحوش فى جلسات المحاكة (١) ، ومن المعروف أن هذين الاسمين هنديان وكان اصلهما « كرتكا ودمنكا » وقد دخلا فى اللغة العربية لأول مرة بعد تحريفهما إلى كليلة ودمنة بواسطة ابن المقفع . وكذلك يشبه الأسد فى رسالة الحيوان الأسد فى كليلة ودمنة فالأول يلعب دور ملك السباع ويشاور من حوله من الوحوش فى صفات الملك ، وفيمن يستحق أن يمثل الملك فى جلسات المحاكة مندوبا (٢) عنه كما هو الحال بالنسبة لدور الأسد فى باب « الفحص عن أمر دمنة » حيث يشاور من حوله من الوحوش عند محاكة دمنة بعد أن ثبتت إدانته بأنه كان سببا فى الإيقاع بين الأسد والثور مما أدى إلى مصرع الثور . ونرى أيضا أن النمر فى رسالة الحيوان يحتل مكانة الصدارة بين أفراد حاشية الأسد ، ويلعب دور الناصح الأمين للأسد ، ويأخذ برأيه . كما أن النمر فى باب الفحص عن أمر دمنه يعتبر من أخص أصحاب الأسد ومن أقرب افراد حاشيته اليه وهو الذى كشف عن أمر دمنه ، وابلغ أم الأسد عن المؤامرة التى كان قد دبرها دمنة ضد الأسد ، وحرضه على قتل شتربة (١)

وأما قصة تواصل إخوان الصفا ، وتعاون بعضهم بعضا فقد أشرنا إليها فى مستهل حديثنا عن رسالة الحيوان ، وأن لها صلة بقصة الحمامة المطوقة من حيث فكرتها العامة فى تصافى الأخوان ، وثمرة هذا الصفاء ، وأن كان إخوان الصفا قد عمقوا معنى هذا التصافى بما يتفق ومبادئهم الفلسفية المبنية على اعتقادهم فى عالم الغيب « ما وراء الطبيعة » وقبل أن نشير إلى هذه المعانى التى انفردوا بها نورد نص هذه القصة « ينبغى أن نبين كيف يكون تواصل اخوان الصفا ، وكيف تكون معاونة بعضهم بعضا فى طلب معيشة الدنيا ، وماذا ترى كيف يكون حال من سبقته المنية قبل صاحبه . كيف يكون عيش الباقى منهم بعد صاحبه ، ذكر أن مدينة كانت على رأس

(١) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٧٦ .
(٢) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٦ .

(١) انظر كليلة ودمنة ص ١٥٢ تحقيق نائل الرصفى طبعة القاهرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جبل فى جزيرة من جزائر البحر ، مخصبة كثيرة النعم، رخية البال طيبة الهواء ، عذبة المياه ـ حسنة التربة كثيرة الأشجار لذيذة الثمار كثيرة أجناس الحيوانات ـ حسب ما تقضيه تربة تلك الجزيرة وأهويتها ومياهها ، وكان أهلوها أخوة وبنى عم بعضهم لبعض من نسل رجل واحد ، وكان عيشهم أهنأ عيش يكون بتردد ما كان بينهم من المحبة والرحمة والشفقة والرفق بلا تنغيص من الحسد والبغى والعداوة وأنواع الشر ، كما يكون بين أهل المدن الجائرة المتضادة الطباع المتنافرة القوى المشتتة الآراء القبيحة الأعمال السيئة الأخلاق ثم أن طائفة من أهل تلك المدينة الفاضلة ركبوا البحر فكسر بهم المركب ، ورمى بهم الموج إلى جزيرة أخرى ، فيها جبل وهو فيه أشجار عالية ، وعليها ثمار نذرة ، فيها عيون غائرة ومياهها كدرة ، وفيها مغارات مظلمة وفيها سباع ضاربة وإذا عامة أهل تلك الجزيرة قردة وكان فى بعض جزائر البحر طير عظيم الخلقة شديد القوة ، قد سلط عليها فى كل يوم وليلة ، يكر عليهم ويختطف من تلك القردة عدة . ثم أن هؤلاء النفر الذين نجوا من الغرق تفرقوا فى الجزيرة ، وفى أودية ذلك الجبل يطلبون ما يتقوتون به من ثمارها لما لحقهم من الجوع ، ويشربون من ماء تلك العيون ويستترون بأوراق تلك الأشجار يأوون بالليل إلى تلك المغارات ، ويعتصمون بها من الحر والبرد ، فأنست بهم تلك القرود ، وأنسوا بها إذ كانت أقرب أجناس السباع شبها لصورة الناس فولعت بهم إناث القردة وولع بها من كان به شبق . وتناسلوا وكثروا وتمادى بهم الزمان فاستوطنوا تلك الجزيرة واعتصموا بذلك الجبل وألفوا تلك الحال ونسوا بلدهم ونعيمهم وأهاليهم الذين كانوا معهم بديا ثم جعلوا يبنون من حجارة ذلك الجبل بنيانا ويتخذون منها منازل ويخزنون فى جميع تلك الثمار ويدخرها من كان منهم شرها وصاروا يتنافسون على إناث تلك القرود ويغبطون من كان منهم أكثر حظا من تلك الحالات وتمنوا الخلود هنا وانتشبت بينهم العداوة والبغضاء ، وتوقدت نيران الحرب ثم أن رجلا منهم رأى فيما يرى النائم كأنه قد رجع إلى بلده الذى خرج منه وأن أهل تلك المدينة لما سمعوا بمجيئه استبشروا واستقبله خارج تلك المدينة أقرباؤه فرأوه قد غيره السفر والغربة، فكرهوا أن يداخل المدينة على تلك الحال وكان على باب المدينة عين من الماء فغسلوه وحلقوا شعره وقصوا أظافره وألبسوه الجدد وبخروه وزينوه وحملوه على دابة ، وأدخلوه المدينة فلما رآه أهل تلك المدينة استبشروا به وجعلوا يسألونه عن أصحابه وغرهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وما فعل الدهر بهم ، وأجلسوه فى صدر المجلس فى المدينة ، واجتمعوا حواليه يتعجبون منه ومن رجوعه بعد اليأس منه وهو فرحان ، بهم وبما نجاه الله عز وجل من تلك الغربة ، وذلك الغرق ، ومن صحبته تلك القرود ، وتلك العيشة النكدة ، وهو يظن أن ذلك كله يراه فى اليقظة ، فلما تنبه إذا هو فى ذلك المكان بين القرود ، فأصبح حزينا منكسر البال ، زاهداً فى ذلك المكان مغتما متفكراً راغبا فى الرجوع إلى بلده ، فقص رؤياه على أخ له ، فتذكر ذلك الأخ ما أنساه الدهر من حال بلدهما وأقاربهما وأهل ليهما النعيم الذى كانا فيه ، فتشاورا فيما بينهما وأجالا الرأى ، وقالا : كيف السبيل إلى الرجوع وكيف النجاة من هنا ؟ فوقع فى فكرهما وجه لحيلة بأنهما يتعاونان ويجمعان من خشب تلك الجزيرة ، ويبنيان مركبا من البحر ويرجعان إلى بلدهما ، فتعاقدا على ذلك بينهما عهداً وميثاقا : أن لا يتخاذلا ولا يتكاسلا بل يجتهدا اجتهاد رجل واحد فيما عزما عليه ثم فكرا أنه لو كان رجل آخر معهما لكان أعون لهما على ذلك ، وكلما زاد عددهما يكون أبلغ فى الوصول إلى مطلبهم ومقصدهم ، فجعلوا يذكرون إخوانهم أمر بلادهم ، ويرغبونهم فى الرجوع ، ويزهدونهم فى الكون هناك حتى التأم جماعة من أولئك القوم على أن يبنوا سفينة يركبوا فيها ، ويرجعوا إلى بلدهم فبينما هم فى ذلك دائبون فى قطع الأشجار ونشر الخشب لبناء تلك السفينة إذ جاء ذلك الطير الذى كان يختطف القرود فاختطف منهم رجلا ، وطار به فى الهواء ليأكله ، فلما أمعن فى طيرانه تأمله فاذا هو ليس من القرود التى اعتاد أكلها فمر به طائراً حتى مر به على رأس مدينته التى خرج منها ، فألقاه على سطح بيته وخلاه فلما تأمل ذلك الرجل إذا هو فى بلده ومنزله واهله وأقرباءه ، فجعل يتمنى لو أن ذلك الطير يمر فى كل يوم ويختطف منهم واحداً بعد واحد ، ويلقيه إلى بلده كما فعل به ، وأما أولئك القوم بعد ما اختطفه الطير من بينهم فقد جعلوا يبكون عليه محزونين على فراقه ، لأنهم لا يدرون ما فعل به الطير ، ولو أنهم علموا بحاله ، وما صار إليه لتمنوا ما تمنى لهم أخوهم [1] فقد شرح إخوان الصفا أنفسهم المغزى الذى يقصدون إليه من هذه القصة ، وعلقوا عليها عقب إيرادهم لها بقولهم « فهكذا ينبغى أن يكون اعتقاد اخوان الصفا فيمن قد سبقته المنية قبل صاحبه . لأن الدنيا تشبه تلك الجزيرة ، وأهلها يشبهون تلك القردة ، ومثل الموت كمثل ذلك الطير ، ومثل أولياء الله كمثل القوم الذين

(١) راجع كتاب رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٠٢ ـ ١٠٥

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كسر بهم المركب ، ومثل دار الآخرة كمثل تلك المدينة التى خرجوا منها ، فهذا اعتقاد إخواننا الكرام فى معارفهم فى الدنيا وما يعتقدون فيمن سبقته المنية قبل إخوانه .

فنرى أن إخوان الصفا قد رمزوا إلى دنيا الشهوات بالقرود ، وإلى من سقطوا فى عالم الرذيلة بمن استهوتهم هذه القرود ، وكان همهم هو التناكح والتناسل ، وارضاء الغريزة الحيوانية فحسب ، ونسوا بلدهم الأصيل وهو العالم الآخر الذى أتت منه أرواحهم ، وأما الصفوة منهم فلم تشغلهم المادة عن المعنى ، ولم تستهوهم تلك المظاهر الدنيوية . بل انصرفوا إلى التفكير الاجتماعى الذى يساعدهم على راحتهم النفسية وسعادتهم الموقوتة فى هذه الدار الفانية بمعاونة بعضهم بعضا ، وبث روح المحبة بين الطبقات ، والبعد عن التعصب لمذهب دون مذهب ، والتحمس لعقيدة دون عقيدة ، وعرفوا أن السعادة لا تتم الا بتضافر الجهود للخروج من عالم المادة والتوجه إلى الرقى والكمال بأرواحهم الطاهرة ، وأنفسهم الزكية حتى تلبى دعوة ربها .

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية » .

ونستخلص من تعليق إخوان الصفا على هذه القصة أنهم يعتبرون أن عالم الروح موطنهم الأصيل ، ودار السعادة الخالدة . ولا يمكن أن يصل أحد إلى هذا العالم إلا إذا صفت روحه وخلصت سريرته ، وتعاون مع إخوانه وأصدقائه بالإيمان الصادق الذى يقود المرء إلى العمل الصالح .

ونحن إذ نختم مقالنا هذا لا نستطيع أن ندعى أننا قد بلغنا غاية المطاف فيما كنا نقصد إليه ؛ بل إن المجال لا يزال متسعا أمامنا لاستخراج نتائج أخرى بالموازنة بين رسالة الحيوان ، وبين كتاب كليلة ودمنة ، إذ سيكون لهذه النتائج أهميتها البالغة فى ميدان الدراسات المقارنة .

محمد غفرانى القراني

من نثر أمير الشعراء :

« الثقة مراتب ، فلا ترفع لعليا مراتبها إلا الشريك فى المر ، المعين على الضر ، الأمين على السر ، الضمير النقى كالمرآة ، لو التمس فيها المرء وجه الغيب لرآه)

(يستأذن الموت على العاقل ، ويدفع الباب على الغافل)

(أسواق الذهب)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مع "شوقي" في مدائحه النبوية

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

لقد ذهب الشعراء في تناولهم مدح الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه مذاهب شتى ، تتناسب وشخصية الشاعر ، ولون ثقافته ، وتتأثر بالذوق الفني العام للأدب في العصر الذي قيلت فيه ، وبالظروف العامة من سياسية واجتماعية وفكرية في فترة إنشادها .

وسيرة الرسول الكريم من يوم أن بدأ دعوته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى صارت مصدر إلهام الشعراء ، ونبعا صافيا فياضا لا يعتريه نقص ، يتجدد فيضه دفاقا قويا عطرا ذكيا ، يستمد الشعراء منه أروع قصائدهم ، ويسجلون بأسلوبهم سجايا الرسول الكريم ، ومزايا شريعته الغراء ، ويرسمون للناس أمثل الطرق للاقتداء بنبيهم ، ويصورون ما تضمنته السيرة من بطولات وتضحيات ، وصبر وجهاد ، حتى أتم الله نوره وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ، ورحم الله ابن الفارض حين قال :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه
يفنى الزمان ، وفيه ما لم يوصف

وبعض الشعراء يقتصرون على ذكر السيرة النبوية ، وصفات الرسول الكريم ، ونسبه الطاهر ، وسرد الغزوات ، وهذا ملحوظ في أغلب المدائح التي قيلت إلى أوائل عصرنا الحديث ، أما في هذا العصر فلم يعد الشعراء يكتفون بذلك بل إنهم وجهوا اهتمامهم إلى الموازنة ، والربط بين الماضي والحاضر ، والدعوة إلى الاقتداء بما في سيرة الرسول من بطولات وتضحيات ، وأخذا يبرزون مزايا الشريعة الإسلامية ، ويدعون للعودة إليها ، ويبينون للمسلمين أن أهم أسباب تأخرهم ترجع إلى عزوفهم عن قرآنهم ، وسيرة رسولهم وأن المستعمرين لم يطمعوا فيهم إلا من يوم أن هجروا تعاليم دينهم . والذي وجه شعراءنا في العصر الحديث هذه الوجهة هو ما أصاب الأمة الإسلامية من نكبات بسبب الاستعمار الذي تغلغل في الأقطار الإسلامية ، وفرض سيطرته عليها ، وحاول متعمداً الغض من مبادىء الإسلام ، وتحقير كل ما هو شرقي .

وشاعرنا الكبير المرحوم احمد شوقي عاش في فترة من الزمن شهد فيها العالم العربي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أحداثا جساما ، من احتلال أجنبي ، إلى قيام حرب عالمية ، ثم ما تلا ذلك من ثورات بغية التخلص من نير الأجانب ، وما كان يظل الأقطار الإسلامية من سلطان الخلافة الإسلامية الواهى ، وما دب بين شعوبها من فرقة وتخاذل ، وما فشا فيها من جهل وفساد فى نظم حياتها السياسية ، والاجتماعية والفكرية ، ولم يكن هناك غير بصيص من الأمل فى الشعور المكبوت الذى غذته دعوات المصلحين : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ، وقاسم أمين وغيرهم وأخذت تذكيه قرائح الشعراء الذين أسهموا بنصيب موفور فى إيقاظ الشعور فى القصائد الكبرى التى ظهرت عند نهاية الحرب العالمية الأولى مثل : بكرية عبد الحليم المصرى ، وعمرية حافظ ، وعلوية عبد المطلب ، التى صورت أقوى الشخصيات الإسلامية ، وأروع انتصارات المسلمين فى عهودهم الزاهرة يحفزون بهـــا همم الشباب ، ويؤججون الشعور العام .

وشعر شوقى فى مجموعه يعتبر صورة حية للفترة التى عاش فيها ، بالإضافة إلى تلك الصور الخالدة التى تنطلق أحداث الماضى ، وقد تناول أغراضا كثيرة ، واعتـــبر فى بعضها من المجددين .

ومن الموضوعات الإسلامية التى تناولها مدح الرسول الكريم فى أربع قصائد كبرى تعد من عيون الشعر ، حاكى فى اثنين منها الإمام البوصيرى : إحداهما نهج البردة ، على وزن وروى بردة البوصيرى ، والأخرى هى الهمزية ، أما القصيدة الثالثة فهى « سلو قلبى » وهذه القصائد الثلاثة بالديوان ، والرابعة بعنوان : ذكرى المولد وهى منشورة بكتاب آخر عنوانه « كرمة ابن هانى » وهذا غير مقطوعة من ثلاثة وخمسين ومائة بيت ضمن أرجوزة العرب الكبرى . وكان إنشاء هذه القصائد جميعا بين ١٩١٠ ، ١٩١٧ .

وقد تناول شوقى فى هذه المدائح نواحى عديدة من سيرة الرسول الكريم ، وحياته وشريعته ، وقد لا يتسع هذا المقال لعرض الموضوعات ، والتعليق عليها جميعا ، ومن ثم فإننا سنقصر حديثنا على ما ورد فيها عن مزايا الإسلام وتشريعاته ، فإن « شوقى » قد نفذ إلى عرض ذلك فى خلال هذه المدائح لينفس عما يجيش بصدره من آلام سببها هجوم المستعمرين : من أمثال هانوتو الذى نشر رسالته المشهورة عام ١٩٠٠ ، وتصدى لها الإمام محمد عبده بالتفنيد ، ثم كرومر الذى كان لا يألوا جاهداً فى الطعن على الشريعة الإسلامية ، وغير هذين من المبشرين الذين كانوا يحاولون إذاعة الفتن وبلبلة الأفكار لزحزحة المسلمين عن عقائدهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن الأمور التي أذاعها المغرضون أن الإسلام قد أقام دعوته ونشرها بحد السيف وهم يرمون من وراء ذلك إلى الغض من قيمة القرآن في هداية البشر ، وقد تناول شوقي هذه الدعوى، وفندها منطقيا ،مستدلا بما لقيته المسيحية من اضطهاد في أول أمرها ...

يقول في نهج البردة :

قالوا : غزوت . ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل ، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل ذي حسب
تكفل السيف بالجهال والعدم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا . وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية الغراء ، كم شربت
بالصاب من شهوات الظالم الغلم (١)
طريدة الشرك ، يؤذيها ويوسعها
في كل حين قتالا ساطع الحدم
لولا حماة لها هبوا لنصرتها
بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرحم

وعند ما يجيء ذكر الشريعة الإسلامية ومزاياها نجد الفيض الغزير ، والمعلومات القيمة التي تظهر في الموازنة بين الشريعة الإسلامية ، وما سبقها ، ويخيل إليك أنك تستمع إلى عالم متضلع ، وفيلسوف يحلل ويقيم الأدلة والبراهين على فضل هذه الشريعة الغراء . وكأنه يريد أن يقول : إن كل ما ترمى به هذه الشريعة من مطاعن ينبغي ألا يلتفت إليه ، أو يقام له وزن مهما كان مصدره .

يقول في نهج البردة .

شريعة لك فجرت العقول بها
عن زاخر بصفوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها
كالحلي للسيف ، أو كالوشي للعلم
غراء حامت عليها أنفس ونهى
ومن يحد سنسلا من حكمة يحم (١)

ثم يبين أنها صالحة لكل زمان ومكان ، وأنها كفيلة بأن تنير السبيل أمام المصلحين في سائر أقطار العالم على مر الزمان ،وكر السنين:

نور السبيل ، يساس العالمون بها
تكفلت بشباب الدهر والهرم
يجري الزمان وأحكام الزمان على
حكم لها نافذ في الخلق مرتسم

ثم يبرهن على ذلك بما كان في ماضي الأمة الإسلامية ، بما سجله التاريخ :

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت
مشت ممالكه في نورها التئم

(١) الغلم : الكثير . الهائج .

(١) حامى حلف ومال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهلت أمة بالقفر نازلة
رعى القياصر بعد الشاء والنعم

أرأيت تصويراً أدق من هذا إلى أثر الإسلام فى الأمة العربية ؟ ثم استمع إليه حين يشير إلى نتيجة التمسك بمبادئ الإسلام وشريعته :

كم شيد المصلحون العاملون بها
فى الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم، والعدل، والتمدين ما عزموا
من الأمور، وما شدوا من الحزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لمنتهم
وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم
ساروا عليها هداة الناس فهى بهم
إلى الفلاح طريق واضح العظم

ثم نراه يعرض بسائر المبادىء التى يحاول المستعمرون إذاعتها لتنحية تعاليم الإسلام ويعتبر أن شريعة الإسلام وحدها هى الصالحة :

لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم
وحائط البغى إن تدعمه يهدم

* * *

ثم يعود إلى تكرار هذه المعانى بصورة أخرى فى الهمزية، وهنا نجده يوازن بين تشريع الإسلام وغيره من الشرائع، ويضحى باللائمة على الذين يتعرضون للإسلام:

ظلوا شريعتك التى نلنا بها
ما لم ينل فى رومة الفقهاء
مشت الحضارة فى سناها واهتدى
فى الدين والدنيا بها السعداء

ويقول فى الموازنة :

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة
بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد، وهو حقيقة
نادى بها سقراط والقدماء

إلى أن يقول :

داء الجماعة من «أرسطاليس» لم
يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة
لا سوقة فيها، ولا أمراء
الله فرق الخلق فيها وحده
والناس تحت لوائها أكفاء

فهل جاء المصلحون ودعاة الديموقراطية بما هو أسمى من ذلك ؟ وزعماء الاشتراكية : هل سبقوا محمدا فى دعوته إليها، وتطبيقه العملى لمبادئها ؟

الاشتراكيون أنت زعيمهم
لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا وداووا طفرة
وأخف من بعض الدواء الداء
الحرب فى حق لديك شريعة
ومن السموم الناقعات دواء

ثم يبين أن البر والمساعدات الاجتماعية ليست منحا وإنما هى حقوق مفروضة نظمتها الشريعة الإسلامية :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والبر عندك ذمة وفريضة
لا منة ممنونة وجباه
جاءت فوحدت الزكاة سبيله
حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
فلو ان إنسانا تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء

ونقف قليلا عند هذا البيت الأخير: فإن الفقراء يختارون هذا الدين؛ لأنهم يجدون فيه الإنصاف والعدالة ضد الأقوياء المتجبرين إذ يحدد لهم حقهم في أخذ أجورهم إن عملوا بحيث لا يبخسون، ويجعل لهم نصيبا محددا في أموال الأغنياء إن كانوا عاجزين، ويمنحهم حق الحياة الكريمة؛ فلا سيد ولا مسود، ولا ظلم ولا اضطهاد، ولا سوق للأعمال بالقهر، ولا استذلال بسبب تفاوت الطبقات.

* * *

ثم يقول في قصيدة «صلوا قلبي»:

فلم أر غير حكم الله حكما
ولم أر دون باب الله بابا

وبعد أبيات نراه يعيب على المسلمين حرمان الفقراء حقوقهم، وإهمالهم فريضة الزكاة مع تأديتهم لغيرها من الفرائض:

عجبت لمعشر صلوا وصاموا
ظواهر خشية، وتقى كذابا
وتلفيهم حيال المال صما
إذا داعي الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه
كأن الله لم يحص النصابا

ثم يأخذ في بيان منافع العلم، ويدعو إلى تعليم الفقراء؛ عسى أن يخرج من بينهم من يكون شجاعا عبقريا ...:

أراد الله بالفقراء يسراً
وبالأيتام حباً وارتبابا
فرب صغير قوم علوه
سما، وحمى المسومة العرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً
ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلم ما استطعت، لعل جيلا
سيأتي يحدث العجب العجابا
ولا ترهق شباب الحي يأسا
فإن اليأس يحترم الشبابا

ثم يعود إلى الحديث عن الاشتراكية:

يريد الخالق الرزق اشتراكا
وإن يك خص أقواما وحابى
فما حرم الجهد جنى يديه
ولا نسي الشقي، ولا المصابا

ثم يدعو إلى العمل والجد، وعدم الرضوخ للبذلة، ويرسم لنا الطريق واضحاً:

وكان بيانه للهدى سبلا
وكانت خيله للحق غابا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان لهم ركابا

* * *

ومما جاء عن وصفه للشريعة الإسلامية ومزاياها فى قصيدة « ذكرى المولد » التى مطلعها :

به هجر يتيمه
كلا جفنيك يعلمه
هما كادا لمهجته
وضنك الكيد معظمه

قوله :

نظام الدين والدنيا
أتيح له يتممه
تطلع فى بنائهما
على التوحيد يدعمه
بشرع هام فيه النا
س هاشمه وأعجمه
كضوء الصبح بينه
وكالبنيان محكمه
بيان جل موحيه
وعلم عز ملهمه

وكم للحق من غاب
رسول الله ضيغمه
له الغزوات لا تحصى
ولا يحصى تكرمه

* * *

ولقد كان شوقى يشعر فى قرارة نفسه بالحالة العامة للأمة الإسلامية ، ولم يكن يملك غير الدعاء والتوسل إلى الله أن يأخذ بيدها ، وينتشلها مما تردت فيه ، ولكن بعد أن عرض مزايا شريعة الإسلام ، وصور عظمة المسلمين أيام كانوا مستمسكين بها أدق تصوير ، ودعا إلى العودة إليها ، لأن ذلك هو طريق العودة إلى المجد .

يقول فى ختام نهج البردة بعد أن سرد صوراً كريمة للخلفاء الراشدين :

يا رب : هبت شعوب من منيتها
واستيقظت أمم من رقدة العدم
سعد ، ونحس ، وملك أنت مالكه
تديل من نعم فيه ومن نقم
رأى قضاؤك فينا رأى حكمته
أكرم بوجهك من قاض ومنتقم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسفا ولا تسم
يا رب : أحسنت بدء المسلمين به
فتمم الفضل ، وامنح حسن مختتم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقول في ختام «سلو قلبي»:

سألت الله في أبنا. ديني
فإن تمكن الوسيلة لي أجابا
وما للمسلمين سواك حصن
إذا ما الضر مسهم ونابا
كأن النحس حين جرى عليهم
أطار بكل مملكة غرابا

ثم يعلل أسباب الضعف، ويدعو إلى العودة لطريق الإسلام، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها:

ولو حفظوا سبيلك كان نورا
وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الأخلاق ركنا
فخانوا الركن، فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيبا
وللأخلاق أجدر أن تهابا
فلولاها لساوى الليث ذئبا
وساوى الصارم الماضي قرابا
فإن قرنت مكارمها بعلم
تذللت العلا بهما صعابا

* * *

رحم الله «شوقي»، فقد كان في «إسلامياته» واعيا، عميقاً، ينطق عن بحث في ماضي الأمة الإسلامية، وخبرة في حاضرها، وأمل في مستقبلها، وقد استوفى في هذه المدائح الأربعة نواحي كثيرة من التاريخ الإسلامي، ومزايا شريعته؟

سعد الدين الجيزاوي

قال تعالى:

«وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. وإن تطع من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الانسان والجمال

للأستاذ محمد أحمد العزب

لست فى هذه السطور باحثا يتعمق فلسفة الجمال ، ويحاول تجليتها للناس ، ولست كذلك فيلسوفا يقيم الحدود والأقيسة والتعاريف لقيمة من القيم الخالدة فى تاريخ البشر ، إنما أنا إنسان ـ مجرد إنسان ـ يحاول فى بساطة واعية ، أن يلتمس أغوار حقيقة ضخمة ، أو قل يحاول أن يجيب على سؤال يزحف على شفاه الملايين ، كلما انبهرت أعماقهم وأحداقهم جميعاً أمام مشهد من مشاهد الكون ، أو خالجة من خوالج النفس ، أو انتفاضة من انتفاضات الروح والوجدان فتساءلوا : كيف حدث ذلك ؟

أنا هنا حسب ، لأشير إلى دور الجمال فى حياة الإنسان : من حيث هو فرد ، وحياته من حيث وجوده فى مجموع ... ولأؤكد أن الجمال سلم مضيئة كم صعدنا عليها ، وعانقنا فيها السماء ...

وقبل أن استرسل ـ فمن حقك على أن تسألنى ... وما الجمال ؟ ولأننا اتفقنا على مبدأ أننى لست هنا فيلسوفا يضع التعاريف والحدود ... فسأجيبك من خلال إحساسى الجمالى إجابة إنسان يستشعر جلال الجمال ... أجل يا صاحبى ... إن الجمال ليس قطعة من « شىء » تمسكها بيمينك ـ ليس جرما من الأجرام تحتويه بيديك ... ليس مادة صلبة يمكن أن تستريح عليها قدماك .

إن الجمال قيمة من القيم التى تحس ولا تلمس ... تستشعر ولا تضغط ، وبقدر إحساسنا بهذه القيمة ، بقدر ما نقبل على الحياة ونعانق أفراح الوجود ... إن الجمال يشدنا إلى الكون ويوصل علاقتنا به ... وهو من هذه الزاوية ينهض فى حياتنا برسالة ضخمة ، ودور قيادى كبير .

سأستطرد مع الجمال من حيث هو « قيمة خلقية » ... « وقيمة اجتماعية » ... « وقيمة دينية » ... توقى العالم أخصب الثمرات ...

فهو من حيث إنه قيمة خلقية ، يفجر فينا مشاعر الحب ، ويلهمنا نوازع السمو ، ويرسم فى حياتنا معالم التطور ، إنه يرقق أحاسيسنا ، ويرهف أذواقنا ، ويهبنا طاقات من الخير دفاقة أبداً ... إن الإنسان الجميل هو الإنسان الذى يكره الكلمات المشبوهة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملتوية ـ هو الذى لايحقد ... ، ولايغدر .. ولا يخون .. ، ولايقيم أخلاقياته على أنقاض أخلاقيات الآخرين ...

إن الإنسان الجميل هو الإنسان السوى الذى يجعل من قلبه مزرعة للعواطف الطيبة والمشاعر النبيلة ، والأحاسيس المرهفة .

ويقدر مايتوافر لدى الإنسان من كل هذه الأنماط الأخلاقية ، والسلوكية ، بقدر مايأخذ مكانه فى البناء الاجتماعى الشامخ الراكن.

ولقد كان الإنسان العظيم « محمد ابن عبد الله » حريصا على أن يزرع فى أعماق أتباعه هذه الحاسة الجمالية ، لإيمانه الوطيد بأنها سبيل الترقى الإنسانى ـ وحافز التطور البشرى .

لقد كان الإنسان يحاول جاهدا أن يقيم صداقة واعية بين الإنسان والكون ، حتى يتلقى عن صديقه الكون كل مباهج الطبيعة الفاتنة ، وكل مشاعر الإحساس الجميل ...

فها هو ذا يخرج مرة فى أصحابه حتى يستقبل الجبل ، فيهتف من أعماقه صائحا «أحد ، جبل يحبنا ونحبه » .

وحين يطالع الهلال البازغ يرفع وجهه إليه فى جلال قائلا « ربى وربك الله .

وحين يهل الربيع على الأرض ، وتبزغ نباتاته الصاعدة ، ينحنى عليها فى تراحم جم ويقول (عام خير وبركة إن شاء الله) .

وحين تمطر السماء . . يستقبل رذاذها بصدره عريان . . وحين يسألونه عن سر حفاوته بالمطر يلتفت إليهم قائلا (إنه حديث عهد بالسماء) .

وهو الصادح بكلماته الملهمة .!! (إن الله جميل يحب الجمال) !! .

وهكذا كان الإنسان العظيم محمد يقدر الجمال ، ويحاول أن يزرع غراسه فى أعماق الملايين ـ لأنه يؤمن بأن الجمال ركائز التكامل الخلقى الذى لاينحرف ، ولايبتسر ، ولايضرب فى أعماء الظلام .

والجمال قيمة اجتماعية ، يطهر علاقتنا بالكون . . وبأنفسنا ... وبالآخرين . . أنه يطهر علاقتنا بالكون . . لأنه يبنيها على أساس من التجاوب الصاعد الأصيل . . فأنت حين تستشعر الجمال فى نجمة . ، أو نسمة . . تفتح كل مغاليق حياتك للحياة .. وتستقبل الوجود فى صداقة وحب . . إن الجمال يشدك إلى دنياك ، بينما ينفرك القبح حتى من نفسك ! ! وهو يطهر علاقاتنا بأنفسنا حين يوحى إلينا نزعة التعادل العاقل الملهم . . الذى لا يدعنا فى ارتقائه الشاهق إلى أعلا . . ولا يكظم فى إيغاله المرهق إلى أسفل . . إنه يعطيك معنى التعادل العاقل من خلال التناسق العام فى كل مشاهد الكون .. وكل مشاهد الحياة . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهو يطهر علاقاتنا بالآخرين حين يقيمها على أساس من التضامن الحلو ، والأخوة المتكافئة ، والسلام الأرحب الخصيب .. إنه يضربك بالعدل حين يوحى إليك أن لا شيء أجمل من العدل ينشر أجنحته البيضاء فيحتضن بها الملايين ، ولا شيء أو بل من الظلم الذى هو افتيات صارخ على طبيعة الخلق فينا ، وتشويه هابط لفطرة البراءة ، وبراءة الفطرة وانهيار بالمستوى الآدمى إلى مستوى راكد ورخيص . .

وهنا أستطيع أن أقول : إن للجمال رسالة إنسانية واجتماعية خالدة فى مكافحة القوى العدوانية ، ومؤازرة أنصار الحياة ، فى تحريك ما همد من العواطف الإنسانية البارة ، وإذكاء ما خمد من المشاعر الآدمية المضيئة ، وإثراء ما أجدب من مناطق فى قلوب الملايين . .

ألست معى فى أن قلوبا آدمية كانت قاسية رهيبة كوجه الطوفان ، ما لبثت أن تراعشت مذهولة أمام قيمة جمالية تذبح ، أو صوت إنسانى جميل يوشك أن يبح من النداء . ؟

لن أزج بالتاريخ فى هـــذا المشهد . . ولن أستشهد لك بما مضى من عصور . . ولكنى سأفترض موقفا من المواقف . . سأضع أمامك صورة من صور الجمال (الحياتى) الذى يوشك أن ينهار ، وأهيب بك أن تتماسك وأن تصمد مهما تنزت بك الأحقاد الغائرة . . واستبدت بك كراهية الجوع . . تصور أنك ظلمت إنسانا من الناس ، وزحف بكل جراحاته إليك . قائلا فى أسى مذبوح :

ماذا أنا ؟ ألست إنسانا يحيا على الأرض؟ ومن أنت ؟ ألست إنسانا تحيا على الأرض؟ إذا فنحن أشقاء ؛ كلانا زاحف على الثرى والطين . لا يستطيع التحليق والطيران !! لماذا إذن تظلمنى ؟ ألأنك قادر ، وأنا عاجز ؟ ألأنك استطعت ، ولم أستطع أنا ؟ أم لأنك حرفت فطرتك ، ومسخت طبيعتك وانسلخت من إهابك الإنسانى ؟ ألا تدرى؟ ألا تحس ؟ ألا تتألم .؟ ألا تعرف أنك حين ظلمتنى فقد ظلمت من ورائى أكبادا جائعة . وأنفسا ضائعة !! إنك لست ظالمى وحدى . إنك ظالم لابتسامة طفل البرىء ؛ لأنها ذوت منذ أيام !! ظالم لوشوشة الأحلام فى خيال طفلتى اللاعبة ؛ لأن أحلامها الآن لم تعد شيئا غير الرغيف !! ظالم لكرامة الأمومة فى عينى أمى العجوز !! لأنها - على تأبيها - سألتنى بالأمس ، هل من طعام ؟

تصور انك هذا الظالم المتأله التياه ... وأن هذا الموقف المأسوى المدمى يعربد عن كثب أمامك . . فماذا أنت صانع به ؟ أوشك أن أؤكد لك - أن الجدار الثلجى الذى شاده الظلم فى أعماقك سينهار . سينهار حقا تحت مطارق هذه العواطف الإنسانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجروحة ، التي يوشك القبح أن يعفى على وجهها الضاحك الجميل .

ألم أقل لك : إن الجمال كقيمة اجتماعية يطهر علاقاتنا بالكون وبأنفسنا وبالآخرين ؟

والجمال من حيث هو قيمة دينية هادفة يعقد صداقة بين الإنسان والله . . صداقة أساسها الفهم المتحرر الواعد الذي ينمو على أرض جمالية . ويتفتح في ضوء جمالي ، ويعرج إلى ربه في نغم مؤمن حالم جميل . .

وهنا لا بد أن نطيل التأمل ؛ فليست قيمة من القيم الخالدة لتستطيع أن تقف إلى جوار الجمال في حركة كونه معراجا إلى الإيمان . لأن الله يتخذ منه دائما مقدمات لقضية هذا الإيمان . . إن الله يدعو البشر للإيمان به عن طريق الجمال المبثوث في الأرض ، المبثوث في الآفاق ، « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . . والنخل باسقات لها طلع نضيد ... » . !!

« والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

« والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . . والنهار إذا جلاها . . والليل إذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . . . » .

« هذا خلق الله ... فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » .

إن القرآن في هذه الكلمات يتخذ من الجمال مقدمة لقضية الإيمان ، فلا يلبث أن يتسرب بها إلى أعمق أعماق البشر ؛ لأن عاطفة الإحساس بالجمال ألصق عاطفة بالنفوس ، والاستثارة الإيمانية عن طريقها تختصر مراحل الطريق .

وأبدا لا أنسى هذا الربي المتأنق الساذج الذي عرف بحسه الجمالي ، وشغفه بالحوار ، لا أنسى يوما جاءني على مشهد من جماهير قريتي البسطاء ، وبدهني قائلا :

أنتم تقولون إن الله موجود ... فأين هو؟ إنني لا أؤمن إلا بما أراه .

قلت لصاحبي : لا تؤمن إلا بما تراه ، فأنت إذاً قد رأيت القاهرة وأمريكا وروسيا ، وباريس !

فأجابني في ذهول : أبداً . أبداً لم أر شيئا من هذا الذي تقول .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقلت : إذن فهى غير موجودة . . لأنك يا صاحبي لم ترها .

أجاب : كلا . . إنها موجودة من غيرشك

فقلت : يا صاحبي . . إذن فالله موجود . ولا يطعن فى وجوده أنك لم تره ، أتستطيع أن تزعم رؤية الحياة الجارية فى الغصن الأخضر أتستطيع أن تحس أو تبصر تنفس الزرع الذى ترعرعه يداك ؟ أتستطيع حتى أن ترى سر الحياة الكامن فيك . . أنت . . والذى إذا صمت صمتت بجواره الأشياء ؟

وبدا على الرجل أنه قد فهم بعض الشيء . ولكنه بحركة عفوية ، وربما تكون مجرد حب للحوار . . همهم فى خفوت :

ولكن غيرى من الناس رأوا أمريكا وروسيا ، وغيرهما مما تقول ، وغيره من العلماء والأطباء قد رأوا حياة الزرع وحياة الناس .

قلت : ولكنى ألفتك إلى أن أناسا كذلك قد رأوا ربهم ليس كما يحبون أن يروه ... ولكن كما يجب هو أن يروه ، إن الرسل قد رأوه يا صاحبي وجلجلوا فى الناس : « إنا قد رأينا ربنا » .

قال : فهل أستطيع أن أجلس إليك لتضع يدى على حقيقة وجود الله ؟

قلت : وأنا أعرف ما فى الرجل من حس جمالى يتعشق مظاهر الجمال : يا صاحبي . . أنا أستطيع أن أضع يدك على حقيقة وجود الله . . ولا أستطيع . . إن ذلك يتوقف على مدى تراحب عقلك ، وحسك ومدى ارتفاعك معى عن مستوى القياسات الترابية الهامدة ، إلى مستوى القياسات الإلهية العليا ... إنك إن رأيت الله واحتويت وجوده لم يكن هناك فارق بين الله ، وبين سيجارتك التى تقتهد فى يدك . . لا بد من منطقة فاصلة بين الله والأشياء ... لا بد أن يظل الله أكبر من أن يرى وأجل من أن يحصر ... وأشمل من أن يحاط به .. يكفى دائما أن ترى الله فيما يبدع ويصوغ : فى الزهرة الراعشة على غصنها والموجة السارية فى غديرها — والضوء الحائر فى أفقه ، والنسمة الغافية على شواطئ العبير !! فى أجنحة هذه الحمامات المطوقة التى تنساب هائمة عبر الأفق هنا وهناك ... فى هذه الأرض السمراء التى تتنفس كل يوم عن جديد ... فيك أنت يا صاحبي ... فى خفقات قلبك النابض ...

وهمسات روحك الشاعر .. ورقرقات خيالك المشبوب ...

قلت للرجل هذه الكلمات ... فإذا بشفتيه الذاويتين تختلجان فى رعشة بيضاء متمتما : يا سبحان الله العظيم ... تباركت ياذا الجلال والجمال ...

(البقية على صفحة ٦٢٣)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يكن يعبر عن تجربة شخصية ، وأن ذلك لم يخرجه عن دائرة الصدق ، إذ التجارب الخيالية كثيراً ما تقوم مقام التجارب الذاتية وأن دعوة أبي نواس إلى اطراح الغزل ليست إلا امتدادا لمبدئه في مهاجمته للمواضعات وأن دعوته إلى الابتداء بوصف الخمر ، إذا صلحت فإنما تصلح لأمثال الحكمي من عباد الخمر ، ولا تقوم مقام الغزل في الإشارة إلى الغرض الذي يقصده الشاعر ، والتهيئة لهذا الغرض بحسب مناسب له من الغزل ، إقبالا أو إعراضا ، ألما أو نشوة ؟

كامل السيد شاهين

(بقية المنشور على صفحة ٦١٦)

ولست هنا أسوق هذه السطور كشهد تمثيلي أو لمجرد أن أسود الصفحات ... أبدا فما إلى شيء من هذا قصدت .. وإنما هدفت من وراء ذلك إلى أن أؤكد أن الجمال أخصب مقدمة يمكن أن تفضي إلى نتيجة الإيمان إن الرجل لم يهتز بحواري العقلي . ولا بجدلي المنطقي ... ولكنه تهاوى تحت مطارق الإحساس الجمالي الرهيف .. لقد أحس بأن هذه الكلمات التي يسمعها تعكس عالما بأسره يعيش في أطوائه وبين حناياه .. أحس بأنها تفتح عينيه على جمال الكون ، وأقداس الطبيعة ، لتقف منها على ما لم يقف عليه من قبل أو قل على ما كان يقف عليه في عفوية ساذجة بريئة ...

وبعـــد ...

فلسنا ندري ماذا كانت تكون حياة الإنسان لو أنها أقفرت من الجمال ، وزخرت بأمواج القبح القبيح ، أغلب الظن أنها كانت لا بد أن تتحطم وتتهالك .. أو تأوي إلى كهف بارد منطوٍ الآفاق والأعماق ...

إذا ... فلنبارك الجمال كهبة من هبات السماء ... وهدية من هدايا الرب ، ولنمش هذا الجمان بكل ذرة من ذرات كياننا الحي . لتكن أعماقنا جميلة ... ولتكن أخلاقنا جميلة ... ولتكن علاقاتنا جميلة ... ولتكن عقائدنا جميلة ... فإن هذا الجمال وحده هو الذي يمكن أن يخلع على الحياة والأحياء جميعا كل مظاهر الحب وكل مظاهر التطور . وكل مظاهر الإيمان .

وما أجمل أن تكون جميلا ... وأن أكون جميلا ...

وأن تحيا الأسرة الإنسانية كلها عابدة في محارب الجمال ؟

محمد أحمد الغمراوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رأي جديد

هدف الغزل الجاهلي

للأستاذ كامل السيد شاهين

١ ـ كانت العرب تبدأ قصائدها في الكثير الشائع بالغزل ، لما أن الحب من العواطف العامة التي تستصبي الفتى ، وتهز قلب الرجل ، وتثير ذكريات الشيخ ، ومن ثم كان موقعه من النفس جالبا اللذة والارتياح .

ولما كان هم الشاعر أن يثير فضولك ، ويحملك على الإصغاء ، ويجذب قلبك إليه كان أحسن المداخل أن يهز عاطفتك بأنغام تستهويك . وليس أقدر على ذلك من تحريك قلبك بالغزل ، وذكر الصبابة ، ومودة النساء .

ولما كان ذلك يتصل في أكثر الأحيان عند العرب الجاهليين بذكر الرحلة ، من حيث إنهم قوم نجعة وارتياد ، وتقلب بين الأماكن الصالحة ، وكانت الرحلة ضربة شتات بين أليفين اتصلا زمنا وتجاوبت منهما القلوب .. كان لابد من ذكر التعريج على أماكن الصبوة والخلوة ، لما وراءها من إثارة حبيبة ، وذكر جياشة بأحر العواطف .

ومن هنا كان ذكر الأماكن في مطالع القصائد ، وذكر مالاقاه العاشق من عنت ..

وربما كانت ناقة الشاعر مجالا طيبا لوصفه ، لأنها أداة إلى معاهد الحب ، ولأنها أيضا صديقه الذي يشركه في الاضطراب بين الدارات والمناجع .

٢ ـ وأكبر الظن أن الشعراء ـ حاشا العشاق منهم ـ عندما يطالعوننا بالغزل في صدور قصائدهم ، لا يقصد أحدهم وصف حبيبته هو ، ولا يذكر وداعها هي ، ولا يريد بوقفته على الأطلال أن يريك ذاك منه وإنما هو يذكر حبيبتك أنت ، ويصف حبيبتك أنت ، ويريد أن يذكرك بوقفتك أنت .

فالأعشى عندما يودع هريرة لا يريد بها إلا (رمزا) لحبيبتي ، وحبيبتك ، ولا يريد بها امرأة أو فتاة خاصة بينها وبينه حب وعلقة .

والأعشى عندما يقول : إنها غراء فرعاء مصقولة العوارض ، ثقيلة المشية بهية الطلعة ، إنما يبتغي إصابه شيء من وجوه الحسن التي تحمل الرجل على التعلق بالمرأة ، فهذا يحب فتاته لأنها صافية اللون ، وضاحة الجبين ، وهذا يحبها لأنها جزلة الشعر ، سابغة الفرع ، وهذا يعشق منها ثغرا واضحا ، كشعاع الشمس في القيم سطع .. فهو إذن يبحث عن مجالب الهوى من أسباب الحسن .. ليصيب السامع ويبعثه على الإصغاء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولعل هذا الارتياد لأسباب الإغراء والهوى هو الذى صبغ الغزل الجاهلى بهذا اللون المادى التكشف ، فظنه - من لا يعرف - إسفافا ونهما شهويا ، وتلذعا بهذه المفاتن . وليس ذاك ، وإنما هو استهواء السامع واجتذابه ، وترغيبه فى الاستماع .

وآية ذلك : أن الشاعر لا يذكر حبيبة واحدة ، وإنما يذكر حبائب كثيرات ، وربما كن من بنات الحوانيت ، وربات الهوى ، فأولئك لا حشمة معهن ، ولا حرج فى وصف مفاتنهن ومحاسنهن ، على حين أن الحرائر مصونات ، لا يجرؤ العاشق أن يذكرهن ولا أن يصف منهن . وللغيرة فى نفوس العرب سورة عجب ، فلا سبيل إذن إلى تناول المرأة وتفصيل أوصافها ، وتكشيف مفاتنها .

٣ — إذن فالغزل فى أكثر أمره - عند الجاهلى - خيال وليس حقيقة ، والغزل - فى أكثر أمره عند الجاهلى - يتصل بأوصاف الجسد من الوجه والبسمة والنظرة ومن الفرع والخصر ، ومن الردف والساق ، ومن الجيد والنهد ، وغير أولئك مما يقع عليه الحس ... وإنما ذهب هذا المذهب لأن الفتون بالجسد هو التجربة العامة عند سائر الناس ، أما ما يتصل بالعواطف من شجن وتلذع ، ومن هيام وخفقان ، ومن شقوة وإسعاد ، فهذا من التجارب الخاصة التى تنال بعض الأفراد دون سائرهم .

فهذا هو الذى دفع الجاهلى لسلوك هذا الطريق !

ولعلك تقول : فالغزل الجاهلى زيف كله ، لأنه افتراضى فلا أصل له ، ولا صدق فيه .

وإذا كان الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية فهذا ليس أدبا لأنه لم يقم على تجربة حقيقية . فلنمنح الغزل الجاهلى عن ميدان الأدب بهذا الاعتبار .

ونحن نؤمن بأن الغزل الجاهلى - إلا أقله - لا يقوم على التجربة الشخصية ، وليس مستمدا من واقع الحياة ، ولكن من قال : إن الأدب لا يكون أدبا إلا إذا قام على تجربة شخصية نابعة من الواقع ؟ ومن قال : إن معايير الصدق والكذب قد وقفت عند حدود التجربة الشخصية ؟ بل إن الأديب قد يبلغ بخياله الخصيب ، وملاحظته الدقيقة إلى حدود تكون أعمق صدقا ، وأكثر غنى من واقع الحياة ! .

وإن الأديب ليستمد من تجارب غيره رؤى تكون لها ملامح الحياة وخصائصها ، وهو لم يعش تلك التجارب ولم يعانها .

ومن ذا الذى يستطيع أن يزعم أن الأديب لا يمكن أن يصدق فى وصف آلام المخاض لأنه لم يعان التجربة ولم يعشها ؟

ومن ذا الذى يستطيع أن يدعى أن أديبا مثل شوقى ، قد عاش حياة المجنون وكاوبترة وعلى بك الكبير ، وقمبيز ، وعاش كذلك

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حياة الست هدى ... بما فى هذه الحيوات من تدله ، ومكر ، وغدر ، وجبريه ، وسفح للدماء ، ورغبة فى الرجال .

ولو صح أن نقف عند حدود التجارب الشخصية ، وأعطيناها صفة الصدق دون التجارب الخيالية والتاريخية والأسطورية والاجتماعية ، لضيقنا مجال الأدب ، وأنضبنا مشاربه ، ولوجب على كل أديب أن يندفع إلى حيوات الانحلال والعربدة والجريمة ليكتسب التجارب الشخصية التى تحقق له الصدق ...

٤ — ولم يكن ابتداء الجاهلى بالغزل مسألة استصباء واستمالة فحسب ، بل هناك خاصية فى الغزل ليست ميسرة فى غيره من الفنون .

فأنت تستطيع أن تطوع الغزل لسائر الفنون ، فيكون غزلك غزلا مبتهجاً فرحاً ، ويكون غزلك غزلا عابثا زارياً ، أو يكون غزلا خائفاً مذعورا ، أو يكون صارما مدابرا ، باكيا حزينا .

ولقد تنبه القدماء والمحدثون لهذا الأصل وأدركوا أن الشاعر يضع غزله مناسبا لغرضه من القصيدة .

وقد عد صاحب الصناعتين من أبرع المطالع قول النابغة فى إحدى قصائده الاعتذارية :

كليني لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطيء الكواكب

فأنت ترى الشاعر بحذاقته وتلطفه وإرهاف شعوره قد استطاع أن يأتى بصفة عامة مشتركة بين الخائف المذعور المتوجس من الشر يطرقه فى كل حين ، وبين المحب الواله الذى يعتاده الهم فيرى الليل طويلا كأنه لا تتحول نجومه ... وهى بعد : مناسبة لبيئتنا العربية القديمة التى يمد فيها الليل مصدر الهول والإفزاع . ففى الليل تكون غارات الأعداء وتسلل الوحوش ، وسرحة الهـوام ، وإضلال الماء ، واستهام الطرق ، مما يلقى الرهبة فى نفس البدوى .

ولقد تجد دلالة الغزل على روح القصيدة فى مطلع دريد بن الصمة عند ما قتل أخوه عبد الله ، فقد جاء به غزلا نائحا مؤذنا بالتفرق والانقطاع ، وانتهاء المودة ، فقال :

أرث جديد الحبل من أم معبد
بعاقبة ، أم أخلفت كل موعد

فلا وصل بينه وبين أم معبد إذ رث حبلها ، ولا لقاء بينه وبين أم معبد إذ هى مخلفة كل مواعيدها ... وإنما قال ذلك وهو ناظر إلى أنه بسبيل تفجع على فراق لا وصل بعده ، وانقطاع لا أمل معه فى لقيا .

ولقد لمح ذلك الدكتور طه حسين عند تناوله لقصيدة المثقب العبدى ، التى يخاطب فيها العتاب لعمرو بن هند ، ويخيره بين المودة الصريحة ، أو العداوة الصريحة . فجاء بهذا المطلع مغلظاً لصاحبته فاطمة :

أبو ذر الغاضلي / مكتبتنا العربية

أفاطم : قبل بينك متعيني
ومنعك ما سألت كأن تبيني
فلا تعـــدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دوني (١)
فإني لو تخالفني شمـــالي
خلافك ما وصلت بها يميني
إذاً لقطعتها ، ولقلت : بيني .
كذلك أجتوى من يجتويني

قال الدكتور طه حسين :

« فهو منذ البيت الأول قليل الرفق بصاحبته ، حريص على أن تمتنع قبل وحيلها بالنظر والحديث والتحية ، ولكنه لا يطلب إليها ذلك فيما ينبغي أن يكون عليه العاشق من الرفق والإلحاح الذي لا غلظة فيه ولا عنف . وإنما هو يطلب إليها ذلك في شيء من الجدال المنطقي العنيف ، ألست تراه يزعم لها أنها إن منعته ما سألها فكأنها قد ارتحلت عنه ، وكأنما انقطعت بينها وبينه الأسباب ، فقربها منه وجوارها له لا يغنيان عنها شيئا إذا لم يصحبها الوصل .

وصاحبنا متعجل ملح مشفق من خيبة الأمل ، لا يطمئن إلى الوعد ، ولا يستريح إلى الأمل :

فلا تعـــدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دوني

ثم هو ينتقل من الطلب الملح ، والتشدد المشفق إلى الوعيد والنذير ، فهو لا يرضى من صاحبته هذا المطل ، ولا يحب منها هذا الخلاف ، وهو قد صبر وصابر على قلة حبه لهذا النحو من الصبر والمصابرة ، فلو أن إحدى يديه خالفته كما تخالفه فاطمة هذه لما وصل بها يده الأخرى ، بل لقطعها قطعا ولقال لها : إذهبي إلى غير رجعة ، فإني أكره من يكرهني ، وأتحول عمن يتحول عني .

ثم قال :

ولابد أن ننصف الشاعر ، فهو ينشئ قصيدته في العتاب ، وهو يفكر من غير شك في صاحبه الذي سيعاتبه حين ينتهي إليه ، أكثر مما يفكر في صاحبته التي يطلب إليها المتاع .

فإذا تحدث إلى حبيبته بهذه اللهجة القاسية الغليظة ، ووجه إليها هذا النذير الغليظ الخشن ، فهو خلق إذا تحدث إلى صاحبه أن يكون حازما صارما ، ومتشددا قاطعا ، لا يحب الهوادة ولا اللين (١)

٥ — وظل الشعراء يتبعون هذا النهج حتى كانت دعوة أبي نواس إلى اطراح التغزل جملة في مطالع القصائد ذاهبا إلى أن هذه بلاغة القدم الجاهل .

أوكانت هذه الدعوة من أبي نواس جهلا بالغرض الذي كان يقصد إليه الشعراء

(١) خص رياح الصيف لأنها تأتي بالغبار والعجاج ، فلا خير فيها .

(١) من حديث الأربعاء ج ١ ص ١٦٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حين يستفتحون قصائدهم بالغزل ، وعدم فطنة إلى المرمى الحقيق له من الاستهلال والاستصباء ..

أكبر الظن أن أبا نواس كان يقصد الخروج على المواصفات ، فقد كان لهجا بالسخرية من كل ما يتلقاه الناس بالقبول والإذعان ، فهو ثائر على الأوضاع الدينيـــة ، ثائر على العرب ، ثائر على نظام القصيدة ، ثائر على اللغة . ؛ وعلى الجملة فإنك لاترى مواضعة اتفق النـاس على إنزالهـا منزلة الجـلالة إلا هاجمها أبو نواس

والذى يعنينا أن ننظر : أكان أبو نواس على حق فيما دعا إليه من هجر الغزل واستبداله بالخمر ؟ .

أما إن أبا نواس لو دعا إلى هزل المقدمات جملة ، وبدء القصائد بما هو المقصود ، والاستغناء عن هذا التقليد الذى التزمه الناس دون اعتبار لمرماه ، ودون نظر إلى مناسبته ، ودون تحر لصدقه فصاروا يذكرون رامة واللوى والأجرع والزوراء ، وصـاروا يذكرون الأطلال العافية ، والدمن البالية ، دون أن يصدروا فى ذلك عن أصل ، ودون أن يكون للمخاطبين أنفسهم عهد بمثل هذه المواقف يهز قلوبهم ، ويثير ذكرياتهم ، بعد أن سكنوا القصور ، وهجروا المدن وجهلوا كل شئ فى حواضرهم عن الرحلة والمعاهد التى تبلى ، وتحول ..

لو دعا أبو نواس إلى اطراح هذه المقدمات التى لا تهز ولا تثير ، لأنها استنفدت أغراضها ، ولم تعد ذات شأن وأثر .. لصح أن تكون دعوة متقبلة .

ولكنه يريد أن يستبدل مقدمة بمقدمة أخرى .. يريد أن يحول بين الناس وبين ذكر الطلول ، ليدعوهم إلى وصف ابنة الكرم :

صفة الطلول بلاغة القدم
فاجعل صفاتك لابنة الكرم
تصف الطلول على السماع بها
أفقر العيان كأنت (١) فى الحكم
وإذا وصفت الشيء متبعاً
لم تخل من خطأ ومن وهم !

يريد أن يحول بينهم وبين ذكر الحبائب ، وأن يجعلوا ذكرهم للحمراء الحبيبة المشرقة :

لا تبك ليلى ، ولا تطرب إلى هند
واشرب على الورد من حمراء كالورد

ويسخر من هذا الذى يذكر الوقوف على الديار والأطلال :

قل لمن يبكى على ربع درس
واقفا ، ما ضر لو كان جلس !

فثورة أبى نواس هـذه جديرة بالتقدير من ناحية أنه فى متابعة الأقدمين على اختلاف

(١) هذا من أبى نواس خروج أيضا على المواضعات اللغوية ، فإن حرف الجر لا يجوز أن يدخل على ضمير الرفع والصواب أن يقول (مثلك) فى الحكم .. ولكنه أبو نواس !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوضع ، واختلاف البيئة جناية على الصدق صدق الشعور ، وفيها تزييف صارخ للعواطف والمواقف ، وفيها تهمة واضحة من السامع للشاعر .

ولكنها لا قيمة لها من جهة أخرى ، من ناحية أنه يريد من كل شاعر أن يذكر الخمر ويتغنى صفاتها .. ومعلوم أن ليس جميع الشعراء يحبون الخمر حب أبي نواس ، أو يبرعون في وصفها براعة أبي نواس .. وليس حب الخمر (كحب النساء) عاطفة مشتركة ، تلذ الشاب والرجل والشيخ ، وربما كان مقتها كبيراً في النفوس الصالحة التي غلب عليها الدين والتوقر .

إذن فلا تصلح الخمر أن تكون بديلا من الغزل ؛ إذ لا تثير مايثيره الغزل من انفعالات مشتركة فلو اتبعنا دعوة أبي نواس لم نخل من تزييف الشعور ، ولم نتحرر من كذب التغزل في المرأة إلا لنقع في كذب التغزل في الخمر .

ولذلك لم يستطع أبو نواس نفسه أن يطبق مبدأه هذا ، بل عاد إلى ذكر الغزل ، واصطناع المرادة والمحاورة بين جارته وبينه ، في مدحته للخصيب ، فذلك حيث يقول :

أجارة بيقينا أبوك غيور
وميسور ما يرجى لديك عسير
فإن كنت لا خلا ولا أنت زوجة
فما برحت دوني عليك ستور

ثم يقول :

تقول التي من بيتها خف محملي
عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب
بلى ؛ إن أسباب الغنى لكثير
فقلت لها ، واستعجلتها بوادر
جرت بجري في جريرن هبير
ذريني أكثر حاسديك برحلة
إلى بلد فيه الخصيب أمير

وإن كان من الحق والإنصاف أن نقول : أنه سلك في غزله طريقة مقبولة ، فلم يذكر رحلة ناقة ولم يقف على طلل ، ولم يحاول أن يخلع روحه الحضرية ليتقمص روحا بدوية كما كان يفعل الشعراء في عصره .

والرأي عندي ، أنه كان ينبغي لأبي نواس أن يسقبق الغزل ، في مطالع القصائد التي تتناسب أغراضها معه ، على أن يكون على طريقة الحضر ، لا على طريقة البدو ، فهذا أدخل في الصدق ، وأنأى عن الزيف ، وأحق بأن يستصبي السامع الحضري الذي لم يمارس حياة البادية ، ولا تثيره معاهدها ، ولا نؤيها وأطلالها .

٦ — وجملة الأمر : أن الغزل الجاهلي — في الأعم الأشيع — كان يراد به اطراء السامعين واستهواؤهم وأنه — في الأعم الأشيع كذلك —

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لم يكن يعبر عن تجربة شخصية ، وأن ذلك لم يخرجه عن دائرة الصدق ، إذ التجارب الخيالية كثيراً ما تقوم مقام التجارب الذاتية وأن دعوة أبي نواس إلى اطراح الغزل ليست إلا امتدادا لمبدئه في مهاجمته للمواضعات وأن دعوته إلى الابتداء بوصف الخمر ، إذا صلحت فإنما تصلح لأمثال الحكمي من عباد الخمر ، ولا تقوم مقام الغزل في الإشارة إلى الغرض الذي يقصده الشاعر ، والتهيئة لهذا الغرض بحسب مناسب له من الغزل ، إقبالا أو إعراضا ، ألما أو نشوة ؟

كامل السيد شاهين

(بقية المنشور على صفحة ٦١٦)

ولست هنا أسوق هذه السطور كشهد تمثيلي أو لمجرد أن أسود الصفحات ... أبدا فما إلى شيء من هذا قصدت .. وإنما هدفت من وراء ذلك إلى أن أؤكد أن الجمال أخصب مقدمة يمكن أن تفضي إلى نتيجة الإيمان إن الرجل لم يهتز بحواري العقلي . ولا بجدلي المنطقي ... ولكنه تهاوى تحت مطارق الإحساس الجمالي الرهيف .. لقد أحس بأن هذه الكلمات التي يسمعها تعكس عالما بأسره يعيش في أطوائه وبين حناياه .. أحس بأنها تفتح عينيه على جمال الكون ، وأقداس الطبيعة ، لتقف منها على ما لم يقف عليه من قبل أو قل على ما كان يقف عليه في عفوية ساذجة بريئة ...

وبعـــد ...

فلسنا ندري ماذا كانت تكون حياة الإنسان لو أنها أقفرت من الجمال ، وزخرت بأمواج القبح القبيح ، أغلب الظن أنها كانت لا بد أن تتحطم وتتهالك .. أو تأوي إلى كهف بارد منطوٍ الآفاق والأعماق ...

إذا ... فلنبارك الجمال كهبة من هبات السماء ... وهدية من هدايا الرب ، ولنمش هذا الجمان بكل ذرة من ذرات كياننا الحي . لتكن أعماقنا جميلة ... ولتكن أخلاقنا جميلة ... ولتكن علاقاتنا جميلة ... ولتكن عقائدنا جميلة ... فإن هذا الجمال وحده هو الذي يمكن أن يخلع على الحياة والأحياء جميعا كل مظاهر الحب وكل مظاهر التطور . وكل مظاهر الإيمان .

وما أجمل أن تكون جميلا ... وأن أكون جميلا ...

وأن تحيا الأسرة الإنسانية كلها عابدة في محارب الجمال ؟

محمد أحمد الغمراوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

بين الأمس واليوم

للدكتور أحمد فؤاد الاهوانى

كان ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادى ضربة قاضية على أكبر إمبراطوريتين فى العالم القديم، وهما الفرس والروم، وانتشر الإسلام من الشرق إلى الغرب بسرعة عجيبة، ليس لها مثيل فى التاريخ حتى اليوم، وظل الإسلام ينتشر ويمتد حتى القرن الخامس عشر الميلادى، حين بدأ يتراجع من الأندلس، ولكنه فى الوقت نفسه، أخذ يندفع بقوة من جهة الشرق نحو أواسط أوربا، ومن الطبيعى أن يحدث فى أثناء ذلك مد وجزر، وأن تقع تاريخيا مواقع دامية تمثلت فى الحروب الصليبية التى استمرت زهاء قرنين من الزمان، وفى غزو المغول الذى وفد من أقصى الشرق، وانتهى بصده وإسلام المغول أنفسهم، وظل الإسلام ثابتا شامخا كالطود، بل استطاع أن ينتشر فى بقاع جديدة من الدنيا، لا بحد السيف؛ بل بقوة العقيدة كالحال فى أندونيسيا.

فما هى القوة الكامنة فى الإسلام التى جعلته ينتشر هذا الانتشار فى أرجاء العالم، وأن يقف فى وجه الهجمات الخارجية على الرغم من ضراوتها.

هذا هو السؤال الكبير الذى دار فى خلد الدول غير الإسلامية قديما، والذى لايزال محيراً أذهان أصحاب الملل غير الإسلامية إلى اليوم.

ومنذ أواخر القرن الثامن عشر بدأت أوربا مع النهضة الصناعية والاستعمار الجديد تجيب عن هذا السؤال بشكل جديد، بعد أن اختل ميزان القوى بين الشرق والغرب، وتجمد الشرق وأخذ فى الضعف، على حين نهض الغرب، وصعد سلم القوة بسلاح العلم والصناعة والتصنيع.

ولقد اتجه البحث منذ ذلك الحين عن سر قوة الإسلام يسير فى طريق علمى، وتسلم رايته جماعة يسمون بالمستشرقين، وقد عالجوا هذا البحث من زوايا شتى، وهى تكون على اختلافها دراسات متكاملة،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بدأت هذه الأبحاث بما ينبغي البدء به ، أي بنشر الأصول نشراً علميا محققا مع العناية بالفهارس للاستفادة من تلك الكتب ، وهكذا نشر أعظم موسوعة تاريخية وهو تاريخ الطبري ، كما نشرت المكتبة الجغرافية التي تشمل زهاء عشرة كتب في الجغرافيا ، وكتب طبقات الأطباء وهي الفهرست لابن النديم ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وأخبار الحكماء للقفطي .

ثم اتجه البحث ثانياً بعد نشر الكتب الخطية إلى الكتابة عن العلوم والفنون العربية المختلفة ، مثل الطب ، والهندسة ، والفلك . والموسيقى ، وغير ذلك . وأحسب أن قراء العربية يذكرون كتاب المستشرق الإيطالي نللينو ، الذي جاء إلى مصر عند افتتاح الجامعة المصرية ، وألقى محاضرات في تاريخ علم الفلك عند العرب ، طبعت كتاباً سنة ١٩١١ . فهذا نموذج لتلك الدراسات العلمية .

ثم اتجه البحث ثالثا إلى الكتابة عن الإسلام نفسه ، ورأى المستشرقون في ذلك الحين أن جوهر الإسلام وقوته في التصوف فتعددت دراساتهم عن هذا العلم . حقا كان للتصوف منذ القرن الخامس الهجري تأثير في المسلمين من جهة تمسكهم بالدين ، وبخاصة بعد نشأة الطرق الصوفية التي كانت تجمع بين الدين والعلم والسياسة لأن « الرباطات » الصوفية كانت المواقع الأمامية للمسلمين التي يدافعون منها عن البلاد . وظل للطرق الصوفية هذا الأثر في القرن التاسع عشر ، ولكنه أخذ في التدهور شيئاً فشيئاً مع النهضات الحديثة في كافة أنحاء العالم الإسلامي ...

* * *

كان ذلك حال الدراسات الغربية عن الإسلام ، وهي التي تلخصها الاتجاهات الثلاثة السابقة ، نشر المخطوطات ، والعناية بالعلوم عند العرب ، والأبحاث في التصوف والعقيدة بوجه عام .

وقد استنفدت تلك الاتجاهات أغراضها . إذ أن معظم الكتب الهامة قد فرغ المستشرقون من نشرها ، وقد توجم بعضها لأهميته ، كما أن المباحث عن التصوف لم يعد فيها حاجة لمستزيد .

ولذلك وجب أن تتجه الأبحاث عن الإسلام وجهة جديدة ، يمكن أن تلخص في أمور ثلاثة .

(١) الكشف عن التأثير الأجنبي في الحضارة الإسلامية قديما ، وكيف وقع هذا التأثير ، وعلى أي نحو ، وفي أي المدن وما هي الكتب التي نقلت إلى اللغة العربية وكان لها تأثير في تلك الحضارة .

وهذا النوع من الدراسة في غاية التخصص

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويحتاج إلى تتبع الكتب فى ترجماتها الأولى وموازنة هذه الترجمات العربية بأصولها السريانية واليونانية . فنحن نعرف أن معظم التراث اليونانى كان قد نقل فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين إلى اللغة السريانية ، فلما ظهر الإسلام ، واستتب وبدأت حركة الترجمة منذ أوائل الدولة العباسية ، واشتدت زمان الرشيد والمأمون والمعتصم فى بغداد ، نقلت الكتب عن السريانية ، وكان يكتفى بهذا النقل ، أو تراجع الترجمة على الأصل اليونانى وقد حدث عند نقل الكتب من اليونانية إلى السريانية شىء من التغيير لاختلاف اللغتين ، فلما نقلت الكتب مرة أخرى من السريانية إلى العربية وقع تغيير آخر .

ومن أحسن الدراسات الخاصة بهذا الضرب من الترجمة عن اليونانية من خلال السريانية ، ذلك البحث الذى قدمه الدكتور خليل الجر عن مقولات أرسطو ، فى أصلها اليونانى ، ثم فى ترجمتها السريانية ، ثم فى ترجمتها إلى العربية . وهى دراسة نال بها إجازة الدكتوراه من جامعة السربون ، فى أثناء الثلاثينيات من هذا القرن .

ولما كانت هذه الدراسات فى غاية الصعوبة كما ذكرنا ؛ فإنها تحتاج إلى انقطاع وزمن وتخصص ومعرفة وثيقة بعدة لغات ، ولذلك لا يزال يعمل بعض المستشرقين منذ سنوات كثيرة فى إعداد مخطوطات للنشر مع موازنتها بأصولها اليونانية ، ولم تصدر أعمالهم بعد . أما الذين يستعجلون ؛ فإن دراساتهم على الرغم من أهميتها تقسر بالضعف . مثال ذلك الدراسة التى نشرها الأستاذ فرنشكو جبريلى لكتاب « تلخيص النواميس » للفارابى . نشر النص العربى فى (٤٢) صفحة ، وترجمه إلى اللغة اللاتينية ، ووضع معجما بالألفاظ العربية وما يقابلها باليونانية فى ثلاث صفحات تقريبا . وكان الأجدر أن يكتب مقدمة البحث بلغة حديثة كالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية بدلا من اللاتينية ، وكذلك الترجمة . وما دام الناشر قد آثر اللاتينية ، فلست أدرى لِمَ لَمْ يضع المصطلحات اللاتينية إلى جانب اليونانية . وليس غرضنا الآن نقد النص المنشور ، وإنما غرضنا فقط بيان عناية المستشرقين بالموازنة مع الأصول اليونانية . ومن هذا القبيل أيضا ، على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب علم العدد لنيقوماخوس ، والذى نشره المستشرق « كوتش » ، وهذا الكتاب ترجمة عربية قديمة لكتاب فى علم العدد ، من تأليف نيقوماخوس أحد الرياضيين الذين كانوا يعيشون فى الإسكندرية ، ويعد من علمائها . وقد نشر المستشرق فى آخر الكتاب ثبتا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالمصطلحات العربية وما يقابلها باليونانية .

هذا الاتجاه نحو عصر الترجمة فى الإسلام لاشك يجلو جانبا مهما فى تاريخ الثقافة العربية ، ويثبت كيف استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة حضارة عالمية ، ولغة علم تتسع لجميع العلوم .

٢ — الاتجاه الثانى نحو العلوم عند العرب. حقا كانت الدراسات عن العلوم بدأت منذ القرن التاسع عشر ، بعضها فى الطب ، وبعضها الآخر فى الرياضيات كالحساب والهندسة ، إلا أن تلك الدراسات لم تكن مستفيضة ، وكانت تحتاج إلى مزيد من العمق والإحاطة والمتابعة .

وكانت هناك علوم بأكملها لم يدرسها المستشرقون فى القرن التاسع عشر ، مثل علم الكيمياء الذى لم يبحث بمعنى الكلمة إلا على يد المستشرق « كراوس » الذى وفد إلى مصر قبل الحرب العظمى الثانية ، وبقى بها إلى عام ١٩٤٥ تقريبا عندما انتحر لأسباب لم يكشف الستار عنها بعد ، لأنه كان يهوديا ، ويبدو أن إسرائيل كانت قد طالبته بأمور عجز عن فعلها . وقد طبع بحثه عن « جابر ابن حيان » باللغة الفرنسية فى مصر ، فى مجلدين ، وذلك بالمجمع العلمى المصرى . وكان « كراوس » قد نشر قبل ذلك جزءاً كبيراً من رسائل جابر بن حيان .

وعلم آخر لم يدرسه المستشرقون من قبل الفهم إلا فى مقدمة كتبها أحدهم بمناسبة نشر كتاب فى الجغرافيا . ثم انقطع عالم مستشرق روسى ، هو « كراتشوفسكى » لدراسة هذا العلم ، وأحاط بجميع الكتب الجغرافية العربية ، والتى كانت قد نشر بعضها باسم « المكتبة الجغرافية » ، ثم كتب بحثا مطولا فى مجلدين باللغة الروسية ، وقد ترجم هذا الكتاب الجليل إلى اللغة الدوبية عن الروسية رأساً ، وصدر منه الجزء الأول (الناشر لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، والجزء الثانى فى المطبعة وسيصدر قريبا . ويعد هذا الكتاب نموذجا للتأليف الرصين ، المحيط بكل أطراف الموضوع إحاطة تامة ، مع معرفة وثيقة بالبلدانيات ، والتضاريس ، والأجواء ، والأفلاك ، والأدب واللغة ، لأن الجغرافيا فروع كثيرة ، وبعض هذه الفروع كان يؤخذ من كتب اللغة وقواميسها . ومن أجل ذلك جعل المستشرق عنوان كتابه « الأدب الجغرافى عند العرب » .

وقد أشرنا من قبل إلى كتاب الأستاذ « نللينو » ، « علم الفلك عند العرب » ، والذى صدر سنة ١٩١١ أى منذ أكثر من خمسين عاماً ، وأكبر الظن لو أن هذا المستشرق كان لا يزال على قيد الحياة ، لأصدر من كتابه طبعة ثانية معدلة تعديلا أساسيا فى ضوء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المخطوطات العربية التى كشف عنها ، وطبع بعضها . ومع ذلك لا يزال كتابه ذا قيمة كبيرة ، وإن احتاج إلى تعديل ، ففى بعض التفصيلات لا فى الهيكل الأساسى .

ولكن هناك علوم عربية كثيرة لا تزال فى حاجة إلى دراسة شاملة مثل علم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم الهندسة ، وفروع كثيرة من العلم الرياضى ، وعلم الطب ، وعلم الصيدلة والعقاقير ، وغير ذلك . وإذا كان من الصحيح أن دراسات جزئية قد تمت فى كل هذه العلوم ، إلا أن التأليف الشامل فيها ، والمحيط بها لم يتم بعد ، لا على أيدى المستشرقين ، ولا على أيدى المسلمين أنفسهم .

نقول ذلك لأن المسلمين والعرب بدءوا يتلقفون الكرة من أيدى المستشرقين ، فأقبلوا على التأليف فى هذه المجالات بالمنهج الحديث المنظم الذى كان يسير عليه المستشرقون . وفى بعض الأحيان يشترك مستشرق غربى ، ومسلم عربى فى إخراج دراسة واحدة . مثال ذلك كتاب « الفلاحة » لابن بصال ، الذى نشره وترجمه ، وعلق عليه اثنان ، أولهما « خوسى ميا س بيكروسا » الأستاذ بجامعة برشلونة ، والثانى « محمد عزيمان » السكرتير العام لوزارة التربية بالمغرب . والكتاب من منشورات معهد تطوان سنة ١٩٥٥ . ومثال آخر لهذا التعاون كتاب « هنرى كوربان » عن تاريخ الفلسفة الإسلامية الذى ظهر هذا العام فى باريس ، بالاشتراك مع « سيد حسين نصر » و « عثمان يحيى » .

ولكنى أقصد إلى شىء آخر ، وهو استقلال المؤلفين العرب أو المسلمين بالتأليف باللغات الأجنبية . ومثال ذلك كتاب جليل صدر منه الجزء الأول . والثانى فى طريقه إلى الصدور ، بعنوان تاريخ الفلسفة الإسلامية A History of Muslim Philosophy أشرف على تأليفه الأستاذ شريف من الباكستان . وجميع الكتاب الذين كتبوا فصوله مسلمون إما من الباكستان أو الهند أو مصر والشام والعراق وغير ذلك من الدول العربية . وليس الكتاب خاصاً بالفلسفة فقط ، بل بالفكر الإسلامى بوجه عام ، إذ فيه فصول عن الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأدباء ، وقد اشتركت فى هذا الكتاب بفصلين أحدهما عن الكندى والآخر عن ابن رشد ، وهما باللغة الإنجليزية لأن الكتاب كله بهذه اللغة ، وحتى الذين كتبوا باللغة العربية فقد ترجمت فصولهم إلى الإنجليزية . والكتاب منشور فى فيسبادن بألمانيا .

٣ — الاتجاه الثالث ، وهو الأهم ، نحو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتابة عن الإسلام من الناحية الاجتماعية والسياسية ، وقد اقتضت ضرورة العصر الاتجاه هذه الوجهة ، ذلك أن علم الاجتماع علم حديث جداً ، لم يصبح علماً بمعنى الكلمة إلا فى هذا القرن العشرين ، وكذلك الحال فى علم النفس ، لذلك كان لابد أن يدرس الإسلام فى ضوء هذين العلمين ، وبمناهجهما الحديثة دراسة جديدة ، سواء من الناحية التاريخية ، أم فى الوقت الحاضر .

إن الاهتمام بالنواحى السياسية والاجتماعية والأخلاقية فى الإسلام سمة مميزة لدراسات معظم المستشرقين فى الوقت الحاضر ، وذلك لسببين : الأول : أن الإسلام لم يدرس من قبل من هذه الزاوية ، فكان لابد أن تطبق عليه المناهج الجديدة فى البحث ، وأن يفتح الباب لمثل هذه الدراسات . والثانى : أن الغرض الأساسى للمستشرقين منذ قيام الاستشراق قديما وحديثا هو البحث عن السر فى قوة الإسلام والمسلمين . وقد اتجهت المباحث قديما نحو الكشف عن العقيدة الإسلامية وعن العلوم عند العرب ، واليوم يتجه البحث نحو تركيب المجتمع الإسلامى

ونضرب مثالا - على سبيل المثال لا الحصر - لكتابين أحدهما للأستاذ روزنتال بعنوان « الفكر السياسى عند المسلمين فى العصر الوسيط » طبع طبعة أولى سنة ١٩٥٨ ، وأعيد طبعه فى نشرة شعبية رخيصة سنة ١٩٦٢ .

والكتاب الثانى بعنوان « البناء الاجتماعى للإسلام » صدر سنة ١٩٦٢ ، للأستاذ « روبن ليفى » . ولهذا الكتاب قصة تؤيد ماذهب إليه من تطور الدراسات الاجتماعية فى العصر الحاضر بسرعة سريعة . ذلك أن طبعته الأولى صدرت فى مجلدين سنة ١٩٣١ والثانى سنة ١٩٣٣ ، بعنوان « الإسلام من الناحية الاجتماعية » The Sociology of Islam ولكن تطور علم الاجتماع السريع اقتضى أن يعدل المؤلف من كتابه تعديلا جوهريا ، فأصدره فى طبعته الثانية المعدلة سنة ١٩٥٧ بالعنوان المذكور آنفا ، وهو بالإنجليزية The Social Structure of Islam

ومن الدراسات التى تنحو هذا المنحى ولكن بطريقة أخرى ، الكتب الثلاثة التى ألفها الأستاذ « مونتجومرى وات » ، والتى تؤلف « ثلاثية » عجيبة ، وهى على التوالى « محمد فى مكة » و « محمد فى المدينة » و « الإسلام وتوحيد المجتمع » . ولما كانت هذه الكتب الثلاثة ، أو ثلاثية « مونتجومرى وات » ، فى غاية الأهمية والخطر ، إذ اتبع فيها التفسير المادى للتاريخ إلى الحد الذى اتهم فيه بالشيوعية ، فهى لا ريب جديرة بالتنفيذ ، وهذا ماسوف نصنعه فى المستقبل إن شاء الله ؟

دكتور أحمد فؤاد الأهوانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : محمد عبد الله السمان

خالد بن الوليد والدعوة المحمدية :

الأستاذ محمد نجيب المطيعي

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة الجامعات بالقاهرة تبلغ صفحاته زهاء ثلثمائة وعشرين صفحة ، مهد المؤلف له ببحث عن المقومات النفسية للعرب ، ثم أشار إلى ميلاد خالد ونشأته وحروبه فى الجاهلية ، كما تحدث عن مدون التاريخ الإسلامى ، ونشأة التدوين ، ورأى أن عبد الله بن عمر أول من حاول التدوين موجها همه إلى نطق النبى الكريم بين أصحابه ، إلا أنه مزق صحيفته خشية أن تختلط بالقرآن ، ثم تبعه بعض التابعين الذين تلقوا عن ابن عمر ، وقد قام عروة بن الزبير بالتدوين نقلا عن غيره بدون إسناد ، وذلك فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان وولى عروة ابن إسحق المتوفى عام ١٥٠ هـ مقتبساً معلوماته من عروة ، ثم يليهما ابن هشام الذى استقى معلوماته عن ابن اسحق مع أنه توفى بعده بقرن و نصف ، ثم تبعهم الواقدى ثم الطبرى وهكذا .

ويشير المؤلف إلى صفحة جديدة فى تاريخ خالد ، حيث تحول من دفاع عن الأوثان وذب عن تقاليد الآباء ، وسجود اللات والعزى ومناة ، إلى دفاع عن الإسلام وقيمه ومبادئه ، فكان إسلامه حادثا خطيراً فى تاريخ قريش ، اهتزت له جنبات مكة ، وارتعدت منه فرائص أبى سفيان زعيمها .

وينتقل المؤلف مع خالد فى المعارك التى اشترك فيها أو قادها ، إلى تبوك ، وإلى ثقيف ، وإلى البطاح ، وإلى العراق والشام ، ليسجل له بطولات حفل بها التاريخ ، وعبقرية عسكرية فذة لم تزل مثار دهشة وعجب إلى يومنا هذا .

والمؤلف لم يكن فى دراسته عن خالد مجرد مؤرخ يتتبع الروايات الصادقة فى سيرة البطل ، وإنما كان باحثا ومدققا وممحصا لهذه الروايات ، وقد عنى عناية كبرى بالقضايا التى أثيرت حول خالد فى معاركه ، ليبين فيها وجه الحق والصواب ، ويزيح عنها غبار الإسفاف والافتئات معاً .

فقصة خالد مثلا مع بنى جزيمة ، قد أخذ على خالد فيها أنه تعجل الفتك بهم ، ولم يمهلهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حتى يتقين من قبولهم الدعوة الإسلامية أو رفضها حتى ينفذ حكم الله فيهم ، والمؤلف هنا بعد أن يسرد الروايات التاريخية للقصة يرجع عمل خالد فى بنى جزيمة إلى ثلاثة احتمالات يسوق على كل منها شواهد من التاريخ :

الاحتمال الأول : أن يكون خالد رأى القوم وعليهم سلاحهم ، فظن بهم الغدر ، وأراد أن يعاجلهم قبل أن يعاجلوه .

والاحتمال الثانى : أن يكون خالد رأى تردداً فى بنى جزيمة حيال دخولهم فى الإسلام ، فأعمل فيهم السيف .

والاحتمال الثالث والأخير : أن يكون فى نفس خالد بقية من إرث الجاهلية وأحقادها ، وقد كان بين بنى جزيمة وبنى سليم قوم خالد من ثأر .

ويخلص المؤلف بعد تمحيص هذه الاحتمالات إلى أن خالداً قد أخطأ فى عمله هذا خطأ فدح بيت مال المسلمين بما غرمه من ديات وعوض بأمر من الرسول كملاج لخطأ خالد ، وقد أخذ الفقهاء من هذه القصة حكم القائد الذى يخطىء ، فيودى عنه ما كان من دماء وأموال من بيت المال .

وينفى المؤلف عن خالد أن يكون قد قتل مالك بن نويرة ليخلى بامرأته الجميلة من بعده ، ويرى أن فى القصة تهالكا واقتياتا على خالد ، ومما يبرىء خالداً أن مالك ابن نويرة لم يمت مسلماً ، ولم يكن قتله جناية من خالد ، ويستدل المؤلف برواية لقاء متمم ابن نويرة أخى مالك مع عمر بن الخطاب ، حين سمعه يرثى أخاه فقال عمر : « هذا والله التأبين . ولوددت أنى أحسن الشعر ؛ فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثيت به أخاك ، فقال متمم : والله لو أن أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته » . كما يستدل أيضاً بمناقشة أبى بكر لخالد حيث انتهت المناقشة ببراءته .

ويناقش المؤلف قصة عزل خالد إثر موقعة اليرموك ، بل ويشكك فى هذه الرواية إذ ليس من طبيعة عمر الحازم أن يعزل قائداً فى مثل هذه الظروف الحرجة . ويقيم تشككه على أن خالداً قد اشترك فى بعض المواقع بعد اليرموك ، بل لقد وجد دينار ذهبى ضرب فى طبرية فى السنة الخامسة أو السادسة عشرة الهجرية من دنانير خالد ضربت على هيئة الدنانير الرومية .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، والمؤلف بذل جهداً له تقديره فى تحليل الأحداث ، وتحقيق الروايات .

الإسراء والمعراج :

للدكتور محمد محمد أبو شهبة :

يقع فى مائة صفحة وبضع صفحات من القطع المتوسط ، مهد لموضوع الإسراء والمعراج بتمهيد فى ثلاثين صفحة عن حاجة البشر إلى الشرائع السماوية ، وحقيقة الرسل والمعجزة ، ومعجزات الرسول الحسية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وناقش المنكرين المعجزات الحسية. ثم انتقل إلى الموضوع نفسه يتكلم عن الإسراء والمعراج وثبوتهما بالقرآن والسنة، وأكد أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد معا، وناقش رأى المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه حياة محمد، وهو تصوير الإسراء والمعراج تصويرا روحيا مبنيا على فكرة وحدة الوجود، ويرى المؤلف أن هذه الفكرة فكرة خاطئة ومن مخلفات الفلسفات القديمة، وقد انتصر لها وتشيع بعض المتصوفة الذين ينتسبون إلى الإسلام وكتبوا بها فكان عاقبتهم الإلحاد فى الله وصفاته.

الخطر اليهودى

للأستاذ محمد خليفة التونسى

هذا الكتاب أول ترجمة عربية أمينة كاملة لبروتوكولات حكماء صهيون، قدم لها أستاذنا المرحوم العقاد، كما كتب المترجم مقدمة تحليلية فى مائة صفحة كشف فيها عن خطورة هذا الكتاب، وبعض عناصر المؤامرة الصهيونية، وذكر اليهود لنشر هذه البروتوكولات، كما قارن بينها وبين كتبهم المقدسة وأقوال ربانيهم وزعمائهم، وأكد أن المبادىء الصهيونية شر من المبادىء الماكيافلية، وهذه النسخة العربية الوحيدة قام بترجمتها الأستاذ التونسى عن الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية.

فضائل النبى فى القرآن:

للشيخ عبد الله الصديق الغمارى:

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر يقع فى مائة وعشرين صفحة من القطع الكبير، تناول فيه المؤلف فضائل النبى من واقع كتاب الله فى جميع السور القرآنية، وألحق بهذا الكتاب بحثاً آخر فى ثلاثين صفحة تحت عنوان: «النفحة الإلهية فى الصلاة على خير البرية»، ضمنه عديداً من الأحاديث النبوية التى تشيد بفضل الرسول وعلو منزلته.

الشريف الإدريسى وأثره فى الجغرافيا

للأستاذ مصطفى محمد كامل

هذه الرسالة إحدى حلقات «كتب إسلامية» التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، أراد المؤلف ببحثه أن يكون كشفاً للنقاب عن حضارة عربية ازدهرت على يد العرب، وإحساسا بفضل علمائنا وأثرهم فى تطور العلم، وفى مقدمتهم الخوارزمى، واليعقوبى، والاصطخرى، والمسعودى، وابن حوقل، والمقدسى، ثم الإدريسى الذى ولد عام ٤٩٣ هـ فى «سبتة» بالأندلس وقت إغارة المرابطين عليها.

محمد عبد الله العمران

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة

تقديم : ابراهيم محمد الجبيل

(الإجابة لجنة الفتوى)

المراد بحديث « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة :

السؤال :

ما المقصود بحديث النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة » . لأن هذا الأمر قد استشكل علينا ؟ أحمد عبد الله باغوث

كينيا - ممباسا

الجواب :

حديث : « إذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة » ، المراد منه النهي عن أن يشتغل المصلي بالنافلة إذا شرع المؤذن في الإقامة سواء تحية المسجد وركعتا الفجر وغيرهما من النوافل ، فإن ذلك يشغله عن إدراك فضيلة الركعة أو الركعتين معه وصلاة الجماعة آكد من صلاة النافلة فإنه قيل بوجوبها بخلاف النافلة فإنه مجمع على سنتها ، فإذا فعل وشرع في صلاة النافلة عند شروع المؤذن في الإقامة كان ذلك مكروها مع صحة صلاته. وقال بعض الأئمة: كان حراما ولا تنعقد صلاته ، أما إذا كان متلبسا بالنافلة قبل شروع المؤذن في الإقامة فإنه يتمها إذا لم يخش فوات الجماعة فإن خشي ذلك قطعها .

السؤال :

نقل الدم — حكم التبليغ عن الأمراض المعدية .

١ — ما حكم التطوع بالدم ... ؟

٢ — ما حكم عدم التبليغ عن الأمراض المعدية ... ؟ مهندس محمد وجدي المصري

الجواب :

عن السؤال الأول نجيب : بأن التطوع بنقل الدم جائز بشرط أن تكون صحة المنقول منه قوية حتى لا يتضرر بنقل الدم منه قال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وأن يكون الدم خالياً من الأمراض المعدية حتى لا تنتقل العدوى إلى غيره قال صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار »

وعن الثاني : نجيب بأن أخذ الحيطة في حال الإصابة بالمرض المعدي واجب صيانة للمجتمع عن تفشي الأوبئة وعدم التبليغ المصاحب للإهمال حرام لما فيه من تعريض المجتمع للعدوى بالأمراض الفتاكة ، الأمر الواجب على الجميع العمل على دفعه بقدر الطاقة .

السؤال :

وضع عين ميت لآخر

١ — هل يجوز إخراج عين ميت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ووضعها لأعمى ليتنفع بها طوال عمره وهل يجوز الميت بذلك ثوابا إذ أن عينه ستصير بعد موته ترابا ؟

٢ — ما حكم الصلاة على مكبر الصوت ؟

عبد الله أحمد — الهند

الجواب :

نجيب عن الأول : بأن الميت يتألم مما يتألم منه الحي غير أن ضرر الحي يفقد بصره أعظم فإذا تحقق لدى الإخصائيين أن نقل عين الميت إلى الحي نافع له جاز ما دام لا سبيل إلى التخفيف عنه غير ذلك تحقيقا للمصلحة بارتكاب أخف الضررين ، بشرط ألا يمانع في ذلك أهل الميت حتى لا تكون فتنة ، ويتقاتل الناس وألا يكون المنقول إليه مهدر الدم كالزاني المحصن والمرتد والحربي وإلا فلا حرمة له فلا يضر الميت لأجله .

وعن الثاني : نفيد بأن الصلاة على مكبر الصوت جائزة إذا احتيج إليه لإسماع المأمومين ولم يحدث به تشويش على مصل فإن حدث به تشويش على مصل حرم ، وإن لم يحتج إليه فالصلاة بخشوع أولى .

السؤال :

لحم الحلوف — زكاة الفول السوداني زكاة الخليطين :

١ — في بلادنا « أرتيريا » حيوان يسكن الخلاء والجبال يسمى « الحلوف » ويتغذى بأوراق الشجر وبفضلات النباتات فهل هذا الحيوان يؤكل أو يحرم أكله ؟

٢ — يزرع في بلادنا الفول السوداني بكثرة ، فهل يزكى الفول السوداني كما يزكى القمح والشعير أرجو أن تكون الإجابة على مذهب الإمام مالك ؟ .

٣ — في بلادنا تشترك الزوجة مع الزوج في تكوين ثروة حيوانية أو تجارية فهل يعتبر مال الزوج أو الزوجة معا بهذه الحالة كأنه مال واحد في الزكاة أم هناك تفصيل ؟.

عبد القادر عمر عيد — أرتيريا

الجواب :

عن الأول نفيد بأن الحلوف من الحيوانات المستخبثة عادة عند ذوي الطباع السليمة وهو أشبه بنيره من وحوش كالذئب ونحوه فلا يجوز أكله ، وإن كان هو يأكل أوراق الشجر والنباتات فالحمار مثلا يأكل ذلك وهو محرم الأكل .

وعن الثاني بأن الفول السوداني تجب فيه الزكاة لأنه من القطاني السبعة التي عدها العلماء مما تجب فيه الزكاة ويحصل به الاقتيات عادة .

وعن الثالث بأن الخلطة لا يعتبرها المالكية إلا في النظم والإبل والبقر والغنم فإن الخليطين يعتبران حينئذ كمالك واحد أما في غير النعم فكل على ما كه لا زكاة عليه في ماله إلا إذا بلغ نصابا

وكذلك الحنابلة ، أما مذهب الشافعية رضي الله عنهم فإنهم يعتبرون الخليطين كمالك واحد في كل مال تجب فيه الزكاة سواء في ذلك الماشية وغيرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

مناقشات :

الأخلاق ولغة الأرقام

مناقشات كثيرة دارت فى الأيام الأخيرة بمجلس الأمة . فى محاولة حل ما أسماه سيادة الرئيس « بالمعادلة الصعبة » وتتلخص هذه المعادلة فى هذا السؤال البسيط :

كيف تنخفض أسعار المواد التموينية وغيرها إلى الحد اللائق بالمستوى العادى للشعب بينما أيضا تستمر عملية بناء الوطن وتحقيق مشروعاته فى كافة القطاعات .. والذى لاحظته — وأدهشنى — أن سائر الحلول التى طرحت للمناقشة .. هذه الحلول كلها قد أغفلت جانب الأخلاق والمثل ، كأنما المشكلة الاقتصادية لا تتصل من بعيد أو قريب بهذا المستوى الأخلاقى الهابط الذى تنحدر اليه أمتنا فى عنف وجنون .. وأنا هنا أحب فى عجالة أن ألقى ضوءاً على المشكلة الأخلاقية ومدى تأثيرها فى الاقتصاد القومى .. على الذين يناقشون مشكلة الاقتصاد يقتبهون إليها على الأقل — على أنها من جملة الأطعمة التى يضعونها على مائدة البحث ..

ونحن نعرف أن الدولة عندنا — مثلا — تبيع صنوفاً من المسكرات إعتقادا منها أن هذه المشروبات تفيد الخزانة — بعدة ملايين تأخذها من التجار والشاربين كضريبة — ولكن الدولة بالطبع لم تحسب حساب آلاف الأسر ، وآلاف الشبان ، وآلاف الثروات التى تحطمت على صخرة هذه المسكرات وأصبحت وأصبح أصحابها عالة على المجتمع ، يعيشون كما تعيش الطفيليات فى أنها لا توزع إلا الشر ولا تنشر إلا البوار ، إن الذى ينفق جنيها فى الليلة من متوسطى الدخل على الخمر والملاهى الليلية وصالات الرقص (والكباريهات) .. هذا الإنسان لا بد أن يولول يوم يزداد كيلوا اللحم عشرة قروش مثلا لا لشىء إلا لأنه لم تترك له ألوان الضياع أى شىء لا لحم ولا لغيره .

ورب الأسرة الملزم بتوفير كل الكماليات لأسرته وإلا اتهم بالجمود والرجعية ، والفتيات وأمهاتهن اللاتى تغريهن مجلات الأزياء على ملاحقة أحدث الموضات و « التايورات » التى تظهر فى عاصمة الفجور فى الأرض — باريس — الماجنة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هؤلا وأولئك لا يمكن أبدا الا أن يصرخوا من زيادة قرش على سعر أية سلعة لأن الكماليات والمولدات وغيرهما قد استنفدت هذا القرش وأضاعته . .

وبعد - فلست فى حاجة إلى أن أطيل بعد رأينا الامبراطورية العجوز تهوى على يد كريستين كيلر وتتحطم - كما قال قاضيها وينتج بسبب ضياع الأخلاق فيها على الرغم من تراثها المادى الكبير - ، ألا رحم الله شوقى:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وليس يعمر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

هدى الله أمتنا وأخذ بيدها إلى طريق الصواب ؟

عبد الحليم عبد الفتاح عويس
كلية دار العلوم

ذكورة وأنوثة :

« تعرضت الدكتورة سهير القلماوى والدكتورة عائشة عبد الرحمن الحديث عن الكلمة التى ألقاها الأستاذ محمد الغزالى بالمؤتمر الوطنى ، ومما ذهبت إليه الأخيرة إنكار مقارنة الرجل بالمرأة زاعمة عبث المقارنة بين أبى جهل وعائشة رضى الله عنها مثلا ... » .

أقول : مهما كثر القول فى المرأة وموقفها من المجتمع ، وموقف المجتمع منها ، فإننا فى حاجة إلى تلك الحيدة التى لا يصدر القول فيها أحكاما مطلقة تبعا للهوى ، ومجاراة لتلك الدعاوى التى أصبحت سمة الدراسات الحديثة .

وإذا كان الإيمان بفكرة لا يكون إيمانا كاملا إلا إذا تناول جزئياتها وكلياتها مع فهمنا لكل ، فإن الإيمان بما جاء به الإسلام ينبغى أن يتناول جزئياته قبل أن يتناول كلياته فضلا عما أرساه الأصوليون بطلان تعليل الأحكام ، وعدذلك بحثا فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعى ، فإذا وجد الدليل المادى والمعنوى ؛ فإن ذلك ادعى إلى عدم الخوض فى تلك المسائل أن رضيت بها النفس أن لم ترض .

والذى عزب عن أولئك الذين تشوفت نفوسهم للكلام بصدد تلك المسألة أن مناط المقارنة هو « البيت » مناط وجود الأنوثة التى هى إحدى المجهولات فى معرض الامتنان .

محمد بدر عبد الجليل
جامعة الإسكندرية — أسرة اللغة العربية

« أخبار قصيرة :

فاز بعضوية المجمع اللغوى بالقاهرة السيد نائب رئيس الوزراء لشئون الأوقاف والأزهر أحمد عبده الشرباصى خلفا للمغفور له أحمد لطفى السيد ، كما فاز بالعضوية فضيلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد عميد كلية الدراسات العربية بجامعة الأزهر خلفاً للمغفور له الإمام الأكبر الشيخ محمود شيخ الأزهر السابق .

• فاز بجائزة الدولة التقديرية لعام ٩٦٤ كل من الأساتذة محمد فريد أبو حديد للآداب والدكتور عبد الحكيم الرفاعي للعلوم الاجتماعية والدكتور أحمد رياض تركي للعلوم ، ومن الجدير بالذكر أن قيمة الجائزة ٢٥٠٠ جنيه مع ميدالية ذهبية ، وميدالية تذكارية لعيد العلم .

• أعلن موريا عضو البرلمان الهندي أن سلطات الأمن اعتقلت خلال الأسبوع الأول من شهر ديسمبر أكثر من تسعة عشر ألف عامل من أعضاء الحزب الجمهوري وينتمي معظمهم إلى طائفة المنبوذين ، بسبب الاضطرابات التي قاموا بها في جميع أنحاء الهند للمطالبة بتحسين أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية .

في محيط الأزهر

• استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر في ١٤ ديسمبر الكاردينال كونيك رئيس أساقفة فينا بالنمسا ، وبحثا معا رسالة الأديان في دعم قضية السلام ، وعدوان الصهيونية على العرب بفلسطين ، هذا وقد وجه الكاردينال الدعوة إلى شيخ الأزهر لزيارة النمسا وإلقاء عدة محاضرات عن الإسلام هناك .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر المستشرق الفرنسي بوجارناشو أستاذ التشريع الإسلامي بكلية حقوق جامعة باريس ، والذي يزور القاهرة بدعوة من المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء لإلقاء محاضرات في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر .

أهدى الإمام الأكبر مكتبة إسلامية كاملة مكونة من مائة وثمانين مؤلفا في فروع علوم الإسلام المختلفة إلى جمعية محبي الدراسات الإسلامية التي تكونت أخيرا في فينا عاصمة النمسا .

تقرر إهداء الشعوب الإسلامية ثلاثين ألف نسخة من المصحف الشريف المطبوع والمرتل بمناسبة شهر رمضان المعظم وذلك لتوزيعها على الهيئات والأفراد والجمعيات في البلاد الإسلامية قبل أول رمضان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى محيط العالم الإسلامى

• اتحاد ماليزيا ... وإسرائيل :

كان من المقبول شكلا وموضوعا أن ينص دستور اتحاد ماليزيا على أن دين الدولة هو الإسلام ، لأن أغلبية شعوب السكان فى الاتحاد الماليزى من المسلمين .

ولا يعتقد عاقل — بعد ذلك — أن يكون مقبولا شكلا ولا موضوعا ، تصريح رئيس اتحاد ماليزيا فى البرلمان منذ أيام ، بأن الاتحاد لا يمكنه سحب الاعتراف بإسرائيل ، لأن إسرائيل دولة معترف بها فى هيئة الأمم المتحدة ، وكون رئيس الاتحاد السيد تنكو عبد الرحمن يعود بعد يوم من تصريحه الأول فيؤكد أن الاتحاد لن يتبادل التمثيل الدبلوماسى مع إسرائيل ، ليس إلا لعباً بالألفاظ .

إن السيد تنكو عبد الرحمن يعلم علم اليقين أن قرارات هيئة الأمم المتحدة ليست ملزمة لجميع الدول الأعضاء فى أية حالة من الحالات ولا ضرورة لأن نقول : كيف يستساغ لدولة ينص دستورها على أن دينها الرسمى هو الإسلام ، أن تعترف بدويلة معتدية باشرت أول عدوان لها على مقدسات الإسلام نفسه ، وعلى مليون مسلم عربى لتلقى بهم فى متاهات الفناء ؟ لأن هذا النص لمجرد النص واستغلاله عاطفياً فى الأزمات .

إن الصراع القائم بين أندونيسيا المسلمة ، واتحاد ماليزيا الذى نص دستوره على أن دينه الرسمى هو الإسلام . هذا الصراع الذى جعل الرئيس أحمد سوكارنو يصرح فى البرلمان الأندونيسى بأنه مسلم ووطنى وشيوعى .

ويشرك فى وزارته عضوين شيوعيين ، هو الذى جعل رئيس اتحاد ماليزيا يعض بنواجذه على صداقة إسرائيل ذيل الكتلة الغربية .

* * *

• السودان الشقيق :

إن الوثبة التى قام بها شعب السودان فى الشهر الماضى ، وثبة تاريخية أثبتت وجوده كشعب حى يرفض الضيم ، ويبذل من أجل حريته دماءه وعرقه ، ولا شك أن الاستعمار قد أقام مأتماً لنفسه إثر وثبة الشعب السودانى الجريئة ، وقد بدأت اللطمات توجه إليه بعنف حين قررت حكومة السودان منع الطائرات البريطانية من المرور فوق السودان فى طريقها إلى عدن والجنوب العربى ، والطائرات البلجيكية فى طريقها إلى الكنغو .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن هذا الاستعمار عودنا أنه من الصعب أن يسلم بأنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وفي سبيل إثبات أن فيه بقية من رمق يعبث بأعصابه في أضيق النوافذ ، وها هو ذا يستغل جنوبي السودان ليحرك الفتنة ، وما الاضطرابات الأخيرة إلا حركة استعمارية بغيضة ..

إن شعب السودان : شماليه وجنوبيه شعب واحد ، وقد وثب وثبته الأخيرة القوية الجريئة من أجل السودان بأسره ، لا فرق بين شمال وجنوب . ونحن نرجو أن تتغلب الوطنية ، حتى تصفى تلك النفوس الضعيفة التي لم تتخلص بعد من رواسب الاستعمار ، ليتفرغ السودان الشقيق لما هو أهم ، ويأخذ مكانه الصحيح بين دول العالم الحية .

• مؤسسة لنشر الإسلام والعربية :

أعدت وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة ، التخطيط الجديد لمشروع الخدمات التي ستنفذها خلال السنوات الخمس القادمة ، وكان من أبرز المشروعات العشرين مشروع إنشاء المؤسسة الإسلامية التي ستشرف على تعليم اللغة العربية ، والعلوم الإسلامية في دول آسيا وأفريقيا ، وستتبع هذا المشروع وحدات اجتماعية مزودة بالإخصائيين ، كما ستزود كل وحدة بمسجد ومعهد ديني ووحدة صحية .

والذي لا ريب فيه ، أن مثل هذا المشروع سيكون له أبعد الأثر ، وبالطبع بعد أن يخرج إلى حيز التنفيذ ، فالإسلام في معظم دول آسيا وأفريقيا لم يزل بدائيا ، والتبشير لم تزل له قوته ، وإمكانياته التي ينافس بها الإسلام الذي يجب أن يتخذ لنفسه مكانة أسمى في الأماكن الوثنية التي هي في مسيس الحاجة إلى غزو إسلامي .

إننا نأمل أن يهتم اهتماما بالغا بتعليم اللغة العربية للمسلمين ، حتى يكونوا وثيق الصلة بدينهم وقرآنهم ، والأحاديث النبوية ، والفقه الشرعي ، كما نأمل أن تختار هذه البقاع الكتب الإسلامية التي توضح معاني الإسلام في يسر وبساطة ، والتي تتجنب من الأفكار ما يوحي بالجمود أو الإسفاف ، كما نأمل ثالثا أن يختار الدعاة المستنيرون واسعو الأفق ، الذين سيحملون إلى جانب علمهم عقيدة وإيمانا ، وطاقة من الصبر والاحتمال .

• • •

أخبار قصيرة :

• الباكستان : اجتاحت الباكستان منذ أسابيع مظاهرات ضخمة معادية للرئيس أيوب خان ، مما اضطر الحكومة إلى أن تصدر قراراً في الأسبوع الأول من ديسمبر بإغلاق جميع معاهد التعليم الحكومية والأهلية إلى أجل غير مسمى ، ومن الجدير بالذكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن السيدة فاطمة جناح شقيقة المغفور له محمد علي جناح ، والمنافسة للرئيس أيوب خان في انتخاب الرئاسة هي التي تقود جبهة المعارضة في الباكستان .

• ليبيا والجزائر : بدأ الرئيس أحمد بن بيلا محادثاته في الأسبوع الأول من ديسمبر محادثاته مع رئيس وزراء ليبيا : السيد محمود منتصر ، وقد تناولت المحادثات مسألة تنسيق السياسة البترولية للبلدين باعتبارهما من أكبر الدول المنتجة للبترول في أفريقيا .

• اتحاد ماليزيا : تقرر أن تزود كل من كندا والولايات المتحدة ماليزيا بالمقاتلات لمواجهة أندونيسيا في معركتها معها . وكانت بعثتان عسكريتان في أوائل ديسمبر : إحداهما كندية والأخرى أمريكية قد زارتا لهذا السبب كوالالمبور عاصمة ماليزيا

• السودان : أذاع راديو أم درمان في الأسبوع الثاني من ديسمبر أن قرارا صدر بالعفو الشامل عن جميع السودانيين الذين هربوا من السودان منذ يناير عام ١٩٥٥ ، والذين صدرت ضد بعضهم أحكام غيابية ، وقدم آخرون منهم للمحاكمة . ودعا الراديو جميع الذين شملهم العفو إلى العودة إلى السودان والإسهام في بناء أمتهم .

• أندونيسيا : أصدر زعماء الأحزاب العشرة في أندونيسيا في ١٣ ديسمبر ١٩٦٤ بيانا جددوا فيه مبايعة الرئيس سوكارنو لشغل منصب رئيس الجمهورية الأندونيسية مدى الحياة .

• اعتمد المهندس السيد أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء عشرة آلاف جنيه لبناء مسجد افكبو في شرقي نيجريا بجوار مقر المركز الإسلامي هناك .

• العراق : رأت حكومة العراق اتخاذ الخطوات لتوحيد المناهج الدراسية بين العراق ومصر ، وقد طلب وزير المعارف بالعراق من مديريات الوزارة المختصة إعداد الدراسات ، والمقترحات الخاصة بالقوانين والأنظمة المعمول بها حاليا في المراحل الدراسية المختلفة .

• المغرب : وافقت الجمهورية العربية المتحدة على تصفية المشاكل المعلقة بينها وبين المملكة المغربية ، وقد صدر بيان بذلك في الرباط في شهر نوفمبر الماضي عقب المحادثات التي أجريت بين الملك الحسن الخامس والمشير عبد الحكيم عامر خلال جولته الأخيرة في شمال أفريقيا . هذا وسيزور الملك أوائل العام الجديد القاهرة بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

pas négliger, institué des défenses, que vous ne devez point violer; mais il a omis certaines choses, non pas par oubli, mais par miséricorde pour vous. Donc, à propos de telles choses, ne cherchez pas trop." C'est dans de telles circonstances, nous dit Ibn Hibbâne, que fut révélé le passage Koranique qui dit :

"O vous qui avez cru, n'interrogez pas au sujet de certaines questions dont l'explication vous serait funeste, attendu que si vous y insistez pendant que le Koran est encore en train d'être révélé, cette explication vous sera donnée. Dieu l'a omise, car il est clément et miséricordieux. Avant vous, un autre peuple avait insisté sur des questions semblables, mais par la suite, il s'est montré infidèle à leur égard."

Cette élimination dans les règles koraniques de ce trop de *comment* et de *combien* est donc une mesure prise expressément, en vue de permettre aux hommes d'exercer différemment leur pouvoir intellectuel, physique et moral.

Voilà pour cette morale pratique et les traits généraux qui la caractérisent.

Passons maintenant à la morale théorique.

Aspect théorique — Ici également notre méthode s'écarte de la méthode commune. D'abord c'est l'aspect théologique ou juridique qui intéressait le plus nos savants. D'emblée, nous nous plaçons sur le terrain éthique, en posant chaque question dans les termes où elle se pose pour les moralistes modernes. D'autre part, c'est le Koran lui même que nous prenons pour point de départ, avec le souci constant d'en tirer la réponse par un recours direct au texte. Et c'est là précisément que réside la difficulté ; car les textes relatifs à la théorie morale n'ont pas la même abondance et la même clarté que les préceptes pratiques. Mais une question préalable doit se poser.

Le Koran est-il un livre spéculatif, ou peut-on lui demander ce qu'on demande aux œuvres philosophiques ?

choisi et révisé
par
DR. AFIFY ABDUL-FATTAH
[*Suite*]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

peuple sur les affaires communes. la forme de l'Etat musulman et le procédé pour établir son chef : suffrage universel, ou réservé à l'élite ? République ou Royauté ? etc..

Cette recherche excessive de la précision légale peut se manifester chez ceux qui font la loi, ou ceux qui la subissent. Dans le premier cas, elle est souvent déterminée par une défiance de la part des législateurs à l'égard des sujets à qui on confie l'application de la loi; au reste, elle tend à supprimer toute initiative, à rendre la vie commune, monotone, insupportable, à faire des membres de la société comme des exemplaires d'un même modèle mécanique. Mais il n'est pas rare de rencotrer parmi les hommes d'action eux-mêmes des gens qui souhaiteraient voir le législateur tout délimiter, tout codifier. A supposer l'entreprise réalisable, comment expliquer une telle exigence poussée à la limite, autrement que par la recherche du moindre effort intellectuel et moral ? pour ne pas dire par une abdication pure et simple de la personnalité.

Le Koran ne pèche pas par cette tendance à la quentification de toutes les règles. Il ne pèche pas non plus par la tendence opposée. Cette sage mesure, cette position tinermédiaire où l'on se tient toujours à l'écart des deux extrêmes, a-t-elle été prise fortuitement, arbitrairement, ou bien comporte-t-elle de la finalité ? Pour se convaincre que le Koran aussi bien dans son silence que dans ses explications vise à cette sagesse législative impeccable, il suffit de se rappeler le fait suivant :

Au c urs de l'un de ses discours, le prophète dit : "O Hommes, Dieu vous a prescrit pélerinage; accomplissez le donc." Un homme s'éleva alors et demanda : Faut-il l'accomplir tous les ans ? Le Prophète s'abstint d'abord de toute réponse; mais le question-neur insista. La Prophète répondit alors, un peu courioucé : "Si je disais oui, c'est qu'il serait ainsi prescrit; or, si l'on vous obligeait à l'accomplir annuellement, vous ne pourriez point vous y conformer. Laissez-moi tranquille, tant que je vous laisse; c'est à force de questionner et de discuter auprès de leurs Prophètes que vos prédécessurs ont péri. Lors donc que je vous interdis une chose, évitez-la; mais quand je vous adresse un commandement, vous n'avez qu'à le mettre en pratique dans la mesure du possible." Dans une autre formule plus explicite, rapporté par Ibn Djarîr, le Prophète s'exprime ainsi : "Dieu a établi des limites qu'il ne faut point dépasser; a prescrit des devoirs qu'il ne faut

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

"La Morale du Korân"

Par

Dr. Mohammad Abdullah Draz

(3)

Ce caractère totalisant trouve son complément dans un autre caractère, qui va lui donner sa plus haute valeur. Après avoir tracé pour chaque domaine de la vie une ligne de conduite, le Koran nous présente les cadres ainsi tracés sous la frome de cercles concentriques, susceptibles chacun de s'élargir et de se rétrécir en harmonie avec l'ensemble, au point de se pénétrer mutuellemant sans empiéter les uns sur les autres.

Comment le Koran a-t-il pu produire cet effet prodigieux ? Le processus en est très simple. C'est qu'il a choisi pour l'énoncé de ses règles des formules d'une *frappe* toute particulière, formules qui se tiennent toujours à mi-chemin entre l'*abstrait*, vague et flou, et le *concret* par trop formaliste. Ainsi les cadres qu'il censtruit sont à la fois rigides et souples. De par sa clarté, la teneur de chaque règle forme une sorte de barrière contre le désordre et l'anarchie du caprice; mais de par son indétermination, elle laisse à chacun le choix de la forme sous laquelle il doit adapter son idéal aux canditions données de l'expérience et concilier son devoir de l'heure avec les autres exigences de la moralité. Adaptation et conciliation devant s'effectuer par un sage effort, éloigné en même temps du relâchement et de la fougue non-contrôlée. De cette manière, la législation Koranique a pu atteindre une double perfection qui se trouve aillcurs difficilement conciliable : douceur dans la fermeté, progrès dans la stabilité, nuance dans l'unité. De cette manière, elle a permis à l'âme humaine de s'assurer un double bonheur, également antinomique : soumission dans la liberté, aisance dans la lutte, initiative dans la continuité. D'aucuns n'ont pas bien compris cette haute sagesse. C'es' ainsi qu'on a parfois reproché à l'Islam de n'avoir pas précisé, par exemple, le mode de consulter le

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

Book Review

THE RELIGION OF ISLAM

A Standard Book, Companion and Introductory to the Quran

VOL. 11 (Third Edition)

BY : DR. AHMAD A GALWASH, M.A., Ph. D.

This book Should make an admirable introduction to Islam. It is authentic, comprehensive and highly readable. The author's analysis of the various aspects of Islam is acute and Sound. This VOL. 11 of "The Religion of Islam" is a survey of the Religion in its three sides : the devotional, the Social and the spiritual, as the reader shall find in this volume a well - informed survey of Practical Devotions, Transactions, Penal laws, Ethical basis of Social life and Moralities, Muslim Jurisprudence, Religious Defensive Warfare and Spiritual aspects of Islam.

Having explained the Muslim Prayers, with Practical illustrations, the author gives a detailed account of Zakat and Legal Alms, Fasting and Pilgrimage. The author describes with care and Sensitiveness, the various aspects of Marriage, Different forms of divorce, Legal Status of a married woman, Law of inheritance, Owner Ship and Divisions of Property.

Dealing with the penal laws the author explains the Criminal intentional injury, Adultry, Theft and Robbery, Divisions of Punishment and Classification of Sinful acts. This book gives an adequate explanation of the basis of social life in Islam. One of the most important subjects, in this chapter, is the position of women in Islam. The author also explained the various ways contributed by Islam towards the improvement of the position of women.

On the whole, the book is a brilliant piece of work. Hence this digest of "The Religion of Islam" Shall be a useful introduction to the message of Islam, particularly for English speaking people all over the world.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(From page 5)

Becca (Mecca), a blessed place, a guidance to the people".

It was, therefore, necessary that the celebration of the night of Ascent should remind the Muslims all over the World their connection with the Palestine and their obligation to this country whose Sons have been wrongfully driven out by a Cursed community "Those of the Children of Israel who went astray were Cursed by the tongue af David, and of Jesus, Son of Mary, that was becausc they rebelled and used to transgress".

The talk on the Ascent Should call upon the Muslim world to take necessary steps for restoring the right of people of palestine. Their position is there as follows : "How Should ye not fight for the cause of Allah and of the feeble among men and of the women and the children who are crying : Our Lord ! Bring us forth from out of this town of which the people are Oppressors ! Oh, Give us from thy presence some protecting friend ! Oh, Give us from Thy presence Some defender !"

(From page 11)

form the nucleus of an Islamic Society in Portsmouth, both of which gave me much happiness. Dr. Awad of the Islamic Cultural Centre in London wns of great help with my correspondence to Al Azhar and I finally left London a few weeka ago for Cairo, where I was delighted to find Sheikh Sharkawi now back at Al Azhar. I feel very happy to be here in Egypt and at the very warm welcome and help everyone has given me, including the Rector of Al Azhar H. E. al-Sheikh H. Mamoun and the Director H. E. al-Sheikh A.H. al-Baqouri, who have been so kind as to agree to give me some personal tuition and also the Governor of Zagazig and Dr. I. Zayed of Cairo University who were most hospitable. I am really terribly impressed by all that I find here in Cairo and I am eagerly looking forward to seeing all the wonderful things your country has to offer, not only to me but to the world.

Now with a heart full of peace my life is dedicated to the service of Allah, which can best be described by this verse from the Holy Koran "Verily, my worship and my sacrifice and my living and my dying are for Allah Lord of the Worlds, Who hath no partner".

A.R. ANSARI *(Cairo 1964).*

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

If a stalwart of the Jinn was able to bring the thrown of the Queen of Sheba unto solomon from yemen before he could rise from his place and One, with Whom was knowledge of the Scripture, has done such work before solomon's gaze returned unto him, then, how it will be difficult to believe that the Lord of the worlds carried His Choicest servant and His messenger by night from Mecca to Jerusalam? The beginning of the verse by the word "Subhan" is indicating that : The Allah, Almighty, is Exalted over disability. It is a regretful thing that some people are making uproars and suspicions about this miraculous story. It is recalled that this historical event took place when the prophet and his followers were facing cruel persecutions and threats from their opponents, The story of the ascent of the prophet was a great miracle of his prophethood as well as a good news foretelling a victory of Muslims over their enemies. At the time of this event the prophet and his companions were passing through a very dangerous period of their cause. The opposition to his preaching had grown rigid, the prophet had little succes among 'Meccans'. After the suffering of persecution of thirteen years the prophet and his followers migrated to 'Medina'.

The "Hijrah" makes a clear division of the prophet's mission. The Muslim were promised by God to enter Mecca in full security, the Quran says : "Ye shall enter the Sacred mosque, if Allah pleases, in full security". The entry was materialised soon and the prophet entered his native city as conqueror without bloodshed and he proclimed a general amnesty. The Holy Quran Says : "Allah hath promised such of you as believe and do good works that He will surely make them to succeed (the present rulers) in the earth even as He caused those who were before them to succeed (others); and that He will surely establish for them their religion which He hath approved for them, and will give them in exchange safty after their fear". In fulfilment of this promise the Muslim conquests extended from china in the East and to Atlantic in the west.

The event of the 'ascent' connected the Sacred Mosque of Jerusalam with the Sacred Mosque of Mecca. The Quram describes both these places as, 'blessed one'. The Holy Mosque of Mecca is mentioned in the Quran as the first house built for mankigd for worship :

"Lo ! the first Sanctuary appointed for mankind was that at

(See page 12)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

— 4 —

The 'Ascent' of the Prophet

By :

ABDUL RAHIM FUDA

There is no difference of opinion among Muslims about the story of the ascent of Prophet Muhammad, as the Holy Quran Says: "Glorified be He who carried His servant by night from the Inviolable Place of Worship (Mecca) to Far Distant Place of Worship (Jerusalam) the neighbourhood where of We have blessed, that We might show him of Our tokens! Lo! He, only He, is the Hearer, the Seer."

They are agreed unanimously that the prophet Muhammad (peace be upon him) was carried by night from the Inviolable Mosque of Mecca to the Sacred mosque of Jerusalam and it was to show him of His singns and wonders as the Quran testified by this sentence: ".... that We might show him of Our tokens". The difference of opinion about the nature of the ascent, whether the Prophet was carried by night to Jerusalam, Whence he was caught up through the heavens, By bodily and spiritualy or it was a spiritual ascent?

What a pity! This is a despised and inconsiderable question, because there could not be such doubt about the ability and the command of the cherisher of the Universe. The Quran Says: "But His command, When He intendth a thing, is only that he Saith unto it: Be! and it is. Therefore Glory be to Him in whose hand is the dominion over all things! unto Him ye will be brought back."

Moreover, the Quran and the other scriptures narrate the miraculous story of Prophet Solomon (Sulaiman), with birds, Jinn and the thrown of the Queen of Sheba etc. It is mentioned in the story of Solomon with the Queen of Sheba that he Soid: "O chiefs! which of you will bring me her thrown before they come unto me Surrendering. A stalwart of the Jinn Said: I will bring it thee before thou rise from thy place. Lo! I verily am strong and trusty for such work. One with whom was knowledge of the seripture Said: I will bring it thee before thy gaze returneth unto thee. And when he saw it in his presence, (solomon) Said: This is of the bounty of my Lord, that He may try me whether I give thank's or am ungrateful."

Then the Prophet added : " Have glad tidings, for God has forgiven you".

It is reported also that the companion of the Prophet Abu-Dharr said to the Prophet : " Teach me something that brings me closer to Paradise and makes me away from Hell " The Prophet said : " If you make bad deed, follow it with good deed, so you get by your good deed a ten-fold reward." Abu-Dharr asked : " Is the witness that there is no god but God is considered as a good deed ? " The Prophet answered : " It is the best of all ; it removes sins". In another Tradition, the Prophet is reported to have said to His companions : "Renew your faith" " How can we renew our faith ? " They asked. He said : " Say : there is no god but God, for this word is heavier than the heaven and the earth and what is therein ".

The Prophet Noah is said to have ordered one of his sons before his death : " I command to you these words : ' There is no god but God ' ; for if the Seven Heavens and the earth were weighed against these words ; they would over-weigh them." Moses is reported to have called his Lord : " O God ! Teach me something by which I remember you and call you " God said : " Say : There is no god but God, for if these words are weighed against the Seven Heavens and Seven Earths, They would over-weigh them."

Say : shall we indeed call on others besides God,
Things that can do us neither good nor harm,—
And turn on our heels after receiving guidance from God ? —
Like one whom the evils ones have made into a fool
wandering bewildered through the earth
(While) his friends calling 'come to us'
(Vainly) claiming) to guide him to the path ?
Say : "God's guidance is the (only) guidance
And we have been directed to submit ourselves
To the Lord of the worlds".

(VI : 71)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

d) Since all beings in this universe are not self-sufficient, and governed by divine immutable laws, you should come to the conclusion that there is One Being above everything, and that this Being is the Only One distinguished by the Divine Attributes. This is the meaning of " there is no god but God".

The more you study the aspects of this universe, the more you increase in your faith that really " there is no god but God".

God, the Almighty, described Himself in this Holy Verse :

" God - there is no god but He, the Ever-Living, the self-Subsisting by Whom all subsist. Slumber overtakes Him not, nor sleep. To Him belongs Whatever is in the heavens and whatever is in the earth. Who is he that can intercede with Him but by His permission ? He knows what is before them and what is behind them. And they encompass nothing of His knowledge except what He pleases. His knowledge extendes over the heavens and the earth and the preservation of them both tires Him not. And He is the Most High the Great".

QUESTION

What are the proofs from the Quran and the Traditions " Sunna " which show that the declaration that " there is no god but God " is the first basic principle of Islam ?

ANSWER

It is reported that Omar Ibn Al-Khattab said : " The witness that there is no god but God is the expression of piety, sincerity and truth. For this declaration God created all creatures as He, the Almighty, said : ' And I have not created the jinn and the men except that they should serve Me '."

It is for this word of witness that God sent prophets, and revealed divine books. The Holy Quran says :

" And we sent no messenger before you but we revealed to him that there is no god but Me, so serve Me "

And :

" He sends down angels with revelation by his command on whom He pleases of His servants, saying : Give the warning that there is no god but Me, so keep your duty to Me. ?

The Prophet once heared a caller calling : " I witness that there is no god but God " when he said : " That is saved from Hell." He said also to some of his companions : ' Raise your hands and say : There is no god but God." After they obeyed the prophet's order, he himself raised his hand and said : " Praise be to God. O My Lord ! You commanded me with this word, and sent me by it and promised Paradise for it. You surly will not break your promise,"

"... The creation of God who created everything in perfection."

QUESTION :

We knew from our previous discussion that to witness that "there is no god but God" is the frist basic principle in Islam. What, then, is the meaning of this declaration ?.

ANSWER :

The prophet ordered Muslims that they should believe first that "there is no god but God". This sentence is the basis of Islam. It distinguishes the Muslim from the non-Muslim. Those who declare this sentence with faith are those who are promised prosperity and happiness in this life and the life hereafter : and those who deny it, are doomed to misery.

This sentence means that nothing in this universe is deserved to be worshipped and obeyed save God, the Almighty. He is the Only King and Ruler. Everything in the universe is in need of Him. He is beyond our senses and our minds. "Vision comprehends Him not, and He comprehends all vision; and He is the all - Kind, All-knowing"

This sentence of the declaration of faith indicates such important following meanings :

a) This great universe which cannot be comprehended fully by human mind must be created by a Living God. He must be, of necessity, out of need of anything else. He must be the Most-Powerful, the Most-Wise, the Source of life and sustenance for everything and the Exalted over disability and imperfection.

b) The Attributes of Godhead must be all ascribed to one being; for the Ruler of all things must be One in His Being Those Attributes cannot be divided among different gods : one to be the ruler, one to be the most-powerful, and so forth. The plurality of gods would necessarily bring the universe to ruin and extinction. Those Attributes, also cannot be exchanged, so one god assumes the position of godhead one time, and the other assumes it another times. For the god who could not preserve his godhead and his identity cannot grant life to others, nor can he manage and rule the universe.

c) Bearing this in mind, if you look in the universe, you find that everything you see or know cannot be described with the Godly Attributes. For all beings in the universe are not self-sufficient and are always in a state of change, and are governed by immutable laws.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

— 6 —

The Fundamental Belief In Islam

(2)

By : Abdul Wadood Shalaby

How true is the assumption of the materialists that the world existed by chance ?

ANSWER :

The fitness of the earth to life takes different forms which cannot be explained on the basis of chance. The globe is suspended in the space running around itself, causing the alteration of day and night. It soars around the sun making one round each Year causing the alteration of the four seasons. Earth is covered with a gaseous cover composed of the gases that is necessary for life and preserving the degree of warmth which is suitable for life. The earth's cover carries water steam from sea through which rain falls and revives the ground. The size of the globe which is smaller than the sun and larger than the moon, is the secret of the preservation of life on earth. If the globe was smaller that it is now, it could not retain its liquid and gaseous cover, and the heat would be so tremendous on the surface of the earth that it would cause death to every living being. If the globe was larger that it is, the power of its magnetism would be more than it is now by 150 times. And if the globe is nearer to or farther from the sun than it is actually situated heat or coldness will be not suitable to life on its surface.

How possibly we could believe, then, that mere chance is the cause of such wonderful universe. This is certainly an impossibility. Surely, the world is created by a reasonable mind, by the will of God the Creator of this universe. The Holy Quran says :

"Surely, We created everything in definite measurement."

"And the earth we spread it out, and put in it mountains and grew in it every balanced thing."

"Nothing in the universe but we have its treasures; and we bring it down in a balanced measure."

"Everything with God is at a balance."

self - reliance and independence. Thus it was that the words Rabbi and Rabbah, in Hebrew and Aramaic, and Rabu, in old Egyptian and Chaldean were used for one who brought up, he teacher and also the master.

When a child is born, it is but a help less lump of flesh and it instinctively cries for a protector and nourisher. The mother fills that role and she fulfils it with bound less love and devotion and never ceasing vigilance and care. According to its changing needs, she suckles it and gradually feeds it on different food which gives it strength and independence. She carries it in her lap, then supports it when it begins to stand and guides it as it begins to walk till it can run on its own and requires no help or guidance. This is the most perfect instance of 'nurture' or 'bringing up' that man can show. How imperfect and limited it is becomes obvious as soon as one lifts one's eye from that infinitesimal part of existence that is human life and casts it upon that vast and marvellous panorama of existence that includes countless beings and limitless forms of life and that is ever unfolded before one's eyes, if one but stops to see. With no one to teach them how to mother or nourish one finds animals, birds and insects performing those functions with greater devotion and constancy than even a human mother. There are also creatures beyond perception that have apparently none to nourish them but nevertheless find their nourishment provided for them from the moment they come into existence.

As one reflects on this, one is struck by the fact that not only are all the necessary means of existecne and nourishment to be found—that would be nature's bounty—but that they are found arranged in such perfect order that, if man does not disturb it, every thing is provided in the form, measure and manner in which it is required. Over and over again, the Quran draws attention to the order and right proportion in which every need of every being is provided for. "Verily we have created every thing in (the right) proportion and measure" (LIV : 49) Air, Water and food are the three indispensable requirements of life and not only are they found in greater quantity than any thing else but among themselves, they are to be found in a quantity which is exactly in proportion to their indispensability, water more than food and air in much greater abundance than either.(1)

---

(1) Quoted from "The Quntessence of Islam" by : Ashfaque Hussain.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

for God; and the Quran adopted it not only because it had gained currency but also because it more suitable than any other word.

There was a stage in man's spiritual development when he bowed in adoration before various manifestations of nature; and that gradually and inevitably, led to idolworship. The number of gods grew, each representing some particular godly quality before which man bowed; and as the pantheon grew vast and bewildering, man's spirit longed and sought for one supreme god, the lord of all gods. Thus, while there were numerous names for gods, referring to their different attributes there was always a special word for the supreme Being. The basic letters of that word, in all semitic languages, were Alif (A) Lam (L) and Hay (H) and the Arabic Ilah, with the definite article (Al), became Allah.

As for the meaning of Ilah, there are various interpretations, but the Soundest appears to be that which derives the word from alha which means astonishment or wonder, (Alternatively, Ilah is said to be derived from the word walah, which also has the Same meaning). There could not be a more appropriate word for the Creator and the Lord of the universe. However much man may come to Know about Him, He remains beyond the range of human Knowledge. The more one tries to understand that Absolute Being, the greater is one's bewilderment. The quest begins and ends in wonder and humility. No other name could therefore be used for the Supreme Being. All other names only to some particular attribute of God and, in that Sense, are restrictive; but the word Allah immediately directs our mind to a Supreme Being who is all-embracing, beyond description and beyond Cognition.

Like Ilah, Rab is also a much used root word in all the Semitic languages. It means, in the most Comprchensive sense, to bring up or, in other words, to rear and nurture some living being Whether a plant or an animal or a human being, through its different stages of growth and according to its particular condition and needs till it attains maturity, i.e. that stage of its development when it ceases to need someone to look after it and can find its own where-withal of life for future progress; and even then the function of the Rab does not cease altogether but merely becomes less intense and less constant. The interest, devotion and readiness to guide and help are still there, but they are not seen in constant play as before, because their object has attained a measure of

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

MAJALLATU'L AZHAR

(AL - AZHAR MAGAZINE)

CHIEF EDITOR :

AHMAD HASSAN AL - ZAYYAT

RAJAB 1384	ENGLISH SECTION EDITED BY : A. M. MOHIADDIN ALWAYE	DECEMBER 1964

THE QURANIC CONCEPTION OF GOD

By :

MOULANA ABUL KALAM AZAD

" Al - Hamdu L'illah Rabbil - Alameen "

praise be to Allah, Cherisher of the Worlds

The first verse of the first chapter of the Quran opens with hamd (Praise), just as the very first impress on the mind and instinct of man, when he sets out in quest of God or Truth, is that of wonder and admiration.

The Seeker after Truth is described by the Quran as one who " reflects on the Creation of the heavens and the earth (with the thought): Our Lord ! Thou didst not creat (all) this in vain" (111 : 191). As he looks around and reflects, his mind is immediately illumined by the realisation that everything within him as well as outside reveals the hand of a Creator of transcendental wisdom and power ; the care and bounty of the Creator manifest themselves in every particle of the universe. He is filled with wonder and admiration and he proclaims it with an instinctive exclamation, phrased differently according to the individual seeker's tradition and extent Knowledge but conveying the same homage to the Creator and Sustainer of the universe ; and this instinctive tribute to the Creator saves him for ever from the fatal error of losing himself in the beauty of the Created and forgetting the Creator.

The word Allah, even before the Quran, was used as a proper noun

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة

٥١٣ مكانة المرأة فى المجتمع
للأستاذ عبد الرحيم فودة

٥١٦ الجهاد للأستاذ الأكبر : شيخ الأزهر

٥١٩ التطورات التشريعية للطلاق
للأستاذ محمد محمد المدنى

٥٢٣ إلى أى مدى تتطور الأحكام
للأستاذ بدر المتولى عبد الباسط

٥٢٧ نفحات القرآن للأستاذ عبد اللطيف السبكى

٥٣١ مفهوم الإيمان
للأستاذ الحيسنى عبد المجيد هاشم

٥٣٥ حلاوة الإيمان للأستاذ محمد محمد أبو زهو

٥٤١ الفراغ النفسى عند الشباب
للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

٥٤٥ إن هذا لهو القصص الحق
للأستاذ حسن جاد

٥٥٠ طاعة الرسل وطاعة الرسول
للأستاذ عباس حمادة

٥٥٦ عصمة الأنبياء بين اليهود والنصارى والقرآن
للأستاذ على الخطيب

٥٦٠ الوراثة وقوانينها . فى الجاهلية والإسلام
للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

٥٦٨ يقظة التفكير الأوربى على صوت ابن رشد
للأستاذ محمد رجب البيومى

٥٧٦ اتجاهات الثقافة فى الشرق العربى
للأستاذ محمد فرج العقدة

٥٨٠ نهضة العالم الإسلامى للأستاذ مختار الفاضى

٥٨٤ ليلة الإسراء والمعراج
للأستاذ أحمد حسن فرار

٥٨٨ تيارات منحرفة فى التفكير الدينى
للأستاذ على الطنطاوى

٥٩٥ من شيم العلماء للأستاذ محمود الشرقاوى

٥٩٩ جمعية إخوان الصفا ـ ٣ ـ
للأستاذ محمد الفقرانى الخراسانى

٦٠٥ مع شوقى فى مدائحه النبوية
للأستاذ سعد الدين الجيزاوى

٦١٢ الإنسان والجمال للأستاذ أحمد الشرباصى

٦١٧ هدف النزل الجاهلى
للأستاذ كامل شامين

٦٢٤ ما يقال عن الإسلام
للأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى

٦٣٠ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان
خالد بن الوليد والدعوة المحمدية ـ الإسراء والمعراج ـ الخطر اليهودى ... الخ

٦٣٣ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل
سماع حديث ـ نقل الدم ـ وضع ميت لآخر ... الخ

٦٣٥ أنباء وآراء : للأستاذ محمد عبد الله السمان
مناقشات ... أنباء ... فى محيط الأزهر

٦٣٨ فى محيط العالم الإسلامى :
اتحاد ماليزيا وإسرائيل ـ السودان الغربى ... الخ

الثمن اربعون مليما

مطبعة الأزهر